مجموعة من المؤلفين

الشعوب الإسلامية في القفقاس و روسيا وآسيا الوسطى

موسوعة



ترجمة
طه الولي

دار علاء الدين

الشعوب الإسلامية
في
القفقاس و روسيا وآسيا الوسطى

موسوعة

يتضمن هذا الكتاب الشعوب الإسلامية في روسيا الاتحادية، ولاسيما شعوب منطقة القوقاز وجنوب روسيا، وشعوب وسط روسيا وجنوب أوكرانيا. مسلطاً الضوء على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتراث الشعبي والأزياء والسكن والأعياد لكل شعب من هذه الشعوب .

كما يقدم لمحة تاريخية لكل شعب من هذه الشعوب ويتوقف في أهم المحطات التاريخية والأحداث المهمة، والعلاقات المتبادلة فيما بينها وارتباطها التاريخي بالاتحاد الروسي.

يطلب الكتاب على العنوان التالي: دار علاء الدين للنشر والطباعة والتوزيع - سورية - دمشق
ص.ب. ٣٠٥٩٨ - هاتف ٥٦١٧٠٧١ - فاكس ٥٦١٣٢٤١ - بريد إلكتروني ala-addin@mail.sy

الشعوب الإسلامية

في القفقاس و روسيا و آسيا الوسطى

موسوعة

مجموعة من المؤلفين

الشعوب الإسلامية

في القفقاس و روسيا و آسيا الوسطى

موسوعة

ترجمة

طه عبد الواحد



منشورات دار علاء الدين

- الشعوب الإسلامية في القفقاس و روسيا و آسيا الوسطى.
- تأليف: مجموعة من المؤلفين.
- ترجمة: طه عبد الواحد.
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩.
- عدد النسخ /١٠٠٠/ نسخة.

- تمت الطباعة في دار علاء الدين للنشر.
- هيئة التحرير في دار علاء الدين:

- الإدارة والإشراف العام: م. زويا ميخائيلينكو.
- المتابعة الفنية والإخراج: أسامة راشد رحمة.
- التدقيق اللغوي: صالح جاد الله شقير.
  ريا نصر الحلاق.
- الغلاف: أمل كمال البقاعي.

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية، دمشق، ص.ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١، فاكس: ٥٦١٣٢٤١

البريد الإلكتروني: ala-addin@mail.sy

مقدمة

كانت روسيا الفيدرالية دولة ضعيفة في الأعوام الأولى من ولادتها الجديدة كدولة مستقلة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، حيث وقعت أسيرة أزمات اقتصادية هزتها الواحدة تلو الأخرى وذلك كنتيجة طبيعية لتفكك المؤسسة الصناعية الإنتاجية السوفييتية التي اعتمدت تقسيم عملية الإنتاج على عدة منشآت صناعية موزعة على مختلف الجمهوريات السوفييتية. وأتت بعد ذلك مرحلة الإصلاحات السياسية والاقتصادية لتخلق تربة خصبة للمتطفلين والانتهازيين، حين استغلوا عدم وجود فهم شامل لمعاني الإصلاح والخصخصة في وسط النخبة السياسية القيادية، فحولوا العملية كلها إلى باب رزق فتح عليهم، جنوا عبره ثروات خيالية وأصبحوا بفضلها أصحاب نفوذ.

وبينما كان هؤلاء القلة يجنون الثروات كانت روسيا تتجه نحو أزمة حقيقية تهدد أمنها القومي، حيث بدأت الأصوات في بعض الجمهوريات أعضاء الاتحاد الروسي تتعالى منادية بضرورة الاستقلال عن روسيا على أمل تحسين الأوضاع السياسية والاقتصادية، والانفصال عن الدولة التي أصبحت أشبه بكرة ثلج تسقط نحو الهاوية وتشد معها قطع الثلج الصغيرة.

من جانب آخر، ونتيجة لعدة ظروف لبعضها صلة بتاريخ منطقة القفقاس وللبعض الآخر صلة برغبة قوى خارجية بفتح ثغرة مؤلمة على الخاصرة الروسية، وتلاقي مصلحة هذه القوى الخارجية مع مصالح مراكز النفوذ غير الحكومية التي رأت في أي حرب مصدر نفع جيد لها، اشتعل فتيل الحرب في الشيشان تحت شعار حرية واستقلال الشيشان عن روسيا. وبغض النظر عن صدق من أعلنوا هذا الشعار كمسوغ للحرب، ودون التوقف عند دور بعض القوى الروسية في إشعال فتيل القنبلة الشيشانية، فإن الحرب هناك قد أصبحت واقعاً تسبب لروسيا وشعوبها بالآلام، فالمعارك زهقت أرواح الشبان من الجانبين، الشيشاني والروسي، بينما أشارت كل الدراسات إلى أن

المعركة بين الجانبين يصعب حسمها، كما يصعب إيجاد حل سياسي نهائي لها، على الأقل في الفترة الحالية (١٩٩١-٢٠١٥).

روسيا تصر على عدم السماح لجمهورية الشيشان بالانفصال عن الاتحاد الفيدرالي الروسي، وعلى الطرف الآخر استمرت بعض الجماعات الشيشانية تطالب بهذا الاستقلال. وبينما يصر كل من الطرفين على موقفه دخلت على خط المواجهة قوى جديدة ترفع شعارات تتجاوز موضوع استقلال الشيشان وتنادي بإقامة دولة الخلافة الإسلامية على كل أراضي القفقاس. وهكذا أصبح النزاع الروسي الشيشاني أبعد بكثير عن الحدود الجغرافية والإثنو - تاريخية للمعركة بين الطرفين.

مع عدم قدرة الطرفين الروسي والشيشاني على إيجاد حل للنزاع بينهما طوال خمسة عشر عاماً، أصبحت الأزمة الشيشانية تشكل خطراً متزايداً على الأمن القومي الروسي. فالعمليات التي يقوم بها المقاتلون الشيشان أدت إلى تكوين مزاجية عدائية لدى الكثيرين من المواطنين الروس نحو أبناء القفقاس عموماً. وأتت آخر عملية في مدينة بيسلان كتأكيد على مدى خطورة ما يجري وتأثيره على البنية القومية الروسية. بيسلان مدينة في جمهورية أوستيا حيث الأغلبية المسيحية، بينما تجد من اقتحموا المدرسة في هذه المدينة من المسلمين الروس وأصل بعضهم من إنغوشيا التي سبق وأن كانت على خلاف مع جارتها أوستيا وصل إلى نزاع عسكري بينهما تمكنت السلطات المركزية من إخماده بفضل عقلانية الزعيمين الأوسيتي والإنغوشي حينها. فأتت عملية بيسلان بمشاركة مسلمين من إنغوشيا (الجمهورية حيث الأغلبية من المسلمين) لتعيد التوتر بين القومين الأوسيتي والإنغوشي.

قبل ذلك وفي صيف عام ١٩٩٩، أدت الحملة التي شنها القائد الشيشاني شامل باسايف على بعض القرى الداغستانية إلى وقوف الكثيرين من أبناء داغستان بوجه الزحف القادم من الشيشان. حيث شاركت فصائل المتطوعين الداغستانية في تلك المعارك التي دارت بين الجيش الروسي والمقاتلين الشيشان. ما يعني أن حرباً حقيقية حدثت بين هذين القومين التابعين للاتحاد الفيدرالي الروسي. مع ذلك لا يمكن النظر إلى الأمر على أنه عداء بين الشعبين الداغستاني والشيشاني، كل ما حدث هو تعبير الداغستانيين عن رفضهم لأي تدخل خارجي في شؤونهم الداخلية، لا سيما وأن الهدف

الذي أعلنه باسايف في حملته تلك هو السيطرة على داغستان وضمها إلى دولة الخلافة الإسلامية التي يسعى لإقامتها.

رفض التدخل والإملاءات الخارجية هي صفة مميزة لشعوب القفقاس عموماً، فهم موصوفون بالكرم ونجدة الملهوف والكثير من الأخلاق والصفات والعادات والتقاليد الحميدة، إلا أنهم أحرار يرفضون أن يتدخل الغرباء بينهم. وهذا ما نلاحظه من خلال انقسام المجتمع القفقاسي مثلاً بين مؤيد للفكر الإسلامي الذي يطرحه باسايف وأتباعه، وبين رافضٍ لهذا الفكر باعتباره صورة غريبة للإسلام غير تلك التي توارثوها عن الآباء والأجداد.

ويمكن القول أن الأغلبية من أبناء القفقاس يرفضون الانصياع للتعاليم الدينية المتعصبة التي تطلقها الجماعات المسلحة المنادية بالانفصال عن روسيا.

القفقاس إذا وما يشهده من أحداث خير شاهد على مدى خطورة وجود ثغرات في البنية القومية في روسيا الاتحادية. وغالباً ما تكون هذه الثغرات نتيجة لعدم وجود فهم صحيح وشامل لدى أصحاب القرار فيما يتعلق بهذا القوم أو ذاك وعاداته وتقاليد وقوانين حياته الاجتماعية. من هنا تأتي أهمية هذه الموسوعة التي تلقي بعض الضوء على تاريخ وعادات وتقاليد الشعوب والقوميات في روسيا.

طوال السنوات الماضية حاولت بعض القوى أن تحول النزاع بين الجيش الروسي والمقاتلين الشيشانيين إلى نزاع ذي خلفية دينية (إسلامية مسيحية) إلا أن هذه المحاولات لم تأتِ بالنتائج المتوقعة، على الرغم من كل ما ظهر من أفكار جديدة في هذا الشأن بعد أحداث ١١ أيلول، وربط ما يوصف بـ «الإرهاب» بالدين الإسلامي. ولولا وجود وعي قومي ووطني لدى معظم شرائح المجتمع الروسي بكل قومياته ومن مختلف الأديان لتحولت روسيا إلى مركز من مراكز الصراع التي تسعى الولايات المتحدة إلى تثبيته كواقع. أما البنية القومية التي تعتبر من أهم مصادر قوة روسيا فإنها قد تتحول إلى القوة التي ستدمر روسيا في حال تحول الصراع إلى صراع ديني، فالإسلام لا يقتصر على منطقة القفقاس وشعوبها، بل هو موجود في وسط روسيا حيث الأقوام التترية والبشكيرية وغيرها، ناهيك عن التواجد الكبير لهذه الأقوام على ضفتي نهر الفولغا وغيرها من المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة لروسيا.

إضافة إلى هذه القوميات والشعوب الإسلامية الموجودة في إطار الاتحاد الفيدرالي الروسي، يعيش في روسيا مئات الآلاف من المسلمين من أبناء جمهوريات آسيا الوسطى

من هؤلاء من انتقل إلى روسيا واستقر فيها في العهد السوفييتي، ومنهم من أتى إليها في عهد الاستقلال باحثاً عن قوت يومه، حيث كانت روسيا وعلى الرغم من أزماتها الاقتصادية، الدولة الأقوى اقتصادياً بين كل الجمهوريات السوفييتية السابقة. مع مرور الزمن أصبحت روسيا بالنسبة للكثيرين من أبناء آسيا الوسطى وجمهوريات ما وراء القفقاس الوطن الثاني وحصلوا على الجنسيات والإقامات الدائمة.

من جانب آخر، فإن النزاعات القومية داخل روسيا الاتحادية التي تحاول بعض الأطراف تحويلها إلى نزاع ديني أو حملة موجهة ضد الإسلام، قد تترك أثرها على التوجهات الأساسية في سياسة روسيا الخارجية التي يُلاحظ أنها بدأت تركز على توطيد العلاقات مع الدول الإسلامية والعربية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن خطة (بريجنسكي) مستشار الرئيس كارتر، بتوريطه للسوفييت في أفغانستان، كانت تهدف إلى القضاء على أي أمل سوفييتي بإقامة علاقات وطيدة مع دول الشرق الأوسط الإسلامية، والتي تشكل منطقة مصالح استراتيجية للولايات المتحدة. حينها نجحت الخطة الأمريكية، فغرق السوفييت في المستنقع الأفغاني، وساءت علاقاتهم في الشرق الأوسط. لهذا يبدو واضحاً أن البنية القومية لروسيا - التي يشكل العنصر الإسلامي فيها نسبة ١٥٪ - هي عنصر حساس في السياسة الخارجية الروسية.

إن كثرة القوميات الموجودة ضمن الحدود الجغرافية لروسيا الاتحادية هي عنصر من عناصر قوة روسيا في حال تم التعامل مع التعدد القومي بالشكل السليم. حيث يعطي هذا الأمر تعددية في الأفكار والآراء، كما سيؤدي التعايش بين شعوب من ثقافات مختلفة إلى تكوين ثقافة عامة وحضارة قوية وهذا هو الحد الأول من السيف المسمى «تعدد القوميات»، أما الحد الثاني فقد يكون أكبر عنصر تهديد للأمن والاستقرار في روسيا إذا عجز المركز الفيدرالي عن الحفاظ على حقوق وحريات كل قوم من أقوام روسيا في إطار المصلحة العامة لكل الشعوب فيها.

هذا الجزء من موسوعة الشعوب والقوميات في روسيا الاتحادية يعطي صورة شبه شاملة عن الشعوب والقوميات التي تعيش تاريخياً ضمن حدود الدولة الروسية إضافة إلى الشعوب الجارة لروسيا. والمعرفة لتاريخ هذه الشعوب وعاداتها وتقاليدها ستشكل أرضية جيدة تساعد على فهم ما يجري في روسيا وما قد يجري.

المترجم

شعوب

القفقاس وجنوب روسيا

الأبازين (الأبازينيون)

يسمون أنفسهم (أبازا) يبلغ عددهم بشكل عام ٤٤ ألف نسمة، يعيش منهم ٣٣ ألف نسمة في جمهورية روسيا الفيدرالية، وبشكل رئيسي في جمهورية كاراتشايف - تشيركيس عضو الاتحاد الفيدرالي الروسي، إذ يعيش هناك ٢٧٥٠٠ أبازيني، ويعيش ما يقارب عشرة آلاف نسمة منهم في بلاد الشام (سوريا والأردن ولبنان) وفي تركيا أيضاً. ولغتهم الأصلية هي الأبازينية وينطقونها بلهجتين إحداهما أكثر قرباً للغة الأدبية، كما يستخدمون اللغة (الكابردين - شركسية) أحياناً، وتكتب الأبازينية منذ عام ١٩٣٢م على قاعدة الأحرف اللاتينية، ومنذ عام ١٩٣٨م على قاعدة الأحرف الروسية. الأبازينيون مسلمون، من أهل السنة.

الأبازينيون من السكان الأصليين لمنطقة القفقاس، عاشوا حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي في شمال غربي سواحل البحر الأسود ما بين نهري (توآبسيه وبزيبيو)، وفي فترة ما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر انتقلوا إلى المنحدرات الشمالية لسلسلة جبال القفقاس، وشغلوا المناطق الواقعة على ضفاف أنهر (لابي، أوربا، زيلينتشوك بفرعيه الصغير والكبير، ونهري كوبان وتبييردي). وفي بداية القرن السابع عشر وصل الإسلام إلى الأبازنيين، إلا أن عدداً كبيراً منهم، ولا سيما المجموعة الأبازينية الشاهرية، بقي مسيحيا أو من أتباع بعض الديانات التقليدية القديمة.

لم يكن للأبازينيين موطن محدد ودائم، ولم يكونوا مرتبطين قومياً بأرض معينة حتى بداية القرن التاسع عشر، وانحصر تواجدهم على ضفاف نهر كوبان ونهر كومي وروافدهما في مناطق الكاباردي، وكذلك على ضفاف نهري زيلينتشوك الكبير والصغير.

وفي عامي ١٨٥٦-١٨٥٧م. أسست سبع قرى أبازينية بمحاذاة نهر كوبان على طول خط سلسلة جبال القفقاس.

وتدل بعض المصادر غير الرسمية بأن أكثر من ثلاثين ألف أبازيني قد هاجروا باتجاه تركيا في فترة الحرب الروسية - القفقاسية عام ١٨١٧-١٨٦٤م[١]، وتدل مصادر أخرى بأن عدد المهاجرين قد بلغ خمسة وأربعين ألفاً، ويقي عدد آخر في منطقة كوبان. وفي فترة هذه الحرب تم ترحيل سكان الجبال[٢] إلى المناطق السهلية.

الحياة الاقتصادية: تمكن الأبازينيون من بناء نظام عمل متكامل يربط ما بين زراعة الأراضي وتربية الحيوانات، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكان العمل الرئيسي لهم قبل ترحيلهم من المناطق الجبلية إلى السهول هو التنقل مع الحيوانات بحثاً عن المراعي. واهتم الأبازينيون بتربية الخيول الأصيلة ويعتبر هذا العمل من الأعمال المشرفة، لهذا احتكره الأسياد والشرفاء والملاكون في المجتمع الأبازيني.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبحت الزراعة العمل الرئيسي لهم ومنذ بداية هذا القرن كانوا يستخدمون وسائل العمل الحديثة آنذاك، وقسموا العام الزراعي إلى ثلاث دورات زراعية، يزرع في كل منها محصول معين، وقد استخدموا الحيوانات في حراثة الأراضي، إذ يربطون المحراث بأربعة ثيران قوية، وكانوا يقسمون الأرض إلى أجزاء زراعية، إلا أنهم كانوا يقومون بهذا بالطريقة اليدوية، مستخدمين بعض الأدوات الزراعية المعدنية مثل المجرفة والشوكة. ويتعاون أفراد العائلة في إنجاز الأعمال الزراعية التي تتطلب جهداً كبيراً، حيث يجتمعون في موعد رش البذار وتعشيب الأرض وجني المحصول، والانتهاء من كل مرحلة من مراحل العمل يُعَدُّ عيداً يشارك فيه الجميع.

إضافة إلى ما سبق ذكره مارس الأبازينيون تربية النحل وإنتاج العسل، ولقد كان العسل عندهم واحداً من أهم السلع التجارية في الأسواق الداخلية والخارجية، وأخذت زراعة الحقول الصغيرة وصيد الحيوانات البرية دوراً ثانوياً في حياة الأبازيني العملية.

١- وهي الفترة التي شهدت فيها منطقة القفقاس صراعاً بين جيوش الإمبراطورية الروسية التي أتت كمستعمر غريب، وسكان القفقاس الذين هبوا للدفاع عن حريتهم -المترجم

٢- قامت الجيوش الروسية بترحيل أعداد كبيرة من سكان جبال القفقاس من مختلف الأقوام القفقاسية، نظراً للمقاومة العنيفة التي أبدوها، والصعوبات التي واجهتها جيوش الإمبراطورية الروسية في قمع هذه المقاومة نظراً لتعقيد تضاريس المناطق الجبلية -المترجم

أما الأعمال والحرف اليدوية فهناك أعمال أخذت طابعاً منزلياً، منها تصنيع الصوف وتحويله إلى لباس دافئ، وكذلك الأمر بالنسبة للجلود ودباغتها.

وكانت هذه الأعمال مقتصرة على النساء، أما الرجال فكانوا يقومون بأعمال النحت على الخشب والحديد والحجارة، وينحتون منها مختلف الأدوات المنزلية والزراعية وغيرها من الأدوات أو الحلي.

ولقد حدثت تغيرات جذرية على طبيعة حياتهم الإنتاجية والاقتصادية على مدى سبعين عاماً في ظل الحكم السوفييتي.

الحياة الاجتماعية: تكون المجتمع الأبازيني في القرن التاسع عشر من عدة تجمعات محلية، ويتألف كل تجمع من عدة عائلات متجاورة أو متقاربة، وسمي كل تجمع محلي باسم (الجماعة)، ولقد حافظ أفراد الجماعة على علاقات القربى فيما بينهم. وكما هو الحال في معظم التجمعات البشرية في القفقاس كان المجلس العام ومجلس الشيوخ يلعبان دوراً إدارياً وتنظيمياً وقضائياً في المجتمع الأبازيني، ويتراوح عدد أعضاء مجلس الشيوخ ما بين عشرة وأربعة عشر عضواً، وعلى الرغم من أن الجماعات بدأت تتفكك مع مرور الوقت، إلا أن المجالس حافظت على وجودها ودورها.

وفي عام ١٨٦٥م تأسست المحكمة الجبلية، وكان هذا في ظل الإصلاحات الإدارية التي جرت في الإمبراطورية الروسية آنذاك، ويعمل في هذه المحكمة القضاة الشرعيون وأعضاء البرلمان المحلي المنتخبون، وعملت هذه المحاكم على أسس قوانين الشرع الإسلامي وقوانين العادات والتقاليد المحلية، إذ يضع البرلمانيون حلاً للخلاف على أساس العادات والتقاليد، بينما يضع القضاة الحل على أساس الشرع الإسلامي. وفي عام ١٨٦٨م افتتحت المحاكم في المديريات والقرى وتوسعت مجالات الاعتماد على قوانين الشريعة الإسلامية والقوانين المدنية الروسية في حل الخلافات، وفي الوقت نفسه تم الحفاظ على الكثير من تقاليد المعهد القضائي الأبازيني مثل مشاركة الوسطاء والمحلفين في عمل المحكمة.

ظهر لدى الأبازينيون في القرن التاسع عشر شكلان من العائلات، وهما الكبيرة والصغيرة، إذ إن العائلة الكبيرة تعني وجود أكثر من ثلاثة أجيال من أب

(جد) واحد، أما الصغيرة فتقتصر على جيلين متتالين أو ثلاثة أحياناً (الأبناء وأبناء الأبناء)، يعيشون في منزل واحد (دار كبيرة) أو تجمع سكني خاص بهم، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان عدد أفراد الأسرة يتراوح من سبعة إلى عشرين فرداً، ولقد تم الحفاظ على التجمعات العائلية الكبيرة، حيث كانت طبيعة الحياة الاجتماعية تفرض هذا الشيء.

ويشغل كل زوجين في العائلة الكبيرة منزلاً مستقلاً يشيد في حدود عزبة (دار) العائلة، أما العائلة الصغيرة فتعيش في دار عامة يشغل كل زوجين فيها غرفة مستقلة. ونتيجة للإصلاحات الإدارية والقضائية التي شهدتها منطقة القفقاس في القرن التاسع عشر، قل عدد العائلات الكبيرة بشكل ملحوظ.

يترأس العائلة الكبيرة والد الأبناء الذين يشكلون الفروع، ويسمونه (آبا) ويستلم ابنه الأكبر زمام الأمور بعد موته.

وتحكم الأسرة الأبازينية عادات وتقاليد صارمة في احترام الكبير للصغير، والنساء للرجال، ويمتثل كل أفراد العائلة لرغبات وقرارات الأب (الرأس)، وتلعب هذه العادات دوراً مهماً في تجنب الخلافات الحادة التي قد تحدث بين الأب وأبنائه، وفي الأسرة بشكل عام.

أما الأم فهي سيدة المنزل وكبيرة نسائه وبعد موتها تحل مكانها زوجة الابن الأكبر. وهكذا، فإن الحياة داخل الأسرة الأبازينية تقوم على أساس النظام الأبوي التقليدي وكل ما ينبثق عنه من واجبات واعتبارات.

القرية والمسكن: القرى الأبازينية التقليدية هي عبارة عن عدة منازل متباعدة فيما بينها منتشرة على ضفاف الأنهر الكبيرة وفروعها، وتقسم القرية إلى أحياء تحمل طابع المحميات السكنية، أما القرية السهلية فغالباً ما تكون منازلها متقاربة فيما بينها.

وكانت القرى الجبلية تبنى على شكل أعشاش في الأجواف الجبلية والسفوح والمنحدرات البسيطة. ويتميز شكل القرى الأبازينية بالسور القوي الذي يحيط بها، وله مدخل واحد فقط. وقد زالت الأسوار من معظم القرى الجبلية بعد ترحيل سكانها إلى المناطق السهلية.

بنى الأبازينيون منازلهم قديماً على شكل دائرة مجدولة من مختلف المواد، كما تُعَدّ المنازل مربعة الشكل من المنازل التقليدية عندهم، ويتألف المنزل من حجرة واحدة وأحياناً من عدة حجرات، وكانت الحجرة المركزية بمثابة مطبخ ومنامة لرب الأسرة، إذ إن الموقد يكون في هذه الحجرة.

مع مرور الوقت وبعد أن احتك الأبازينيون مع الشعوب الروسية تغيرت طريقتهم في بناء المنازل، فأصبحوا يبنونها من القرميد أو من جذوع الشجر العريضة، ويغطون الأرضية والسقف بالخشب، مما يساعد في الحفاظ على الدفء في المنزل، ويدعمون السقف بجسور معدنية أو حجرية. ويستخدم السجاد لتغطية أرض المنزل كما يعلق على الجدران أحياناً، وغالباً ما يكون هذا في منازل الأغنياء.

تصنع قطع أثاث المنزل الأبازيني من الخشب، أما الأدوات المنزلية فتكون إما فضية أو معدنية، وهذا بحسب الوضع المادي للأسرة، والشيء الوحيد الذي لا بد من وجوده في كل بيت ومنزل - بغض النظر عن الوضع المادي - هو المنزل الصغير المخصص لاستقبال الضيوف، ويبنى هذا المنزل في حدود العزبة (الدار) ولم يعد الأبازينيون يبنون هذه (المضافات) في وقتنا الحالي، إلا أنه لا بد من وجود غرفة خاصة لاستقبال الضيوف في كل بيت.

في القرن الرابع عشر كانت العزبة أو الدار الأبازينية تحتوي على عدة منازل أو أبنية سكنية، كان أكبرها لرب الأسرة، وحولها عدد من المنازل الصغيرة (حجرة واحدة) للأبناء المتزوجين، وبعيداً عن هذه الأبنية السكنية تشيد الحظائر للحيوانات، وتكون مغلقة من جميع الجهات، مع وجود مخرج واحد باتجاه قطعة أرض صغيرة للعجول والخراف الصغيرة، كما تشيد أمامها حجرات خاصة لحماية التبن وغيره من الأعلاف التي تستخدم في الشتاء.

الأزياء: تأخذ الأزياء الأبازينية طابعاً قفقاسياً عاماً، ويمكن مشاهدة الأزياء في وقتنا الحاضر على كبار السن، أو في الأعياد القومية، بينما يرتدي جيل الشباب الأزياء العصرية الحديثة.

الأعياد: تربط أعياد الأبازيني بطبيعة حياتهم العملية، إذ إن معظم احتفالاتهم وأعيادهم مرتبطة بالأعمال الزراعية مثل بدء الموسم، جني المحصول، وكل ما يتخللها

من مراحل العمل زراعي، وهي بمجموعها أعياد مهمة وتقليدية. وهناك أعياد تحمل طابعاً دينياً مثل عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد المولد النبوي.

الفولوكلور الأبازيني: تعتبر قصص الأدب الروائي وحكايا بطولات الأجداد التي تتناقلها الأجيال، من أهم مزايا الفولوكلور الأبازيني، وكذلك الأمر بالنسبة للقصص والمغامرات الشعبية. وتنتشر الأغاني الوجدانية والعاطفية التي غالباً ما تكررها فرق الغناء الشعبية عندهم.

التاباسارانيون

هم السكان الأصليون لداغستان. يبلغ عددهم فيها ٧٨,٢ ألف نسمة (إحصائية عام ١٩٨٩)، وينتشرون في المناطق الجنوبية والشرقية من داغستان (منطقتي خيقسك وتاباسارانسك وفي سهول منطقة ديربينسك، وفي الأجزاء المجاورة للجبال من منطقة تاباسارانسك). ويصل عددهم في روسيا الاتحادية عموماً إلى ٩٣,٦ ألف نسمة. أما عددهم الاجمالي في روسيا وخارجها فيبلغ ٩٧,٥ ألف نسمة.



مشهد من قرية تباسارانية



زي فولكلوري تباساراني

يتحدثون باللغة التباسارانية التي تتميز فيها لهجتان، شمالية وجنوبية، وتقوم لغتهم الأدبية على اللهجة الجنوبية. تُكتب لغتهم باعتماد الأحرف الروسية، وينتشر بينهم كتابة وقراءةً اللغة الأذربيجانية.

التاباسارانيون مسلمون من أتباع السُنَّة.

كانوا في الماضي جزءاً من ألبانيا القفقاسية، التي تشير المصادر التاريخية إلى أنه بعد سقوطها تم ذكر مناطق التاباساران باعتبارها مناطق مستقلة ذات سيادة. فالمؤرخ الأرمني (فافستوس بوزاند القرنين ٤-٥ ميلادي) يخبر عن جيوش (التافاسباروف). ومؤرخ أرمني آخر (إيغشيه القرن الخامس ميلادي) يقول في مؤلفاته:

(وكل جيوش التافاسباروف، السهلية والجبلية، وكل الحصون في بلاد الجبال التي لا يمكن السيطرة عليها). بهذا الاسم (تافاسباروف) ورد ذكرهم أيضاً في المؤلفات الأرمنية التي يعود تاريخها إلى القرن السابع ميلادي.

قبل بداية القرن التاسع عشر قامت في مناطق التاباسارانيين منطقتا ملكية رئيستان: تاباساران الشمالية وتاباساران الجنوبية. وكانت مقسمة إلى باكاوات[1]. إلى جانبهم كانت هناك اتحادات المجتمعات القروية. وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر تم ضم تاباساران إلى روسيا.

الحياة الاقتصادية: من أهم الأعمال التقليدية التي مارسها التاباسارانيون كانت الزراعة، حيث اهتموا بشكل رئيسي بزراعة الحبوب والسنبليات. وزرعوا أيضاً الكروم وتحديداً كروم العنب. إلى جانب الزراعة اهتموا أيضاً بتربية الحيوانات (الأبقار - الثيران - الخراف).

كانت زراعة الحبوب والقمح تتركز بشكل رئيسي في المناطق الأقرب إلى السهول وفي السهول. استعملوا في الأعمال الزراعية الأدوات القديمة المعروفة للحراثة والحصاد وغيرها من أعمال، كلها كانت تمارس باستخدام الأدوات القديمة، التي غالباً ما تكون مصنوعة بشكل رئيسي من الحديد والأخشاب، وتُستخدم الحيوانات - الثيران على سبيل المثال في الأعمال الزراعية.

أما الحرف والمهن التقليدية التي كانت سائدة عندهم فقد عُرف التاباسارانيون بصناعة السجاد اليدوي وكانت هذه الأعمال تتركز في مناطق (خوتشين، أركيت، تينيت، ويرسي) كما عُرف عنهم مهارتهم في النقش على الأخشاب، إضافة إلى أعمال الحياكة والنسيج بطرق يدوية. واهتموا أيضاً بمعالجة الجلود وإعدادها لصناعة الألبسة والأحذية. وكانت هناك بعض الأعمال والحرف في مجال معالجة المعادن لتصنيع الحلي والأدوات المنزلية والمطلوبة للأعمال الزراعية أيضاً. ما زالت صناعة السجاد من الأعمال التي يمارسها التاباساراني حتى أيامنا هذه، حيث تم تأسيس معامل وورشات لإنتاج مختلف أنواع السجاد.

١- أي الى ملكيات على راس كل منها شخص يحمل لقب (البيك). -المترجم

يقوم المجتمع التاباساراني بتقسيم الأعمال بين الرجال والنساء، حيث يقوم الرجال بالأعمال الزراعية التي تتطلب قوةً وجهداً، إضافة إلى بعض الأعمال الإنتاجية، مثل العمل في مجال النقش على الحجر والأخشاب وأعمال التعدين وغيرها. أما النسوة فيقمن برعاية الحيوانات، وجمع حليبها لصناعة الأجبان والألبان، إضافة إلى أعمال الحياكة والنسيج. بينما كان الشباب والشابات في مطلع العمر يلعبن دور العنصر المساعد لكلا الطرفين.

القرية والمسكن: يكون شكل القرية عند التباساران، مثل ما نسميه اليوم (تيراسات) أي درجات سلم يمتد على سفح الجبل، تكون فيه المنازل منتظمة فوق بعضها بعضاً. ومن صفات القرية الجبلية أنها تقوم في المناطق التي يصعب وصول الطامعين إليها، فتلعب التضاريس والموقع دوراً دفاعياً للقرية يتم تحديده منذ البداية أثناء اختيار موقع تشييد المنازل. الشكل الأكثر قدماً للقرية هو القرى الصغيرة التي يعيش فيها أبناء الأسرة الواحدة (الذين ينتمون إلى أب واحد) وتُسمى كما جرت العادة عند معظم شعوب داغستان، باسم التوخوم. وتلاشت هذه الظاهرة مع بداية القرن التاسع عشر حيث أصبحت القرية أكبر ولا تقتصر على أبناء أسرة واحدة، بل عدة أسر. وفي كثير من الحالات كانت تُسمى بعض أجزاء القرية باسم الأسرة التي تعيش فيها.

في كل قرية يوجد مقر اسمه (غوديكا) ويكون عادة بالقرب من المسجد، ويلعب هذا البناء دوراً اجتماعياً، حيث يجتمع فيه الرجال لحل الخلافات المتنوعة التي قد تنشب بين أبناء القرية، كما كانوا يضعون جدول الأعمال الزراعية ويقومون بتقسيم الأراضي لكل موسم. أي أن هذا البناء أو المقر كان يلعب الدور الاجتماعي - العملي لكل أبناء القرية.

التوخوم الإطار الذي يجمع أبناء الأسرة الواحدة لم يكن للأحياء فقط، حيث جرت العادة أن يكون هناك توخوم في بعض المقابر عند التاباساراني. فيدفن الأموات من الأسرة الواحدة ضمن تجمع واحد تكون فيه قبورهم بجانب بعضها بعضاً.

يُشيد المنزل التقليدي عند التاباساران من الحجر ويكون من طبقتين، تخصص الطبقة الأولى لمتطلبات الحياة العملية، حيث قد تكون مخصصة للحيوانات المنزلية

وأعلافها، وتُستخدم أجزاء منها كمستودع للمواد الغذائية واحتياجات الأسرة خلال فصل الشتاء من أخشاب ووقود. في بعض الحالات كانت تُشيد هذه البنى التحتية الضرورية للحياة العملية بالقرب من المنزل المخصص للسكن لكن ضمن حدود الأرض التي تملكها الأسرة وداخل الجدار الذي يحدد هذه الأرض.

أما الطبقة الثانية فتكون بالطبع مخصصة للسكن، ويكون فيها ما يشبه الشرفة. وتكون الجدران عريضة بحيث يمكن استخدام بعض الفتحات فيها لوضع الفراش ومستلزمات النوم، ويُستخدم جزء آخر كبديل عن الخزانة المخصصة لحفظ المواد المنزلية. الموقد هو من الرئيسيات في المنزل التاباساراني الذي يتم بناؤه من الحجارة والأخشاب.

يعلق التاباساراني السجاد الجميل على جدران بعض غرف المنزل، إضافة إلى مختلف القطع المعدنية التي تعطي شكلاً جميلاً للجدار وتعبر نوعاً ما عن بعض العادات والتقاليد والقيم لدى التاباساران.

الألبسة التقليدية عندهم تأخذ الطابع الداغستاني العام. فيرتدي الرجال عادة قميصاً إضافة إلى سروال من دون جيوب، وفوقهما معطف إما من الفرو للشتاء أو من مادة غير الفرو في الفصول الأخرى، ويضعون على رؤوسهم قبعة دائرية الشكل أو سداسية أحياناً. على القدمين غالباً ما يرتدون الجوارب التي تصنعها النسوة من الصوف الطبيعي، وفوقها حذاء جلدي طويل يغطي الثلث الأسفل من القدم. أما زينة زي الرجل فيكون الحزام الذي يشد على الخصر ويُعلق عليه حلي معدنية غالباً ما يكون الخنجر العنصر الأهم بينها.

أما الزي التقليدي للتباسارانيات فيتألف من ثوب طويل تحته سروال عريض يُسمى عادة (شاروفاري)، إضافة إلى غطاء الرأس الذي يتألف عادة من قبعة مزركشة يعلوها إشارب (شال) طويل وعريض يغطي الرأس والكتفين والصدر. ويكون الثوب مزركشاً في منطقة الصدر بالحلي المصنوعة من الفضة ويحتوي على القطع المعدنية الفضية وغيرها من أشكال الحلي. وينتعلن الأحذية الجلدية الجميلة.

لتحديد صلة القربى لدى التاباساران هناك عدة أشكال، أكثرها انتشاراً هو التوخوم، حيث لا يختلف من حيث المعنى عن بقية التسميات لأنه مثلها يُشير إلى صلة

القربى بين أفراد الأسرة الواحدة الذين ينتمون إلى جد واحد. حيث تمتد صلة القربى من ناحية الأب حتى الجيل السابع من الأحفاد ولكل توخوم اسمه الخاص، غالباً ما كان يحمل اسم الجد الأكبر للعائلة التي شكلت التوخوم. وبينما كانت العائلات الكبرى تملك الحق في تأسيس التوخومات، لم يكن (الرايات - الفلاحون المستقلون) يملكون الحق بتأسيس توخوماتهم الأسرية. كانت بعض التوخومات توافق على انضمام أفراد أو أسر جديدة وصلت لتستقر في مناطقهم آتية من مناطق أخرى. بهذا يكون التوخوم أوسع من مجرد تجمع لأفراد العائلة الواحدة، ويتحول بذلك إلى بنية اجتماعية مستقلة تقوم بحل مشكلاتها وتنفيذ أعمالها بإدارة ذاتية مستقلة نوعاً ما عن الآخرين. من قوانين التوخوم، أنه كان يملك الحق بطرد الأشخاص السيئين من صفوفه، وأحياناً يمكن طرد عائلة بأكملها يكون اسمها قد تلطخ لسبب ما. ولكل توخوم قطعة أرض خاصة به يثبت ملكيته لها عبر الأجيال، ويمارس عليها أعماله الزراعية وتربية الحيوانات، وقد يستخدمها لتشييد المنازل الجديدة. وكذلك الأمر بالنسبة للمراعي حيث لكل توخوم مراعيه الخاصة بموجب تقسيم يتم بين التوخومات (التجمعات الأسرية) التي تعيش في قرية واحدة. أما المكان الذي يخصص لمبيت قطعان الماشية التابعة للتوخوم، فإنه يكون غالباً بالقرب من أبواب مزرعة رأس التوخوم، الذي تجري فيه عادة جلسات التوخوم، وزعماء الأسر التي يضمها.

من العادات التي ما زال التاباساران محافظين عليها، هي التعاون والتكافل، وتقديم العون للمحتاج، إضافة إلى عادة الأخذ بالثأر، وعادات استقبال الضيوف بأجمل شكل ممكن. ومن العادات عندهم نذكر أيضاً عادة إعطاء طفل من الأسر التي يكون عدد أفرادها كبيراً إلى الأسر التي يكون عدد الأبناء فيها محدوداً، بحيث تقوم الأسرة الثانية بتربيته، وهذا ما يؤدي إلى بناء رابطة قرابة جديدة غير تلك الرابطة التي نسميها قرابة الدم، أو النسل. إلى جانب هذا التقليد، هناك تقليد آخر، حيث تقوم بعض الأسر بإرسال موليدها إلى امرأة مهمتها الإرضاع، بشرط أن يُعطى إلى امرأة من أسرة يكون وضعها الاقتصادي جيداً إلى حد ما. تؤخذ صلة القرابة عبر الأب، وعبر أهل الأم أيضاً.

حتى بداية القرن التاسع عشر كانت الأسرة المتوسطة هي الطابع الغالب على عدد أفراد الأسرة التاباسارانية، وحتى مطلع القرن العشرين حافظوا على عادات

العيش المشترك لأفراد الأسرة، أي الأبناء في منزل الأب أو ضمن حدود المنزل الأبوي، حيث يُشيد لهم منزل مستقل بالقرب من منزل الأب. كما أن شروط الحياة في منزل الأسرة الكبير إلى جانب منزل الأب يفرض على الجميع اتباع القوانين والعادات الاجتماعية التي تملي على الجميع احترام النساء والعناية بهن (الأم، الأخوات، الزوجة، الجدة..). بالنسبة للزواج واختيار الزوج أو الزوجة، فلم تكن هذه المهمة مقتصرة على الوالدين والأخوة، بل يتفاعل خلالها كل الأقارب ويتساندون في اختيار الزوجة لابنهم، أو بقبول فلان من الناس زوجاً للابنة. من الممنوعات في هذا المجال هو الزواج بين العائلات التي تربطها صلة قرابة غير الدم، أي بين العائلات التي تربطها صلة الإرضاع. ويتم الزواج بالخطبة أولاً، وهناك بعض الحالات التي يتم خلالها خطف العروس من بيت أهلها، ومن ثم يتم الزواج الذي تستمر احتفالاته لعدة أيام تصل إلى الأربعة في الكثير من الحالات، يتخللها الرقص ومختلف الفعاليات مثل المبارزات والسباق وما إلى ذلك.

ديانة التاباساران الرسمية هي الإسلام، لهذا من الضروري أثناء تشييد أي حي جديد أن يتم بناء مسجد فيه. وكانت المساجد تلعب دور المدرسة في بعض الحالات ودور المؤسسة الروحانية الدينية لأبناء القرية. إلى جانب الإسلام ما زالت هناك بقايا بعض الديانات التي كانت قبل الإسلام، حيث يبرز هذا في بعض الأعياد الشعبية لدى التاباساران.

فن العمارة التباساراني، من أكثر فنون العمارة شهرة بين شعوب داغستان. حيث ما زالت بعض العلامات التي ميزت مرحلة ما قبل الإسلام تظهر في بعض الأعمال عندهم، منها مثلاً ما يشبه الصليب على بعض القبور القديمة. ويحتمل أن الكثير من هذه المظاهر أتت إلى شعوب داغستان خلال مرحلة دولة ألبانيا القفقاسية. عمل آخر بلغ عندهم مستويات راقية، ألا وهو فن النحت والنقش على الخشب.

الفلوكلور التباساراني غني بالكثير من القصص والحكايا والأساطير الحياتية والخيالية والعاطفية وغيرها. إضافة إلى الكثير من الأمثال والحكم الشعبية التي ما زال جزء كبير منها حيّاً حتى يومنا هذا.

من أكثر الأعياد عندهم قدماً هو عيد الربيع الذي يسمى بلغتهم عيد (إبليتسين). فلكلورهم الفني الموسيقي الغنائي هو الآخر غني أيضاً بالكثير من الرقصات والنغمات الشعبية المتوارثة من جيل لآخر.

لعبت المرأة عادة دور طبيب المنزل، وفي كل قرية يوجد طبيب شعبي، الذي تصل سمعته أحياناً إلى الكثير من القرى المجاورة. وتوارث البعض الطب والمعالجة عن أبائهم. والشهرة الأكبر كانت للجراح أوستا خليل في القرن التاسع عشر ميلادي. ومصحح العظام (يعالج الكسور والرضوض) الحاج عوماروف، والطبيبة زهرة سعيد اللايفا. واستخدم هؤلاء في عملهم مختلف وسائل الطب الشعبي، العلاج بالأعشاب، وبالمواد الحيوانية، أي العظام أو الدهون أو غيرها من مواد تؤخذ من الحيوانات بغرض تحويلها إلى مادة علاجية.

خلال السنوات الأخيرة وفي ظل السلطات الحديثة في مناطقهم نشأت لدى التاباساران طبقة المثقفين القوميين، وكان للعادات والتقاليد تأثيرهما على الثقافة القومية التي نشأت وتجسدت بوضوح في المرحلة الحديثة من تاريخ التاباساران. كما أن الأدب القومي شهد هو الآخر تطوراً ملحوظاً فبرز شعراء وأدباء قوميون، مثل: جافاروف، وخان محميدوف، ميتاروف، وغيرهم. وفي المجالات العلمية برز عندهم: البروفيسور خانت محميدوف، وريزوخانوف، ويوسوفوف، وغيرهم.

في عام ١٩٩١م أسس المثقفون ورجال الفن القومي مؤسسة (تباساران) الثقافية التاريخية، وأهم أهدافها هو حماية مصالح الشعب التاباساراني، وإعادة تجديد العادات التي ذهبت مع الزمن، وكذلك تنشيط المهن اليدوية التي كانت من الأعمال التقليدية لدى التاباساراني. تم أيضاً تأسيس المتحف القومي والكثير من النشاطات الأخرى التي من شأنها إعادة إحياء ثقافة وتاريخ التاباسارانيين. في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٩٢م عُقد المؤتمر الأول للشعب التاباساراني.

التينداليون

هم السكان الأصليون للمناطق الشمالية الغربية من داغستان، يبلغ عددهم في روسيا الاتحادية قرابة العشرة آلاف نسمة. يتمركزون بشكل رئيسي في مناطق (تسومادينسك، خاسافيورت، كيزليار) الداغستانية. يتحدثون باللغة التيندالية، التي تتميز فيها بعض اللهجات. يكتبون باللغة الآفارية. التينداليون مسلمون سُنّة.

في المصادر التاريخية العربية والجورجية يُطلق على كل شعوب شمال غرب داغستان اسم شعوب الديدو أو الديدويتسي. وورد ذكر التيندال في مؤلفات محمد رافي (تاريخ داغستان) (القرنين ١٤-١٦ ميلادي). ويشغل التينداليون مجموعة من القرى ويشكلون عدداً من الجماعات (تيندي، أكنادا، أنغيدا، آششا، وغيرها). لعب التينداليون دوراً في الأحداث السياسية التي شهدتها داغستان. بموجب اتفاقية هولستان عام ١٨١٣م تم ضم داغستان إلى روسيا. وأثناء الحرب القفقاسية ١٨١٧-١٨٦٤م تميز الرجال والشباب التينداليون بوفائهم للقائد الإمام شامل أثناء الحرب من أجل الاستقلال. كان لهم أيضاً دور مهم في الثورة القفقاسية المعروفة باسم ثورة الجبليين عام ١٨٧٧م.

من أهم الأعمال التقليدية التي مارسها التينداليون، كانت الزراعة وتربية المواشي. ولم يكن هناك الكثير من الاختلاف في حياتهم العملية التقليدية مقارنة ببقية شعوب داغستان. حيث ركزوا اهتمامهم على زراعة الحبوب والسنبليات التي تُستخدم لحاجات المنزل الغذائية، إضافة إلى الاستفادة من بقاياها كعلف للماشية.

بالنسبة للمواشي ورعيها، فكانت الخراف مثلاً تُربى لكن لم يكونوا يتنقلون بها من مرعى إلى آخر، وكانت تبقى ضمن حدود مزرعة الأسرة، أو أراضيهم التي يستخدمونها لتربية الماشية وكذلك الأمر بالنسبة للماشية ذات القرون مثل الأبقار

والثيران وغيرها، إلا أنهم كانوا يطلقونها ويخرجون معها للبحث عن المرعى خارج حدود القرية في شهرين أو ثلاثة أشهر خلال فصل الشتاء.

من الأعمال والمهن التقليدية عندهم نذكر أعمال الحدادة ومعالجة الصوف والجلود وإعدادها للاستعمال في شتى المجالات ولصناعة الألبسة بشكل رئيسي.مارسوا أيضاً أعمال الصيد، وتربية النحل.

كانت قرية تيندي واحدة من أهم المراكز التجارية لمنطقة شمال غرب داغستان. مع مطلع القرن العشرين بدأت تظهر في شوارعها المحالّ التجارية.

بالنسبة لحياتهم الثقافية والفلوكلور، فهم يشتركون مع الآفاريين في هذا المجال ولا تختلف عن ثقافتهم وفلكلورهم.

اجتماعياً فإن السلطة العليا في المجتمع التيندالي التقليدي كانت بيد اجتماع مجلس المجتمع الحر، الذي يضم قادة الجماعات الموجودة في القرية. والجماعة تكون عادة إما من أسرة واحدة وقد تكون من أكثر من أسرة وعائلة. ويجتمع هؤلاء للضرورة فقط وفي حال تطلب الموقف اجتماعهم من أجل حل القضايا الاجتماعية والسياسية المهمة، لحل خلافات ما قد تنشب بين جماعة وأخرى أو بين العائلات، أو حتى بين الأفراد. والشخصية القيادية الأولى (الزعيم) في هذا المجلس القروي يكون عادة نفسه إمام المسجد الرئيسي في قرية تيندي. واستمر الوضع على هذه الحال إلى أن تم تغيير النظام السياسي الاجتماعي عندما أدخل الإمام شامل ما يُعرف باسم النيابيات أو (النائبيات) كإطار اجتماعي سياسي للشعوب في القفقاس. وكانت تحل القضايا المهمة بالتشاور والاتفاق بين الجميع وبحضور الشخصيات التي تتمتع بوضع اجتماعي مميز، بحيث يكون الحضور من الرجال فقط والذين يبلغون الأربعين عاماً وأكثر. ويجتمع هذا المجلس كل يوم جمعة في بناء المسجد الرئيسي. القضايا الخلافية والقضائية كانت تُحل بموجب قوانين العادات التي لا تختلف عن ما نسميه القوانين المدنية، إضافة إلى قوانين الشريعة الإسلامية.

تقوم العلاقات في المجتمع التيندالي على الحرية الشخصية، وارتباطها مالياً وأخلاقياً بالتوخوم العائلي (مجموعة الأقارب التابعين لأب - جد واحد)، وأن يكون الفرد مخلصاً وفياً لقريته، وللجماعات فيها، ولمجلسها.

شكلت الأسرة الصغيرة اللبنة الرئيسية للمجتمع التيندالي، وتتحد هذه العائلات في التوخوم (حسب صلة القربى من جهة الأب). التعاضد والتلاحم بين أبناء التوخوم الواحد أثر على قوة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة (الزواج بين أبناء التوخوم الواحد كانت من الأمور التي يشجعونها). الاتحاد بين أفراد الأسرة الذين ينتمون إلى جد واحد لم يكن مجرد رابطة اجتماعية، فهي اقتصادية أيضاً، حيث تملك العائلة الأراضي التي يملكها أبناء التوخوم، وتكون الملكية في بعض الحالات جماعية، بحيث يقوم الكبير في التوخوم بتوزيع الأراضي في المواسم بين الأسر التي يتشكل منها التوخوم.

تميزت العلاقات داخل الأسرة التيندالية بلعب الزوج (الأب) دور الشخصية الرئيسية، بحيث يحترمه الجميع (الأبناء - الزوجة - الأحفاد).الميزة الثانية في العلاقة داخل الأسرة هي احترام الكبير للصغير واحترام الزوجة لأهل الزوج والعكس.

يولي التينداليون أهمية كبيرة للكمال الروحاني والجسدي. وتُعرف قرية تيندال بأنها المركز الديني الروحاني للقرى الجبلية في داغستان، وتحديداً لتلك المحيطة بقرية تيندي.

ما زال التينداليون يحافظون على كل الأعياد والمناسبات الإسلامية. وهناك الكثير من الأعياد والمناسبات القديمة عندهم التي يرتبط البعض منها ببعض الديانات أو الشعائر القديمة، مثل شعائر استدعاء الشمس وطلب المطر. ومن أكثر الأعياد القديمة أهمية عندهم هو عيد (كيدويا) الشعبي، الذي يقوم على تجسيد فكاهي لحفلة زفاف يكون العريسان فيها من الدمى. ويقيم التينداليون هذا العيد عادة في الشتاء.

خرج من أوساط التينداليون الكثير من المعلمين والأطباء والمختصين، إضافة إلى شخصيات اقتصادية مهمة والعلماء. في الوقت الذي كانت فيه عملية التطور العلمي الحديث جارية عند التيندالي، تراجعت عملية تطورهم في مجال الثقافة القومية بتأثير عوامل مصطنعة[1]. وتركت عملية الترحيل الجماعي لشعوب القفقاس والتيندالي بينهم على كل جوانب الحياة لدى هذا الشعب بصورة سلبية.

١- الأغلب ان المؤلف أراد هنا الإشارة الى تأثر ثقافة شعوب التيندالي بالحقبة الشيوعية وما اتت به من افكار ونظريات جديدة اثرت على البنى الاجتماعية للكثير من الشعوب الصغيرة مثل التيندالي، واثرت أيضاً على حياتهم الفكرية والثقافية والعلمية، وبالطبع على الحياة الدينية أيضاً. -المترجم

مجموعة الشعوب الآديغية

يسمون أنفسهم (آديغي)، ويبلغ عددهم في روسيا الفيدرالية ١٢٢٩٠٠ نسمة، يعيش العدد الأكبر منهم في جمهورية أديغييا عضو الاتحاد الفيدرالي الروسي حيث يبلغ عددهم فيها ٩٥٤٠٠ نسمة، ويعيش عدد منهم في المناطق المجاورة لأديغييا مثل: إقليم كراسنادار ويبلغ عددهم هناك ٢٠٨٠٠ نسمة، كما يعيش بعضهم في تركيا وأذربيجان وبلدان الشرق الأوسط.

يتحدث الأديغيون باللغة الأديغية التي تكتب على قاعدة الأحرف الروسية. والأديغيون مسلمون، من أهل السنة.

الأديغيون، كغيرهم من الأقوام والشعوب الأديغية، هم من أحفاد القبائل التي عاشت في القفقاس منذ القديم، والتي كانت تعيش حياة متنقلة معتمدة على الصيد، ولقد تغير أسلوب معيشة هذه القبائل بعد استقرارها، كما أنها ساهمت في نشوء السلالة الآديغية.

وفي القرن الرابع عشر لعبت المحطات التجارية (الغينوزسكية)[1] دوراً في حياة الأديغيين، الذين كانت لهم تجارة قوية مع هذه المحطات، إذ إن تدخل الغينوزسك في شؤون الأديغيين الداخلية أدت إلى قيام عدة انتفاضات وبشكل رئيسي في القرن الخامس عشر. وفي القرن السادس عشر تمكن خان[2] شبه جزيرة القرم التتري من احتلال أراضي الأديغيين، إلا أن الأديغيين رفضوا دفع الجزية وإعلان الطاعة والولاء له. ويؤكد المؤرخون أن هذا الاحتلال قد لعب دوراً كبيراً في نشر الإسلام عند الأديغيين، على الرغم من أن انتشار الإسلام قد واجه في البداية رفضاً ومقاومة.

١- نسبة لقبائل الغينوزسك التي كانت جزءاً من دولة التتار منغولية آنذاك -المترجم

٢- لقب سياسي تتار منغولي يطلق على زعماء الدويلات والإمارات التابعة لدولة التتار منغولية، أما الدويلات فكان يطلق عليها اسم (خانات). -المترجم

وهناك عوامل داخلية تركت أثرها على الأديغيين، فلقد أثرت النزاعات الداخلية، والصراع بين الشيوخ والأمراء على السلطة سلباً على تطور الأديغيين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

وكان الأمير يترأس المجتمع الأديغي، ومن حوله الكثير من الأتباع والخدم، الذين كانت تربطهم به علاقات تختلف باختلاف المهمة أو المنصب الذي يشغله أحدهم، وعلى الرغم من أن العامة كانوا من الأحرار، ولم يكونوا عبيداً للأمير، إلا أن العادات والتقاليد المحلية كانت تفرض عليهم أن يقدموا الطاعة والولاء له ولحاشيته. وعلى الرغم من انتصار الأمراء وأتباعهم من القبائل[1] (الشابسوغية) و(البيجيدغوسكية) على الفصائل الانتقامية من قبائل (الشابسوغ والأبادزيخ)، إلا أن هذه الحرب قد حوت من سلطات الأمراء وحاشيتهم، وتذكر المصادر التاريخية بأن القفقاسيين قد دعموا الأمراء في هذه الحرب، إلا أن هذا الدعم لم يساعد الأمراء في إعادة دورهم وقوتهم في حياة القبائل الأديغية.

وعندما انتقل الخط القفقاسي العسكري الروسي إلى ضفاف نهر كوبان، اصطدمت القوات الروسية والأديغية عدة مرات، وفي عام ١٨٢٠م أخذ التحرك العسكري الروسي باتجاه القفقاس شكل قوات احتلالية، وكان التكتيك الأولي لهذه القوات يهدف إلى تضييق الخناق على الأديغيين ودفعهم للنزوح عن المناطق المجاورة لنهر كوبان، فشنت القوات العسكرية الروسية عدة هجمات ضارية ضد الناتوخايسي وغيرهم من القبائل في فترة (١٨٢٢-١٨٢٦م)، ورداً على هذا قام الأديغيون بتوجيه ضربات قاسية ضد الجيش الروسي والفصائل القفقاسية المتعاونة معه مخترقين مواقعهم العسكرية ومعسكراتهم على الضفة اليمنى لنهر كوبان.

وفي عام ١٨٣٩م، تم تشييد الخط الدفاعي الروسي من جهة شواطئ البحر الأسود وامتد هذا الخط من إقليم أبخازيا حتى مدينة (أنابا) على طول سواحل البحر الأسود، وكان الهدف من إنشاء هذا الخط الدفاعي، هو شد الطوق حول الأديغيين الذين تمكنوا من تحقيق نصر كبير على القوات الروسية عندما تمكنوا من السيطرة

١- من القبائل الأديغية (بشكل عام الأديغيتسية). -المترجم

على هذا الخط الدفاعي عام ١٨٤٠، كما كان هناك العديد من الانتصارات الأخرى التي حققها الأديغيون على جيوش روسيا القيصرية. ولقد ترافق تقدم وانتصار الحركات التحررية في القفقاس عموماً وعند الأديغيين بشكل خاص، مع إعادة تنظيم البنية الاجتماعية وتقويتها، فوضع الأديغيون الأسس المتينة لبناء دولة عسكرية تتشكل من اتحاد كل القبائل الأديغيتسية.

ولقد لعب الإمام شامل وأتباعه من الأديغيين دوراً كبيراً في كل هذه التغيرات، وساهم مع شامل في قيادة الفصائل الأديغية التحريرية عدد من الشخصيات منهم: الحج محمد وسليمان أفندي ومحمد أمين، وهم من الآديغيتسين. والجدير بالذكر أن الحرب القفقاسية هذه، قد لعبت دورها في زرع الفكر الإسلامي في البنية الاجتماعية لدى معظم سكان القفقاس، إذ إن القفقاسيين جعلوا من الإسلام الفكر والعقيدة التي خاضوا على أساسها حربهم التحريرية.

وانتهت هذه الحرب بعد أن وقع الإمام شامل في الأسر في أغسطس عام ١٨٥٩ وفي تشرين الثاني/نوفمبر من العام نفسه استسلم محمد أمين للقوات الروسية، واضطرت قبائل الأبادزيخي إعلان الولاء والطاعة لروسيا القيصرية. إلا أنه سرعان ما نشطت المقاومة الأديغية من جديد لتستمر الحرب التي ما كادت تنتهي.

ومنذ عام ١٨٦٢م، بدأت القوات الروسية هجومها على المناطق الساحلية والجبلية التي يعيش فيها الأديغيون، فدمرت قراهم وهجرتهم إلى المناطق السهلية.

وبعد أن تمكنت هذه القوات من إخماد آخر معاقل المقاومة مع قبائل الشابسوغ والأوبيخي عام ١٨٦٤م، وضع الاديغيون (والآديغيتسيون بشكل عام) أمام خيارين، إما الرحيل إلى المناطق السهلية، وإما الإبعاد إلى تركيا، فهاجر جزء كبير إلى تركيا وبلدان الشرق الأوسط، بينما اضطر الباقون للرحيل من الجبال إلى المناطق السهلية.

ولم تنته معاناة الأديغيين عند هذا، حيث بدأت الثورة الشيوعية (البلشفية) وبدأ معها الصراع المرير والحرب على السلطة، بين البلاشفة من طرف والجيوش الموالية للقيصر من طرف آخر، ولقد شارك الكثير من الأديغيين في هذه الحرب لصالح القيصر، وكان (غيرياكليتش) قائداً للأديغيين الذين كانوا جزءاً من الحرس الأبيض المعادي للثورة. وترافقت العمليات العسكرية لدى الطرفين بالأسر والقتل الجماعي،

وتدمير القرى المعادية بلا رحمة، ومن أكثر هذه العمليات وحشية كان تدمير الجيش الأحمر لقرية (كوشيخابل)[1] الأديغية عام ١٩١٨م. وفي السابع والعشرين من تموز/يوليو عام ١٩٢٢م[2] تم تأسيس المقاطعة الأديغية التي كانت تسمى حتى ٢٤آب/اغسطس عام ١٩٢٢ بالمقاطعة الشركسية الأديغية، ومن ثم بالمقاطعة الأديغية الشركسية حتى الثامن عشر من آب/اغسطس عام ١٩٢٨م، وكانت هذه المقاطعة جزءاً من إقليم (كوبان - البحر الأسود)، ومن ثم جزءاً من إقليم (آزوف - البحر الأسود) حتى عام ١٩٢٧م، وبعده أصبحت جزءاً من إقليم (كراسنادار). وفي عام ١٩٩١م أعلن عن تأسيس جمهورية أديغيا عضواً في الاتحاد الفيدرالي الروسي.

الحياة الاجتماعية: أخذت السلطة الاجتماعية لدى الأديغيين طابعاً قفقاسياً عاماً، حيث توجد المجالس القروية وغيرها من الهيئات الاجتماعية التقليدية (مجلس القرية، مجلس الشيوخ)، إلا أنه نتيجة لإصلاحات إدارية في الإمبراطورية الروسية عام ١٨٦٠م[3]، وزع الأديغيون على المديريات العسكرية في القفقاس، ومن ثم بين المراكز الإدارية والفروع التابعة لمقاطعة (كوبان).

أما الحلقات الإدارية السفلى (السهلية)، فقد أخذت شكل مديريات قروية يرأسها المدير، ويتم اختياره في البداية من قبل مجلس القرية، ومن ثم تصدر الإدارة قرار تعيينه، ويبقى للمجالس - كما هو متعارف عليه - دور مهم في حياة المجتمع الأديغي، كما تم الحفاظ على دور المحاكم الجبلية التي كانت تأخذ قراراتها بناءً على نظام العادات المحلية وقوانين الشرع الإسلامي. وعلى الرغم من كل ما عاناه الأديغيون على مدار الزمن، إلا أنهم ما زالوا يحافظون على انتمائهم إلى موطنهم وحياة أجدادهم، وكذلك على عاداتهم وتقاليدهم القومية.

١- ركز مؤلفو هذه المادة على حادثة (كوشيخابل) لأنها من اكبر المجازر التي ارتكبت بحق الأديغيين في فترة الثورة البلشفية -المترجم

٢- أي بعد ان تمكنت جيوش الثورة البلشفية من فرض سيطرتها التامة على أراضي الأديغيين - المترجم

٣- كان هذا بعد أن تمكنت الجيوش الروسية من القضاء على أخر معاقل الانتفاضة القفقاسية وفرضت سيطرتها على معظم اراضي القفقاس الجبلية والسهلية -المترجم

كان هناك نوعان من الأسر عند الأديغيين، أسرة كبيرة وأسرة صغيرة، إلا أنه ومنذ بداية القرن العشرين أصبحت الأسرة الصغيرة هي الشكل الغالب في المجتمع، ومن الطبيعي أن هذا لا يعني عدم وجود أسر كبيرة يبلغ عدد أفرادها عشرة وأكثر أحياناً. وتنظم العلاقات في الأسرة على أساس النظام الأبوي، فالأب هو سيد الأسرة، وفي حال موته يستلم مهماته ابنه الأكبر، كما يترتب على النظام الأبوي أمور عديدة مثل: احترام الكبير للصغير، وأن تكون الزوجة (الوالدة) سيدة المنزل وسيدة نسائه من بنات وزوجات أبناء، وفي حال موتها تصبح زوجة الابن الأكبر سيدة المنزل. وكذلك يمنع النظام الأبوي النسوة (الزوجات والبنات) من الاختلاط بالرجال الغرباء أو الجلوس معهم، وفي بعض الأحيان كان يستمر هذا الحظر طوال عامين بعد الزواج، إلا أن هذا لم يكن ليقلل من أهمية المرأة، فالاحترام الذي يكنه لها المجتمع الأديغي، يبقى حتى أيامنا هذه، من أهم الصفات المميزة له عن غيره.

أما الزواج فيتم بطلب يد البنت من أهلها، وفي معظم الحالات تتبادل عائلتا العروسين الهدايا، وبشكل خاص عندما يقدم أهل العريس المهر لعائلة الفتاة التي اختاروها زوجة لابنهم، أو التي يقع عليها اختيار الابن.

ومن المعروف عن حفلات الزفاف لدى الأديغيين بأن عدد المشاركين من الأقارب والأصدقاء وأبناء القرية، يكون كبيراً جداً، مما يتطلب مساعدة الجيران والمقربين لأهل العريس. ويعتبر الطهور العيد الأول في الأسرة الجديدة والذي تبدأ معه حياة المولود الجديد.

وفيما يتعلق بدفن الأموات فإنه يتم حسب الشريعة الإسلامية، إلا أن هذا لم يمنع الأديغيين من الحفاظ على بعض التقاليد في الدفن المرتبطة بالديانات القديمة، ونذكر منها المبارزة في سباق الخيل بمناسبة إحياء ذكرى الفقيد. وأخيراً، منع الأديغيون من القيام بشعائر دينهم الإسلامي طوال سبعين عاماً من الحكم السوفييتي، وبعد سقوطه لوحظ عودة الدور القومي للفكر الإسلامي في الحياة السياسية والاجتماعية عندهم.

الأزياء والمطبخ: يأخذان طابعاً قفقاسياً عاماً (راجع الشيشان، وانظر في بحث داغستان، الآفاريون، الأبازيني...)

الحياة الاقتصادية: كانت تربية الحيوانات وزراعة الأراضي أساس حياتهم الاقتصادية والإنتاجية، إذ إنهم يزرعون القمح والشعير والخضار إضافة إلى كروم العنب، أما الحيوانات التي كانوا يربونها فهي الخراف والماعز والبقر والثيران والخيول. ولتربية الخيل مكانة خاصة في حياة الأديغيين، لأن الخيل هي رمز للقوة والشهامة والصدق. إضافة إلى هذا كان الصيد وتربية النحل من الأعمال المهمة والرئيسية لديهم. وكانت كل منتجات الأعمال الزراعية والمحاصيل والمنتجات الحيوانية (حليب ومشتقاته، لحوم، جلود، صوف)، سلعاً تجارية اعتمدها الأديغيون في حياتهم الاقتصادية.

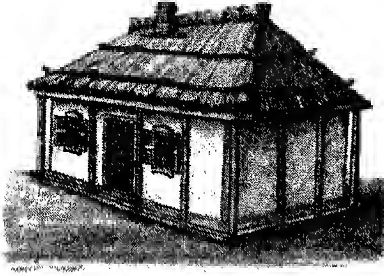
القرية والمسكن: لا يوجد للقرى التقليدية الأديغية مخطط موحد واضح، إذ كانت تمتد دور القرية ومنازلها منتشرة بشكل منفرد على مسافات طويلة تصل أحياناً إلى عشرات الكيلومترات على الهضاب والجبال وضفاف الأنهر.

أما ميزات القرية من ناحية التقسيم الاجتماعي، فتنقسم إلى عدة محميات، تضم كل محمية الأقرباء وأبناء النسب العائلي الواحد، ولكل محمية يوجد مركز ديني خاص بها، وهو إما مسجد أو معبد يمارس فيه عباد المقابر (عقيدة تقليدية قديمة لديهم) شعائر عبادتهم.

أما القرى التي تأسست في المناطق السهلية، بعد إبعاد مئات الآلاف من سكان الجبال إلى السهول، فهي أكثر تنظيماً ولمنازلها ودورها تصميم هندسي أفضل من منازل ودور القرى الجبلية، إذ تبنى غرفة أساسية يلتصق بها عدد من الغرف، لكل منها مدخل مستقل، وكانت الملحقات تشيد للأعمال المنزلية وغيرها حسبما تتطلب طبيعة الحياة العملية للأسرة الأديغية.

ويسمى المنزل الأديغي التقليدي (أونيخشو). ولقد أصبح الأونيخشو في القرن التاسع عشر منزلاً كبيراً مربع الشكل. أما الأثاث المنزلي فغالباً ما يكون من الخشب، وتكون للطاولات أرجل قصيرة ترتكز عليها، كذلك كانت معظم قطع الأثاث ترتكز على أرجل قصيرة.

الآديغيون



رسم لمنزل تقليدي

هم سلالة تضم كلاً من الشعوب والأقوام التالية: (الأديغيون والكاباردين والشركس)، ويبلغ تعداد الآديغيين في جمهورية روسيا الفيدرالية ٥٥٩٧٠٠ نسمة، منهم ١٢٢٩٠٠ نسمة أديغيّ، و٣٨٦١٠٠ كاबارديني، و٥٠٨٠٠ شركسي. يعيش جزء من الأديغيين في جمهورية أديغيا عضو الاتحاد الفيدرالي الروسي، وعددهم هناك ٩٥٤٠٠ نسمة، أما الكاباردينى فيعيشون في جمهورية كاباردين - بالكاري[1]، ويبلغ عددهم فيها ٣٦٣٥٠٠ نسمة، ويعيش الشركس في جمهورية كاراتشايف - تشيركيس عضو الاتحاد الفيدرالي الروسي ويبلغ عددهم فيها ٤٠٢٠٠ نسمة، ويعيش جزء كبير من ممثلي هذه الأقوام في مختلف بلدان العالم وبشكل رئيسي في دول الشرق الأوسط، ومعهم هناك عدد من ممثلي الأقوام القفقاسية مثل: الأبخازيون والأبازينيون، الآستيني، والشيشان، حيث يطلق على كل هذه الأقوام هناك اسم (الشركس)[2]. ويتوزعون على الشكل الآتي: ١٥٠٠٠٠نسمة في تركيا، ٢٥٠٠٠ نسمة في الأردن، و١٥٠٠٠ نسمة في إيران، و٥٠٠٠ نسمة في العراق، و٣٢٠٠٠ نسمة في سوريا، أما في لبنان فلا يتجاوز عددهم ألفي نسمة.

١- هي جمهورية قفقاسية عضو في الاتحاد الفيدرالي الروسي. -المترجم.

٢- نتيجة لأسباب، أهمها حملات التتار المنغولية في القرن الثالث عشر والحملات العسكرية الروسية منذ القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، هاجرت أعداد كبيرة من مختلف الأقوام القفقاسية الى دول الشرق الأوسط-المترجم.

وتدل آخر إحصائية (عام ١٩٨٩م) بأن عدد الأديغيين في الوطن والمهجر قد اقترب من مليون نسمة. ينطقون باللغات الأديغية والكاباردينية والشركسية. والأديغيون مسلمون، من أهل السنة.

يعود تاريخ نشوء الأديغيين كشعوب إلى الألف الأولى قبل الميلاد، وهو مرتبط بانتقال القبائل الناطقة بالأبخازية والآديغية من مناطق آسيا الأمامية، وتذكر المصادر التاريخية بأنه قد سجل تواجد للقبائل الأديغية القديمة في المناطق الواقعة شرقي البحرالأسود، في الألف الأولى قبل الميلاد. وتدل هذه المصادر بأن نشوء الشعوب الأديغية القديمة بدأ من القبائل التي استقرت في العهود القديمة في المناطق الشمالية الغربية من القفقاس، وفي أجزاء كبيرة من مناطق شرقي البحر الأسود، وشواطئ بحر الآزوف وضفاف نهر كوبان. ومن هذه القبائل نذكر (الأخايف، الزيخف، الكيركيت، الميوتف، التورتيف، والسندوف). ويربط بعض المؤرخين هذه الأقوام والقبائل بالإيرانيين، لأن لغاتهم تشبه إلى حد ما اللغة الفارسية.

وفي فترة ما قبل الميلاد والميلاد، ظهرت في مناطق شمالي القفقاس القبائل الآلانية[1]، الناطقة بالفارسية، وفي هذا الوقت كانت القبائل الأديغية القديمة تشغل المناطق الجنوبية الشرقية من مدينة نوفارسيسك الحالية، وامتدت مناطقهم على طول السواحل والجبال وصولاً إلى مدينة سوتشي، أي لغاية الحدود التي كانت تعيش فيها قبائل (الأوبيخي)، بطون القبائل الآديغية والأبخازية. وفي هذه المنطقة بدأ نشوء الأقوام الأديغية، وكان تجانس قبيلتي (الآخايف والزيخوف) الأساس في نشوء هذه الأقوام، ومن ثم توسع الأديغيون نتيجة لتجانس قبائل (الكيركيت، الأخايف والغوتييفدوسان) مع قبيلة (الزيخوف).

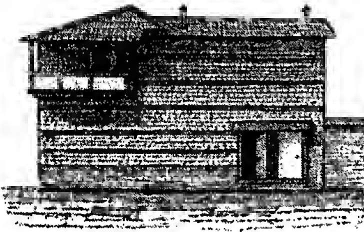
ولقد لعبت عدة عوامل دورها المهم في تشكيل البنية الديموغرافية للشعوب والأقوام الأديغية، وكذلك في الاستقرار الجغرافي لها ونشوء مواطنهم القومية. ومن أهم هذه العوامل:

- النزعات الداخلية القبلية والهجمات المتبادلة بين القبائل.
- هجمات القبائل الناطقة بالتركية على أراضي الأديغيين.
- حملات التتار المنغولية في القرن الثالث عشر (١٢٢٢م، ١٢٢٤، ١٢٣٧).

ولتوضيح تاريخ الأقوام الأديغية، نتناول كلاً منها بشكل مستقل.

١- هي القبائل الرئيسية في البنية القومية لشعب جمهورية (اوسينيا الشمالية) -المترجم

أذربيجان[1]



رسم لمنزل تقليدي



أزياء فولكلورية آذربيجانية

يسمون أنفسهم «أذربيجان لار»، يبلغ عددهم في روسيا الاتحادية ٣٣٥,٩ ألف نسمة (عام ١٩٨٩). هم السكان الأصليون لأراضي جمهورية أذربيجان يبلغ عددهم فيها ٥٨٠٥ ألف نسمة يعيش في إيران، حتى إن عددهم هناك كبير جداً يصل إلى عشرة ملايين نسمة. بينما تتوزع أعداد قليلة منهم في الجمهوريات السوفييتية سابقاً على النحو التالي: ٣٧ ألفاً في أوكرانيا، ٤٤,٤ ألف في أوزبيكستان، ١٥,٨ ألف في قرقيزستان، ٩٠,١ ألفاً في كازاخستان، ٣٠٧,٦ ألف نسمة في جورجيا، و٣٣,٤ ألف نسمة في تركمنستان، وحتى الفترة التي سبق النزاع الأذربيجان - الأرضي في إقليم «كاراباح» كان يعيش في أرحينيا ٨٤,٩ ألف نسمة أذربيجان. وتنتشر أعداد قليلة منهم في العراق وتركيا وأفغانستان. عددهم الإجمالي ١٧ مليون نسمة.

١- أذربيجان هي الجمهورية القفقاسية الوحيدة المستقلة عن الاتحاد الروسي، أما بقية شعوب القفقاس التي تتناولها الموسوعة فهي تابعة للاتحاد الروسي، وتحمل صفة أقاليم أو جمهوريات حكم ذاتي -المترجم

يدخل ضمن الشعب الأذربيجان السلالات العرقية التالية: أيروم - أفشار الكاراباباخ - البادار - الشاخسيفني وغيرها. لغتهم الأصلية اللغة التركية وهناك لهجات محلية منها الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية. تكتب لغتهم باعتماد الأحرف الروسية، ومنذ العام ١٩٩١ انتقلوا إلى الحرف اللاتيني.

الأذربيجان مسلمون، الأغلبية من أتباع المذهب الشيعي، وهناك أعداد قليلة من أتباع المذهب السني يتمركزون بشكل رئيسي شمالي أذربيجان (البايدجانيون).

اندمج في تكوين الشعب الأذربيجاني أقوام جمهورية «ماني» في النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد، إضافة إلى شعوب ألبانيا القفقاسية في النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد، إضافة إلى الميدي وشعوب الأتروباتان في الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع قبل الميلاد، ومعها مجموعة الشعوب الناطقة باللغات القفقاسية، كل هؤلاء كانوا في الأجزاء الشمالية من أذربيجان. ومن الجنوب جرت عملية تمازج وتعايش بين القبائل والسلالات الناطقة بالإيرانية.

ظهرت كلمة «أذربيجان» أثناء الاحتلال العربي لتلك المنطقة في القرن السابع ميلادي. وكان العرب يسمون شعب تلك الأراضي (أدير بادغان) التي أصبحت في التاريخ الحديث تعرف باسم (أذربيجان). حيث تم توحيد الأجزاء الشمالية والجنوبية من أذربيجان في عهد الخلافة الإسلامية وبدأت عملية نشر الإسلام.

امتزجت سلالات عرقية أخرى مع الشعب الأصلي لأذربيجان في الألف الميلادية الأولى، حيث سجلت هجرات للقبائل الناطقة بالتركية نحو أذربيجان مثل أمغوني والخازار وغيرهم. أما التتريك (التحول إلى اللغة التركية لتصبح اللغة الأصلية) فقد جرت هذه العملية بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر ميلادي، في الفترة التي كانت فيها أذربيجان تحت سيطرة السلاجقة ومن ثم التتر. ويمكن القول إن عملية تكوين الشعب الأذربيجاني قد اكتملت في الفترة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر ميلادي. وإلى هذه المرحلة من التاريخ تعود عملية تغيير اللغة المحلية الأصلية وإعادة تكوينها وانتشارها من جديد. حيث أصبحت اللغة التركية هي السائدة إضافة إلى الإيرانية (الفارسية). في منتصف القرن الثامن عشر قامت على الأراضي الأذربيجانية أكثر من خمس عشر دويلة وإمارة إقطاعية من أهمها وأكبرها: (الكوبينية -

الشيكينية - الباكينية والكاراباخية) وكانت كلها تحت سيطرة إيران. وتم ضم الأجزاء الشمالية من أذربيجان إلى الأراضي الروسية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر بموجب اتفاقية هولستان عام ١٨١٣ بين روسيا وإيران. وكان لانضمام الأراضي الأذربيجانية إلى روسيا أثره الإيجابي على الحياة الاقتصادية لشعوب المنطقة، حيث نشطت الحركة التجارية.

في منتصف القرن التاسع عشر ظهرت اللغة الأذربيجانية الأدبية المكتوبة والمقروءة على أرضية اللهجة المحلية في دولتين (الباكينية - الشيماخينية)، إضافة إلى اللغة الأذربيجانية القديمة، وكانت تكتب بالأحرف العربية، حتى العام ١٩٢٩ م أصبحت تكتب بالأحرف اللاتينية، ونقلت بعد عشرة أعوام لتكتب بالأحرف الروسية، إلا أن عادت الأحرف اللاتينية إلى اللغة الأذربيجانية بعد تفكك الاتحاد السوفييتي واستقلال أذربيجان عنه عام ١٩٩١م.

الحياة الاقتصادية: مارس أبناء الريف زراعة القمح والقطن إضافة إلى كروم العنب وإنتاج الحرير. ومن الطبيعي أن تكون تربية المواشي من الأعمال الرئيسية في أذربيجان.

مارس الأذربيجانيون منذ القدم صناعة أفخر أنواع السجاد، إضافة إلى تصنيع الحلي من الذهب، والصاغة بشكل عام من مختلف المعادن الثمينة أو التي تستخدم في صناعة الحلي. كما مارسوا الصناعات الخشبية وصناعة الورق، إضافة إلى تصنيع مختلف أنواع الأقمشة.

أما المنزل التقليدي فغالباً ما يكون في الريف من الحجر، وتكون البيوت ملاصقة لبعضها، بينما تجد في المدن انتشاراً واسعاً لفنون الهندسة التي تعطي المدينة مظهراً رائعاً يشبه أسلوب البناء في أوربا في القرون الوسطى، حيث تنتشر القصور والقلاع والأبراج الحجرية. وفي المناطق السهلية غالباً ما يكون البيت التقليدي مصنوعاً من الخشب ويكون سقفه هرمي الشكل، أما سكان المناطق التي تشكل تربية المواشي العمل الرئيسي لهم فغالباً ما تكون منازلهم عبارة عن خيمة دائرية تعرف باسم «يورت».

الأزياء الفلكلورية: يتألف الزيّ الفلكلوري لدى النساء في أذربيجان من قميص قصير يصل إلى الخصر، ومن فوقه ما يمكن تشبيهه بالكنزة مع فتحة في منطقة

الصدر وتكون أكمامها واسعة، وفي القسم الأسفل تأتي التنورة الواسعة التي غالباً ما تكون ملونة بألوان جميلة. ويضعن على رؤوسهن إما القبعات المصنوعة من الفرو وإما الإشاربات. بينما يكون زي الرجال عبارة عن قميص وسروال وجزمة من الجلد.

الحياة الاجتماعية: جرت العادة في الماضي أن تكون الأسرة كبيرة وأن ينجب الزوجين عدداً كبيراً من الأبناء، وكان الزواج يتم في سن مبكرة، ويفضل أن يتزوج الأقرباء من بعضهم ويكون الأولاد حاملين لنسب الأب.

المطبخ: إن المطبخ الأذربيجاني مطبخ غني ومتنوع نظراً لكرم الطبيعة الأذربيجانية، حيث تعطي الأرض أفضل أنواع الخضار والحبوب، كما تأتي لحوم المواشي والدواجن لتشكل تنوعاً في الوجبات، هذا إضافة إلى الحليب ومشتقاته من ألبان وأجبان وزبدة وغيرها. وإذا أنهيت طعامك فبمقدورك أن تتناول مختلف أنواع الفاكهة أو عصيرها. ويلاحظ تأثر المطبخ الأذربيجاني بالمطبخ التركي حيث تصادف تسمية أنواع وجبات تركية مثل «لولاكباب» و«العيران» وغيرها.

التراث الشعبي: وفيما يتعلق بالأغاني والقصص الشعبية في أذربيجان، فإنها تشبه إلى حد ما تلك السائدة لدى معظم شعوب القفقاس من حكايا تتغنى بالبطولات، وقصص الحب الممزوجة بالخيال والسحر، حيث نجد هنا أن الأدب الأذربيجاني قد تأثر بقصص قديمة عربية مثل «علاء الدين - جحا» وغيرها من الحكايا.

الأرتشين



زي فولكلوري

هم من السكان الأصليين في جمهورية داغستان عضو الاتحاد الروسي، يبلغ عددهم في روسيا الاتحادية قرابة ١٠٠٠ نسمة «تقديرياً». منذ العام ١٩٣٩ تعاملت معهم الإحصائيات السكانية على أنهم جزء من الآفاريين. لديهم لغتهم الخاصة الأرتشينية، كما تنتشر بينهم لغة الآفاريين واللاكي. اللغة المكتوبة عندهم هي الآفارية على أرضية الأحرف الروسية. الأرتشين مسلمون سُنّة.

يعيش الأرتشين في حوض نهر «خاتار» الفرع الأيمن لنهر «كواركايسك» كما تعرف منطقتهم باسم «تشارودينسك». تاريخ الشعب الأرتشيني وتكون بنيته كقوم مستقل جرت بشكل متصل مع تكوين وقيام سلالات شعوب وأقوام المناطق الجبلية من داغستان. وجاء ذكر الأرتشين بشكل مستقل أول مرة في السجلات واليوميات التي كتبها محمد راضي (القرن ١٣).

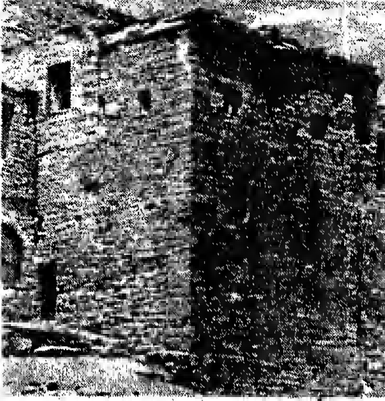
بموجب اتفاقية هولستان بين روسيا وإيران عام ١٨١٣ تم ضم داغستان إلى روسيا، والأرتشين كانوا ضمن داغستان. في بداية القرن التاسع عشر دخلت القرى الأرتشينية ضمن «خانات الكازيكوم» التي أصبحت فيما بعد ونتيجة للإصلاحات الإدارية في الإمبراطورية الروسية، عبارة عن مديرية. في نهاية القرن التاسع عشر تم ضمّ الأرتشين إلى المديرية الغونيبسية حيث الأكثرية من الآفاريين. وخلال القرن التاسع عشر كانت العلاقات بين الأرتشين والآفاريين وطيدة ومتشابكة، إلى أن اتحدا مع بعض في إطار اتحاد المجتمعات القروية بزعامة المجتمع الدوسراخانسكي

(الديورسكي). إن انضمام الأرتشين مع كل داغستان إلى الإمبراطورية الروسية ترك أثره على تنشيط التجارة والحياة الاقتصادية على كل شعوب وقوميات داغستان، بما في ذلك الأرتشين.

ومن الطبيعي أن كل التغيرات السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها داغستان كانت تشمل كل شعوبها، وهكذا أصبح الأرتشين - في عام ١٩٢١م - جزءاً من جمهورية داغستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي، ومنذ العام ١٩٩١م جزء من جمهورية داغستان عضو الاتحاد الروسي.

نتيجة للتعايش والتجانس بين الأرتشين والآفاريين فإن معظم جوانب حياة الأرتشين مطابقة لمثيلتها لدى الآفاريين.

الأغوليون


الأغوليون - منزل تقليدي

يسمون أنفسهم (أغولار) أي سكان الأغول، ويرى المؤرخون بأن تسمية أغول تعود إلى اسم وادي (أغول ديري) في داغستان. والأغول من السكان الأصليين لداغستان، يبلغ عددهم بشكل عام ١٨٧٠٠نسمة، يعيش منهم في جمهورية روسيا الفيدرالية (١٧٧٠٠) نسمة، ويتمركزون بشكل رئيسي في داغستان حيث يبلغ عددهم هناك (١٣٨٠٠) نسمة.

يتكلمون باللغة الأغولية، وبلهجات عدة، تكتب لغتهم على قاعدة الأحرف الروسية. وديانتهم الإسلام، وهم من أهل السنة.

وقد ورد اسم الأغول أول مرة في المصادر التاريخية الحربية العائدة إلى القرن السابع الميلادي، وفي هذه المصادر ورد ذكر الأغول تحت اسم (أغوتاكين) وورد ذكرهم كذلك في مراجع القرنين الثامن والتاسع الميلادي التاريخية وذلك في سياق الحديث عن الشعوب المستوطنة في وادي (كوشان ديري)، كما ورد ذكر الأغول في بعض المصارد التاريخية العربية.

ومن المحتمل أن الأغول قد كانوا سلالة لها ثقافتها وقوانينها الاجتماعية الخاصة منذ بداية القرن الأول الميلادي، وقد ورد في مصادر القرنين الحادي عشر والثاني عشر أسماء بعض القرى الأغولية التي ما زالت موجودة حتى يومنا هذا بالأسماء ذاتها، وهذا ما يؤكد قدم وعراقة سلالة الأغول. وقد وردت معلومات تاريخية من هذا القبيل في مؤلفات (تاريخ أبي مسلم) عن تلك المناطق.

ساهم تفكك الروابط الاجتماعية بالإسراع في تقدم الفتوحات العربية الإسلامية باتجاه أراضي الأغول في القرن السابع الميلادي، ومن ثم في الحملات التتار - منغولية في القرن الثالث عشر الميلادي، ويربط المؤرخون انتشار الإسلام بين الأغول بالفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي، ومازالت المعالم التاريخية العربية التي شيدت هناك في القرن الرابع عشر، قائمة كشاهد تاريخي حتى يومنا هذا.

وفي عام ١٨١٢م وبعد أن انتهى النزاع الإيراني الروسي بتوقيع معاهدة هولستان، وقعت الأراضي التي استوطن فيها الأغول عبر التاريخ مع كل من داغستان والقفقاس تحت سيطرة الإمبراطورية الروسية، وبقي الأغول حتى يومنا هذا جزءاً من داغستان وشعوبه، ويعتبر تطورهم التاريخي، السياسي والاجتماعي والاقتصادي منذ معاهدة هولستان وبعدها جزءاً من تطور داغستان والقوميات التي تقطن فيها.

القرية والمنزل: تتكون قرى الأغول من ٦٠داراً وسطياً، ويبنى كل منها على مساحة ما يقارب النصف هكتار، إذ يخصص جزء للمنزل، ويبقى الجزء الثاني كأرض تزرع أحياناً أو تبنى عليها الملحقات المنزلية.

وتشيد القلاع الحربية الدفاعية في النقاط المرتفعة بمحيط القرية، وتكون القلاع نقاط إنذار مبكر من أي خطر خارجي، كما تشيد الجدران المتينة من الحجارة التي تقع خارجها بأنفاق وقنوات تحت الأرض.

الأقوام الأنديسكية

هي مجموعة أقوام وشعوب تشكل جزءاً من الشعوب (الأندو - ديدويسكية) الداغستانية، ونذكر من هذه الأقوام: الأندي، الأخفاتي، الباغولالي، البوتليخ، وغيرهم من الشعوب، ويبلغ عددهم في روسيا الفيدرالية حسب إحصائية عام ١٩٩٢م، ٦٠ ألف نسمة.

وتُعَدُّ هذه الأقوام من السكان الأصليين للمناطق الجبلية المرتفعة غربي داغستان وهم من أقرباء الآفاريين. يتكلمون باللغات الأنديسكية التي تحتوي على عدد كبير من اللهجات، كما تنتشر بينهم اللغات الشيشانية (عند البوتليخ) والآفارية والأذربيجانية، ويكتبون بشكل رئيسي باللغتين الروسية والآفارية على قاعدة الأحرف الروسية وهم من المسلمين السنة.

يقطن الأنديسكيون في مناطق الذيول الجنوبية للهضبة الأنديسكية، على ضفاف الفرع الأيسر لنهر (أنديسكاكويسو)[1]، وكذلك في المناطق الجنوبية الغربية من هذا النهر، أي في حوض نهر (أنساديرال) فرع نهر أنديسكاكويسو، إذ يقطن البوتليخيون غربي حوض نهر أنساديرال، وفي المناطق الجنوبية الشرقية من أراضي (الغودوبيرني)، أي على الضفاف اليمنى لفروع نهر أنديسكاكويسو حيث تقطن قبائل (الغودوبيرني)، أما قبائل (الكاراتني) فتقطن في مناطق الذيول الغربية من هضبة (بوغوسكوفا)، وإذا اتجهنا جنوباً، أي غربي وشرقي هذه الهضبة وعلى الضفاف الجنوبية والشمالية من نهر أنديسكاكويسو، نجد هناك قبائل (الأخفاخي) وتتوزع بقية الأقوام، والقبائل الأنديسكية في محيط هذا النهر وفروعه وكذلك في محيط الهضبة الأنديسكية والبوغوسكوفية[2].

١- الهضبة الأنديسكية: هي جزء من سلسلة جبال القفقاس، واغلب الظن بأن تسمية الشعوب الأنديسكية، هي نسبة لاسم هذه الهضبة او نسبة لاسم نهر انديسكاكويسو الذي يجري في وديانها. -المترجم

٢- هضبة تابعة إلى سلسلة جبال القفقاس. -المترجم

وفي نهاية القرن العشرين استقرت بعض الأقوام الأنديسكية في مناطق أخرى من القفقاس مثل كيزلار، خاشافيورت، بابايدروتفشك، وكيزيليورتفسك.

كما يقطن جزء من هذه الشعوب في منطقة (زاكاتالسك) الواقعة في أذربيجان.

وجزء من هذه الشعوب في منطقة (زاكاتالسك) الواقعة في أذربيجان. وإذا عدنا للحديث عن لغات الأقوام الأنديسكية فنقول بأنها عبارة عن سلسلة لغات ترتبط فيما بينها لغوياً بشكل انسيابي، فهي متشابهة فيما بينها، وتعبر اللغة الآفارية لغة المخاطبة فيما بينهم بشكل عام، كما أنها لغة المخاطبة بين الشعوب الأنديسكية والشعوب التسيزكية[1]، وكتبت اللغة الآفارية منذ القرن السادس وحتى القرن السابع عشر ميلادي على قاعدة الأحرف الهجائية العربية، ومنذ عام ١٩٢٨م على قاعدة الأحرف اللاتينية، ومن ثم على قاعدة الأحرف الروسية ابتداءً من عام ١٩٣٨م.

وفيما يتعلق بمنشأ هذه الشعوب فهناك احتمال بأن الملك الآشوري (صارغون الثاني) قد ضيق عليهم وطردهم من مناطق آسيا الأمامية، وكان هذا في الربع الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، مثلهم كمثل عدد كبير من الشعوب الشرقية.

ولقد ورد اسم الأقوام الأنديسكية في المراجع التاريخية العائدة للألف الأولى قبل الميلاد، وتذكر هذه المصادر بأن الشعوب الأنديسكية قد استوطنت على مساحات كبيرة من منطقة نهر أنديسكاكويسو، وعلى ما يبدو فإن الشعوب الأنديسكية قد تمكنت من التجانس مع السكان المحليين الناطقين بالآفارية، وتأثرت بهم منذ ذلك الوقت، وتمكن الجزء الذي تحرك باتجاه المناطق الوسطى والشمالية من نهر أنديسكاكويسو وفروعه من وضع بداية لظهور أقوام (البوتليخ، الباغولالام، التشامالالام، والتيندلام) الداغستانية في المناطق التي سبق ذكرها.

لقد لعب التاريخ، بشكل أو بآخر، دوراً مهماً في حياة الشعوب الأنديسكية ولا سيما في فترة مقاومتها للخانات الآفارية في الوقت الذي كان فيه الآفاريون تحت سيطرة الجيوش التتارمنغولية، في القرن الثالث عشر، ولقد كونت الشعوب والأقوام

١- جمع خان، لقب للدويلات او الإمارات التابعة للدولة التتار منغولية، وكلمة خان هي منصب عسكري واداري يلقب به قائد او زعيم المنطقة الواقعة تحت سيطرة الجيوش التتار منغولية - المترجم

الأنديسكية اتحادات قروية للدفاع عن الذات وصد هجمات التارمنغول. ويدخل في الاتحاد القروي عدد من القرى، وقد تم هناك اتحاد عدد من هذه الاتحادات القروية تحت تأثير وضع معين ولتكوين قوة عسكرية أكبر حجماً وأكثر تأثيراً.

بعد توقيع معاهدة السلم الروسية الإيرانية عام ١٨١٣م[1]، ذهبت أراضي داغستان لتصبح جزءاً من الإمبراطورية الروسية، كما هو حال معظم أراضي القفقاس، ولقد هبت شعوب وأقوام وقبائل القفقاس للدفاع عن حريتها واستقلال أراضيها، وساهمت الأقوام الأنديسكية في انتفاضة شعوب القفقاس التي قادها الإمام شامل (١٨٣٤-١٨٥٩م). وبعد أسره، وقمع الثورة القفقاسية، أجرت الإمبراطورية الروسية إصلاحات إدارية في القفقاس عام ١٨٦٠م، وبموجب هذه الإصلاحات أصبحت أراضي الشعوب الأنديسكية مقسمة إلى عدة أجزاء وزعت بين مختلف المقاطعات والمديريات المحلية الداغستانية. وفي عام ١٩٢٢م، أعلن عن قيام جمهورية داغستان السوفييتية التي احتوت على عدد كبير من الأقوام، ومن بينها الأنديسكية.

وفي عام ١٩٩١م أعلن عن قيام جمهورية داغستان عضو الاتحاد الفيدرالي الروسي.وقد بلغ تعداد الأقوام الأنديسكية حسب آخر إحصائية لهم بشكل مستقل عن بقية الداغستانيين عام ١٩٢٦م، ٤٠١٠٠ نسمة، وبعد هذه الإحصائية أصبحت الأقوام الأنديسكية، بالنسبة للمؤسسات الرسمية ومكاتب الإحصاء جزءاً من الآفاريين.

الحياة الاقتصادية: تُعَدُّ زراعة الحقول والأراضي إضافة إلى تربية الحيوانات مثل الماعز والخراف، والبقر والثيران، من الأعمال الرئيسية التقليدية في حياة الشعوب الأنديسكية، وهي الركيزة الرئيسية لحياتهم الاقتصادية. وتعدّ الزراعة العمل

١- منذ عام ١٨٠٤م كان الروس يقومون بحملات عسكرية توسعية على حساب إيران في القفقاس وكان الجيش الفارسي حينذاك بقيادة عباس ميرزا وهو من سلالة القاجار وولي العهد في إيران، وكانت جيوشه مدربة حسب النهج الأوربي (فرنسي - بريطاني). وقد وقعت المعركة الرئيسية بين الجيشين الفارسي والروسي في محل (الاندوز)، وانسحب غالبية الضباط الإنكليز الذين كانوا يقودون الجيش الفارسي، مما ادى إلى حدوث ارتباك كبير في صفوف الفرس، فانتصرت روسيا، ثم وقع الطرفان بعد ذلك معاهدة هولستان في ١٢تشرين الأول/اكتوبر عام ١٨١٣م، وعلى اثر هذه المعاهدة فقدت إيران خمس مدن في القفقاس وتنازلت عن جورجيا وداغستان لروسيا، اما روسيا فقد وعدت بدعم عباس ميرزا للوصول إلى العرش. -المترجم

الرئيسي عند البوتليخ، وعلى الرغم من أنهم كانوا يروون جزءاً كبيراً من الحقول إلا أنهم اعتمدوا أيضاً على مياه الأمطار لري الأراضي، وكان هذا الطابع الغالب في أسلوب العمل الزراعي عند قبائل وأقوام أخرى من الأقوام الأنديسكية.

وتزرع هذه الأقوام القمح والشعير وما شابهه من حبوب وسنبليات، ومنذ بداية القرن التاسع عشر دخلت إليهم زراعة الذرة والبطاطا، والأشجار المثمرة مثل المشمش والتفاح والإجاص والخوخ والخرما وكروم العنب. كما عملت الأقوام الأنديسكية بتربية النحل وإنتاج العسل، إضافة إلى تربية الأغنام من النوعيات الآفارية والأنديسكية، وكذلك الأمر بالنسبة للماعز والحيوانات ذات القرون مثل البقر والثيران والجواميس، ومع هذا كله اهتموا بتربية الخيول من الفصيلة الداغستانية.

أما حظائر الحيوانات فغالباً ما تكون في حدود القرية أو بجوارها.

يخرج الرعاة في الصيف مع قطعانهم إلى المراعي الجبلية وفي الخريف ترعى الحيوانات في المراعي السهلية التي تستأجر في كل موسم، وكانت بعض الأقوام الأنديسكية تستخدم مراعيها الخاصة والتي تعدُّ جزءاً من أملاكها.

يقوم الرجال بتنفيذ معظم الأعمال الزراعية والمهنية المتعلقة بالحياة الزراعية وتربية الحيوانات، إذ إنهم يحرثون الأرض ويزرعونها ويعشبونها ثم يحصدون المحصول، كما يقومون بتصنيع وتجهيز كل الأدوات المطلوبة في عمليتي الإنتاج الزراعي والحيواني، كذلك يرعون الحيوانات ويهتمون بها، إضافة إلى هذا يبني الرجال المساكن وكل الملحقات التي تتطلبها طبيعة حياتهم الإنتاجية.

الحياة الاجتماعية: تقوم العلاقات في المجتمع الأنديسكي على أساس النظام الأبوي[1].

وكان المجتمع الأنديسكي منظماً على شكل تجمعات بشرية وزعت فيها المهمات على مجموعات من الرجال فقط سميت بـ (الجماعات)، فكان هناك (جماعات المحاربين، جماعات الرعاة، وجماعات المزارعين). أما المحاكم والأمور القضائية فكانت قائمة على أساس العادات القومية وما يترتب عليها من قوانين اجتماعية، مقرونة بالنظام القضائي الإسلامي (قوانين الشريعة الإسلامية). وإضافة إلى

١ـ راجع الشيشان، الشركس، الكاراشايف ـ المترجم.

الجماعات التي سبق ذكرها، كان هناك نوع من الجماعات التي تحمل صفات عسكرية وسياسية قيادية، حيث كانت هذه الجماعات جزءاً من الاتحاد القروي، ويلقب بـ (المجتمع الحر).

وفي بعض الحالات وعند الضرورة يقوم اتحاد القرى بتجميع كل الرجال القادرين على حمل السلاح لتشكيل الوحدات الانتقامية من الخيالة والمشاة، ويقودها رجل يحمل لقب (الدييبر) أو (المولى)، وهو إما قائد الاتحاد القروي، أو قائد أُختير من قبل الأغلبية من الرجال.

ولحل قضايا الاتحاد أو الاتحادات القروية يجتمع شيوخ (قادة) الجماعات، ويعدُّ مجلس الرجال المؤسسة القيادية العليا في المجتمعات القروية، ويشارك في هذا المجلس أي رجل بلغ سن الخامسة عشرة، وتكون السلطة الحقيقية في أيدي اثنين أو ثلاثة من النخبة في هذا المجلس، كما يضم المجلس مجموعة خاصة من ثلاثة رجال للقيام بدور السلطة التنفيذية (تنفيذ قرارات وأوامر المجلس في المجتمع)، كما يوجد في هذا المجلس شخص يسمى المنادي، ومهمته هي الإعلان للجميع عن قرارات المجلس. ومنذ الستينيات في القرن التاسع عشر، كان المجتمع يقوم باختيار أو انتخاب الشخص المناسب للجلوس في قمة الهرم القيادي الاجتماعي، والذي يصبح المسؤول الأول عن جميع الأجهزة القيادية الإدارية والتنفيذية في الاتحاد القروي.

أما الأسرة الأنديسكية فهي نوعان، كبيرة وصغيرة، إلا أن العائلات أو الأسر الصغيرة، أصبحت الطابع الغالب للأسرة الأنديسكية، وقد نجد أحياناً أسرة تعيش مع بقية فروعها (أبناء وأبناء الأبناء) في دار واحدة وغالباً ما يكون هذا لأسباب اجتماعية واقتصادية.

ولقد حافظت الأقوام الأنديسكية، حتى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، على مفاهيم اجتماعية مثل النظام الأبوي وصلة الدم والاتحادات الأسرية التي تسمى بلغتهم (التوخوم)، كما حافظت هذه الأقوام على معظم العادات الاجتماعية التي يمكن وصفها بالقانون المنظم للعلاقات الاجتماعية، على سبيل المثال، يقدم (التوخوم) المساعدات في شتى المجالات لمن حوله من أفراد المجتمع، إلا أن الأولوية للأقرباء من طرف الأب ومن ثم من جهة الأم، حيث تعتبر صلة القربى من طرف الأب

من الأولويات، وكذلك الأمر بالنسبة للعم والعمة، إذ يعدُّ أبناء العم وأبناؤهم جزءاً من الأسرة التي يترأسها (الأب الجد) أو رب الأسرة. ويملك رب الأسرة صلاحيات واسعة تمنحه الحق في أن يتحكم بشؤون أفراد الأسرة كبيرهم وصغيرهم، وكذلك في حل جميع القضايا والخلافات المنزلية، ويبقى خارج سلطاته شيء واحد وهو مؤجل الزوجة (الأم، الجدة)، مهر (صداق) زوجات الأبناء.

أما الزوجة فهي ربة الأسرة وسيدة نسائها وتدار جميع الشؤون المنزلية باستشارتها وموافقتها وأخيراً فإن الصغير يحترم الكبير، وتحترم النساء الرجال وكلهم يحترمون رب الأسرة وينصاعون لرغباته.

المطبخ: يمكن القول بأن المواد الرئيسية في وجبات المطبخ الأنديسكي هي: الطحين، اللحوم، الحليب ومشتقاته وبعض الفواكه والأعشاب الخضراء. ويتناولون اللحوم طازجة أو مجففة وكذلك بالنسبة للفاكهة، ومن الطحين إضافة لخَبْزِ الخبز يطهون العصيدة مع اللحمة، ويعدون مختلف المعجنات مثل (الفطائر مع اللحمة، أو فطائر مع الأعشاب الخضراء، والفطائر الحلوة مع الفواكه الطازجة أو المعلبة أو المجففة.

القرية والمسكن: بنى الأنديسكيون قراهم على أطراف الوديان وعلى سفوحها، وتبنى بيوت القرية على شكل درج رصفت عتباته في أطراف الوديان وعلى سفوح الهضاب والجبال. أما في المناطق ذات التضاريس الأكثر سهولة فقد بنى الأنديسكيون القلاع الحجرية الحربية الدفاعية، مع كوات (طلاقيات تُستخدم لرمي السهام) ونوافذ.

وتكون المنازل من حيث مظهرها الخارجي صماء مهجورة لأنها تشيد من الحجارة الصخرية دون تجميل للمظهر الخارجي، وتتخلل جدرانها نوافذ صغيرة للإضاءة والتهوية. ويتوسط ساحات القرى الأنديسكية المساجد، التي يشيد بالقرب منها المكان الخاص الذي يجتمع فيه الرجال لقضاء الأمسيات وأوقات الراحة.

تبنى المنازل وملحقاتها الإنتاجية والعملية من الحجر أو القرميد، وغالباً ما يكون البناء بشكل مربع أو مستطيل وهو إما من طابق واحد أو طابقين، فإذا كان المنزل من طابق واحد تبنى ملحقاته في باحة متوسطة المساحة محاطة من كل

الجوانب بسور حجري، أما في المنازل ذات الطابقين، فيبقى الطابق الأول كملحقات منزلية وإنتاجية، أما الطابق الثاني فيكون كمسكن لأصحاب الدار (العزبة).

ويكون سقف المنزل عادة مسطحاً. وكثيراً ما كانت تبنى الملحقات المخصصة لحفظ الأعلاف للحيوانات، أو المواد الغذائية بشكل عام خارج حدود الدار.

الشرفة جزء رئيسي من كل منزل وهي أشبه بالمعرض المنزلي، إذ يزينه الأنديسكيون بمختلف أنواع الزينات، كما أنهم يهتمون بزينة المنزل الخارجية أحياناً، فيختارون أنواعاً من الحجارة المزركشة.

زي الرجال: أخذت ألبسة الرجال الأنديسكيين طابعاً قفقاسياً عاماً، إذ يرتدي الرجل قبعة من صوف الخراف ومعطفاً من هذا الصوف أو من أنواع أخرى وسروالاً ضيق الأرجل يشد على الخصر، وقميصاً من الأقمشة الرقيقة من دون ياقة، ويكون للقميص بطانة في منطقة الظهر وله أكمام طويلة عريضة من دون أزرار أو فتحة عند المرفقين.

ويستخدمون مختلف الأنواع من الأحذية، منها الجلدية الرقيقة المخاطة من الوسط والأسفل، أو الأحذية الجلدية مع كعب قاس، أو طري من الجلد أحياناً. ويرتدون تحت الحذاء جوارب من الصوف أو واقيات جلدية تشبه الجوارب لكنها مصنوعة من الجلد القديم.

يتميز لباس الرجال بالخنجر الذي يعلق على حزام يشد فوق الألبسة في وسط الخصر. ومن معالم المظهر الخارجي أيضاً، الشاربان منذ سن البلوغ واللحية عندما يصبح عمر الرجل خمسة وعشرين عاماً، وحلق شعر الرأس كله.

زي النساء: تضع النساء على الرأس منديلاً مصنوعاً من مختلف أنواع الأقمشة، أما على الجسد فيرتدين القمصان التي تشبه في تفصيلها قمصان الرجال، إضافة إلى الأثواب والمعاطف التي تصنع من صوف الخراف أو فراء الحيوانات.

وينتعلن في أقدامهن الأحذية الجلدية والجوارب الصوفية أو الواقيات الجلدية كبديل للجوارب (أي كما يفعل الرجال) وتختلف جزمات النساء عن جزمات الرجال إذ إنها تكون بكعب من شكل آخر ومرتفع بعض الشيء. وحتى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كانت النساء والرجال يرتدون قمصاناً وسراويل من صوف الخراف.

زينة النساء تكون من الفضة (أساور - خواتم وغيره من الحلي التي تعلق على الصدر فوق الألبسة) ويصنع هذه الحلي الحرفيون من الآفاريين والكوبانيين[1] واللاكيين[2]. وتجعل الفتيات شعورهن جدائل. أما المسنات منهن فيقصصن الشعر الطويل.

الأعياد: هناك أعياد ومناسبات تحمل طابعاً دينياً مثل (عيد الفطر، عيد المولد النبوي) وهناك مناسبات غير الأعياد يشارك فيها أعداد كبيرة من الناس مثل الوفاة. ففي مثل هذه المناسبات يغطي الأنديون طاولات الطعام ويذبحون الأضاحي التي توزع لحومها على الجيران والأصدقاء، كما يقيمون صلاة العيد أسراً أو توخوماً[3] او جماعات، ومن ثم يتبادلون الزيارات للتهنئة بمناسبة هذا العيد أو ذاك.

وهناك أعياد موسمية مرتبطة بطبيعة الحياة الإنتاجية والاقتصادية لهذه الشعوب، منها مثلاً: عيد وداع الصيف واستقبال فصل الشتاء الذي تبدأ معه الأعمال الزراعية، كما يعدُّ الخروج مع القطعان باتجاه المراعي الشتوية عيداً شعبياً، وكذلك موسم قص صوف الخراف، وموسم رضاعتها، والكثير من الأعياد المشابهة التي تبدأ أو تنتهي باحتفالات يتخللها الرقص والغناء الشعبيين. كما يقوم رجال القرية بمختلف العروض والمبارزات.

١- الكوبانيين والأفاريون: من شعوب داغستان -المترجم

٢- اللاكيين: من شعوب داغستان -المترجم

٣- التوخوم: هو عبارة عن تجمع أسري يضم عدة اسر من اصل واحد (اب واحد). -المترجم

الأنديتسيون (الأندي)

يسمون أنفسهم (أندال، أندي، غفانال)، ويبلغ عددهم في جمهورية روسيا الفيدرالية ٣٠ ألف نسمة حسب إحصائية عام (١٩٩٢م)، وهم جزء من الشعوب الأنديسكية. لديهم لغتهم المتعددة اللهجات، وتكتب لغتهم على قاعدة الأحرف الهجائية الروسية. كما تنتشر فيما بينهم اللغة الآفارية، بينما تنتشر اللغة الشيشانية في أوساط الرجال منهم فقط. الأندي مسلمون سنيون.



قريـة أنـدي



امرأة آندية في زي تقليدي

تقع أراضي الأندي (موطنهم) في المنخفضات والتجاويف التي تشكلت ما بين الهضبة الأنديسكية وذيولها المنخفضة.

ورد في المراجع التاريخية بأن شعوب الأندي قد شغلت في القرن الأول الميلادي، مساحات واسعة من المناطق السفلى المحيطة بنهر أنديسكاكويسو، وتقول المصادر التاريخية بأن تجانس شعوب الأندي مع الآفاريين والناطقين باللغة الآفارية قد تم في القرن الأول ميلادي وفي هذه المناطق بالذات.

وتذكر المؤلفات التاريخية بأن الإسلام قد أصبح الديانة الرئيسية للأندي في القرن الرابع عشر ميلادي[1]، ولقد وصلت إليهم الديانات المسيحية قبل ذلك الوقت

١- كان هذا في فترة الحملات التتار - منغولية على أراضي القفقاس -المترجم

واتحدت مع الديانات التقليدية التي كانت عند شعب الأندي، إلا أن هذا كله قد انحسر وتراجع بعد توطد الإسلام عندهم.

وكان للأنديين دولتهم أو دويلتهم وسميت (الجمهورية الأندية)، وكانت هذه الجمهورية عبارة عن اتحاد فيدرالي للعائلات والاتحادات القروية التي كانت تملك صلاحيات الإدارة المركزية، ومن هذه الاتحادات نذكر: (أنديا، غوناخ، غاغتل، ريكفان، أشالي، زيلو، تشانكو.. إلخ..).

وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر ميلادي أسس الأنديون الخلافة الأندية الشامية، وتمكنت هذه الدولة من السيطرة على الأقوام والشعوب المجاورة مثل الآفاريين والشيشان، وترسم المصادر التاريخية صورة الخلافة الأندية آنذاك على أنها كانت قوية سياسياً وعسكرياً.

وفي القرن السابع عشر انتصر الأنديون على الوحدات الآفارية الانتقامية، وفي عام ١٧١٣م حصل الأنديون على الجنسية الروسية، إلا أنهم رفضوها بعد عدة أعوام، وتحديداً في عام ١٧٥٨م. وفي عام ١٧٤٢م شاركوا في الدفاع عن حرية أراضي داغستان التي اعتدى عليها نادر شاه زعيم إيران.

بموجب معاهدة هولستان التي وقعتها روسيا وإيران عام ١٨١٣م، تم ضم الأراضي الداغستانية، إلى الإمبراطورية الروسية، حيث كان موطن الأندي جزءاً من هذه الأراضي. وبعد عدة أعوام هبت الشعوب القفقاسية منتفضة لتحرير أراضيها من التواجد الروسي، ولقد وقف الأنديون جنباً إلى جنب مع بقية الأقوام والشعوب القفقاسية التي شاركت في هذه الحرب منذ عام ١٨١٧ وحتى عام ١٨٥٩. ولقد كان القائد الأندي الأصل (نائب لابيزان) مع الإمام شامل قائد الانتفاضة القفقاسية في قلعة (غوينبسوك) عندما تمكنت القوات الروسية من أسره فلم يتخلَّ عنه (نائب لابيزان)، فقد تقاسم معه قدره القاسي ووقع هو أيضاً في الأسر. نتيجة للإصلاحات الإدارية عام ١٨٦٠ تم تشكيل النيابة (النائبية) الأندية التي كانت جزءاً من المقاطعة الأنديسكية والتي أصبحت في عام ١٩٢١م، مع النائبية الأندية، تابعة لجمهورية داغستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي (جمهورية داغستان عضو الاتحاد الروسي منذ عام ١٩٩١م).

بناء على آخر إحصائية للأنديين بشكل مستقل والتي تمت عام ١٩٢٦م، بلغ عددهم ٧٨٤٠ نسمة، وكانوا يعيشون في مناطق (بوتليخسك، خاسافيورت، بابايورت، وكيزلايورت)، ولقد تم تهجير الأنديين تقريباً، إلى المناطق السهلية من داغستان، وكان هذا في عام ١٩٤٤م.

يحد أراضي الأندي من الشمال الغربي الجمهورية الشيشانية، ومن الجنوب الشرقي بقية الأقوام الأنديسكية والآفاريون.

وحتى أعوام ما قبل الثورة البلشفية كان الأنديون يكتبون باللغة العربية المعاملات الرسمية والمخطوطات الدينية، أما الآفارية فاستخدموها لكتابة الأدب وفي طباعة المخطوطات. وإجمالاً فلقد كتب الأنديون على قاعدة الأحرف العربية حتى عام ١٩٣٨م، ومن ثم على قاعدة الأحرف اللاتينية، ومنذ عام ١٩٩٢م، يحاول الأنديون العودة إلى لغتهم الأصلية وبدؤوا بإصدار جريدة (أزال) باللغة الأندية.

الحياة الاقتصادية: زراعة الأراضي هو العمل الرئيسي الذي يقوم به الأنديون من سكان الجبال والمرتفعات الجبلية، وتمتد حقولهم الزراعية كدرج على السفوح الجبلية. ويأتي في المرتبة الثانية تربية الحيوانات ورعيها في المناطق الجبلية المرتفعة حيث كان الرعاة الأنديون بارعين في تربية الحيوانات في هذه المناطق.

أما الأنديون من سكان المناطق السهلية فكانت زراعة الحقول والبساتين عملهم الرئيسي، إذ يزرعون الخضار والفواكه التي لا تنمو في المناطق الجبلية، بهدف استبدالها مع سكان الجبال بما يحتاجون من منتجات حيوانية (لحوم - حليب ومشتقاته - صوف).

ويصنع الأنديون من صوف الخرفان من الفصيلة الأندية ذات الصوف الأسود والأبيض مناديل صوفية تلقى على الكتف، ولم تقتصر هذه المناديل على كونها جزءاً مكملاً ومجملاً للرجل، وإنما كانت جزءاً من الزي العسكري الحربي عند الرجال.

وتقوم النساء بصناعة هذه المناديل، أما الرجال فمهمتهم صباغة هذه الأصواف، وتسويقها، وبيعها، بعد أن يتم تصنيعها، وكان يباع سنوياً ٨٠ ألف منديل، إلا أن تجارة المناديل أصبحت غير مربحة منذ الثلاثينيات من القرن العشرين، واقتصر بيعها على القليل من المناطق.

وكانت عملية تصنيع وإنتاج هذه المناديل الصوفية عملاً يتم إنجازه في البيوت والمنازل ولا سيما في قرية (راخاتا)، وبقي هذا العمل يشكل قطاعاً إنتاجياً واسعاً في قرية (غاغاتل). أما في قرية (كفانحيداتل) فيمارس السكان استخراج الملح من الأراضي الواقعة بالقرب من القرية، ومن ثم يتم تصنيع هذا الملح ليكون صالحاً للاستخدام في الطعام. وما زال هذا العمل قائماً حتى يومنا هذا.

إن هذه الأعمال وغيرها من التي مارسها الأنديون تلعب دوراً مهماً في حياتهم الاقتصادية. وبعد أن أتى النظام الاقتصادي والإنتاجي السوفييتي عمل جزء كبير من الأنديين في الجمعيات الزراعية الاشتراكية (السوفخوز) وكذلك في المعامل التي شيدت لاحقاً، كما يعمل بعضهم في مجال التجارة الحرة.

كما أن الأنديين ما زالوا يحافظون على توزيع العمل حسب السن والجنس (رجل - امرأة)، إذ تقوم النساء بالأعمال الزراعية ما عدا حراثة الأرض وما شابهها من أعمال تتطلب قوة عضلية، ويقوم الرجال بأعمال البناء والترميم وتأمين المواد اللازمة للبناء، والاهتمام بالحيوانات (رعي وغيره)، وجني المحصول من الأراضي البعيدة عن الدار أو القرية ونقله إلى القرية.

الحياة الاجتماعية: يتم إحصاء عدد أبناء السلالة أو النسب الواحد أو العائلة الواحدة حسب النظام التقليدي لما يسمى بـ (شجرة العائلة)، إذ يسجل كل جيل نفسه حسب التسلسل في السن مع مراعاة صلة القربى بين الفروع وتدوينها.

الشكل التقليدي للأسرة الأندية هو الأسر الصغيرة، ويحصل الابن الأكبر سناً في هذه الأسرة على جزء من ممتلكات والده عندما يتزوج، ويرث الابن الأصغر البيت عن أبيه.

وتتكون الطبقة العليا في المجتمع الأندي من ممثلي العائلات الأصلية، أما الطبقة السفلى فهي عبارة عن العبيد وأبنائهم وأحفادهم، ويكون العبيد من أسرى الحروب أو الذين تم شراؤهم في أسواق النخاسة.

أما السلطة في المجتمع الأندي فهي في يد الحاكم ومجلس الشيوخ الذي يشبه ما نُسميه اليوم (برلمان)، وهذا المجلس عبارة عن برلمان قروي مصغر، ويشارك في السلطة الأجهزة القضائية ممثلة بـ (القاضي)، ودور هذه الأجهزة في السلطة هو حل

الخلافات والنزاعات بين الأفراد والعائلات، ويتم هذا على أسس العادات والتقاليد القومية وقوانين الشرع الإسلامي. أما رأس السلطة (الحاكم) فينتخب كل سنة، وبعد انتخابه يؤدي القسم (اليمين).

القرية والمسكن: تنتشر القرى الأندية على المنحدرات والجيوب الغربية والشمالية من الهضبة الأنديسكية وحوض نهر أنديسكاكويسو.

وتقسم أراضي القرية تقليدياً إلى مكان لبناء السكن، وأراضٍ للزراعة ومراع جبلية، إضافة إلى الحظائر والأماكن المخصصة لحفظ الشعير وغيره من محاصيل الصيف التي تخزن للشتاء.

وقد تغير الوضع مع تقدم الزمن والحضارة، حيث لم تعد القرى تقسم بهذا الشكل، والسهول تحولت إلى بساتين على محيط المنازل والدور.

أما المنزل التقليدي، فتتكون منازل القرية التقليدية متلاصقة فيما بينها ومتقاربة، إلا أنه هناك عدد من القرى الأندية التي شيدت فيها المنازل متباعدة عن بعضها، وشقت بينها الطرق والشوارع، وتجد في هذه القرى المنازل الكبيرة والدور الواسعة، وتشيد المنازل من الحجارة، وتتكون من طابق أو اثنين، وفي كل منزل لا بد من بناء غرفة خاصة لاستقبال الضيوف.

وتعتبر قرية (أندي) المركز التاريخي والإداري للمجتمع الأندي، وتتقاسم قرية أندي دورها القيادي مع عدد من القرى التي بنيت على شكل مدن صغيرة. ويتوسط كل قرية ساحة يشيد فيها عادة المسجد حيث يلتقي معظم الناس في وقت صلاة الجمعة، لهذا فإن ساحة القرية ومسجدها يلعبان دور المركز الاجتماعي في القرية. وأخيراً فإن فن العمارة عند شعب الأندي قد وقع تحت تأثير فن العمارة القفقاسي والأوربي الشرقي.

الأعياد والعقائد الدينية: يؤمن الأنديون بالسحر والأرواح وبأن هناك أشخاصاً قادرين على مخاطبة من هم في عالم الأرواح، كما أن بعضهم يؤمن بأن لكل إنسان يوجد شبيه غير مرئي، وأن كل ما يجري مع الإنسان (الشخص الذي يشبهه). وفي عهد ما قبل الإسلام عبد الأنديون آلهة اسمها (تسيوب) وما زال معبدها موجوداً على قمة جبل (باخارغان) في القفقاس.

أما بعد الإسلام فمن المعروف أن الأنديين يقومون بما يسمى (الذكر)[1] في مناسبات مثل عيد المولد النبوي أو عند دفن أحد الموتى.

ويعتبر الأستاذ الشيشاني (كونتا حجي كيتشييف)[2] أول من نشر أسلوب (الذكر) في القفقاس وكان هذا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما أنه قد برزت لدى هذه الشعوب حالة كبيرة من الاحترام والتقدير للأساتذة الدينيين، تحولت في بعض الأحيان إلى تقديس للأستاذ كما هو الحال مع الشيخ (عمر آدجي) الذي تقدسه شعوب الأندي.

أما الفولكلور فهو مزيج من حضارتين ولغتين (الأنديسكية والآفارية)[3].

١- الذكر: تقليد ديني يقوم به اتباع المذاهب الصوفية (القادرية النقشبندية) في القفقاس، فيلتف عدد من الرجال على شكل حلقة ويبدؤون بالدوران حول مركزها مصدرين أصواتاً من خلال الضرب على الأيادي (التصفيق)، وكذلك بضرب خطواتهم على الأرض، ويرددون مهللين (لا إله إلا الله)، بشكل يخلق حالة من فقدان السيطرة على الأحاسيس الخارجية ويبقى الرجال تحت تأثير المشاعر المتأججة نتيجة لما يقومون به من حركات واناشيد، والذكر هو اشبه بالحضرة عند العرب في المغرب ومصر وبلاد الشام والجدير بالذكر ان معظم الأقوام القفقاسية تعتمد (الذكر) كجزء من عبادة الله وتسبيحه، إذ يقوم به الشيشانيون كل احد واربعاء بعد صلاة العصر. ولقد ادى (الذكر) إلى خلق خلافات شياشانية داخلية في الأعوام الأخيرة من القرن العشرين والتي ترافقت مع دخول أساتذة ودعاة من المذاهب الإسلامية والتيارات غير الصوفية، وهذا ادى إلى تكوين جماعات اعتبرت أن في هذا (الذكر) شيئاً من الكفر، بينما يرى أتباع الإسلام التقليدي في الشيشان أن هؤلاء الدعاة دخلاء وغرباء على المجتمع الشيشاني والإسلام ويسعون الى خلق خلافات في البيت الشيشاني، حتى إن الأمر قد ادى إلى عزل فقيه الشيشان احمد حجي قاديروف عندما اتهم (خطاب) واتباعه بهذا، في تصريح له عام ١٩٨٨م -المترجم

٢- كونتا حجي كيتشييف: هو زعيم الطريقة القادرية التي ضربت بجذورها في القفقاس (بلاد الشام، والأندي وداغستان) بعد أن لحقت الهزيمة بالإمام شامل آخر الأئمة النقشبنديين ودانت لسيطرة الروس وبدا القادريون اكثر زهداً في متاع الدنيا من النقشبنديين، واكثر اهتماماً بالسعي على طريق الصوفية حباً في الله من اهتمامهم بإقامة دولة تيوقراطية او بالجهاد المقدس، إلا أنه سرعان ما أجبرتهم الإدارة الروسية، بكل ما شابها من تشدد وفساد واستبداد، على تبني نهج اكثر تطرفاً، وبعد الإعلان عن هذه الطريقة باعتبارها من الطرق غير المشروعة عام ١٨٦٠م، تم القاء القبض على (كونتا حجي) وإيداعه في إحدى المصحات النفسية -المترجم

٣- راجع الأنديسكيون

الإنغوش


قرية تسوري الإنغوشية

يسمون أنفسهم (غلغاي)، ويبلغ عددهم مئتين وسبعة وثلاثين ألفاً، يعيش معظمهم في جمهوريتي إنغوشيا والشيشان[1]، حيث يقطن هناك (١٦٣٨٠٠) نسمة، وفي جمهورية أسيتيا الشمالية يعيش (٣٢٨٠٠) نسمة، كما تنتشر مجموعات قليلة من الإنغوشيين في آسيا الوسطى ودول شرق الأوسط.

للإنغوش والشيشان معاً اسم سلالي واحد مشترك هو (فايناخ). والإنغوش هم السكان الأصليون لمنطقة شمالي القفقاس، ويتكلمون بالإنغوشية[2]، وهم مسلمون من أهل السنة.

سجل تواجد سلالة شعوب (الفايناخ) في المناطق المركزية من جبال القفقاس والسهول الواقعة بجوارها منذ الألف الأولى قبل الميلاد، ولقد تحدثت المخطوطات التاريخية القديمة عن الأصل الواحد (الجدود المشتركين) للإنغوش والشيشان، إذ ذكروا في أحد المصادر التاريخية باسم (غارغارا) وهذه الكلمة مشتقة من لغة الناخسكي (لغة الفايناخ)، ومعناها (المقربون، الأقرباء)، كما أن بعض المصادر التي

١- تمت هذه الإحصائية عام ١٩٨٨م، عندما كانت كل من الشيشان وإنغوشيا عبارة عن جمهورية واحدة وكان اسمها الجمهورية الشيشان - إنغوشية. -المترجم.

٢- اللغة الإنغوشية هي نفسها اللغة الشيشانية مع اختلافات لا تذكر. -المترجم.

تعود إلى الألف الأولى قبل الميلاد لا تستبعد احتمال كون (الكوبانيين)[1] جزءاً من سلالة الفايناخ. وكتب المؤرخ (ليونتي مروفيلي - القرن الحادي عشر) بأن الناخي (فايناخ) القدماء قد أتوا وانتشروا في منطقة جبال القفقاس، في فترة الحملات السقوثية في القرن السابع قبل الميلاد، وكان اسم زعيم شعوب الفايناخ (قفقاس)[2].

عاش الإنغوش قديماً كتجمع بشري مستقل في الجبال والمرتفعات، وبدأت هجرتهم نحو المناطق السهلية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وكانت سهول (تارسكي)[3] من أول وأهم وجهات هجرة الإنغوش من الجبال، إذ انتشروا هناك في الأراضي المحيطة بنهر (كامبيليفكا)، ويقول المؤرخ (فاخشوتي باغراتيوني) بأنهم هاجروا إلى قرية (أونغوشت) السهلية في القرن السابع عشر، ومن هنا جاءت تسميتهم بالإنغوش، وتسمى هذه القرية حالياً (تارسكي)، وهي قريبة من الحدود الإنغوشية - الأوسيتية.

وفي عام ١٧٨٤م بني حصن فلادي قفقاس في قرية (زآورفو)، القريبة من إنغوشيا، وكان الهدف من بناء هذا الحصن حماية الطريق العسكرية الجورجية - القفقاسية. وفي عام ١٨١٠م أصبحت إنغوشيا تابعة للإمبراطورية الروسية، وبعد سبعة أعوام تم ترحيل أعداد كبيرة من الإنغوش المستوطنين في منطقة (سونجينية) القفقاسية إلى مدينة نزران[4]، ذلك أن روسيا قد نقلت الخط السونجينية العسكري المحصن من هذه المنطقة وأسست بدلاً منه قرى قوزاقية[5]. وكانت مدينة نزران آنذاك قاطعاً عسكرياً محصناً ومع مرور الوقت أصبحت من أكبر المدن الإنغوشية.

١- وهم شعب من شعوب روسيا الاتحادية، استقروا منذ القدم في محيط نهر (كوبان). -المترجم

٢- أغلب الظن بأن سلسلة جبال القفقاس قد سميت بهذا الاسم نسبة لزعيم قبائل الناخي (الفايناخ). -المترجم

٣- منطقة سهلية تقع شمال شرقي سلسلة جبال القفقاس -المترجم

٤- حتى صيف عام ١٩٩٩م، كانت نزران عاصمة الجمهورية الإنغوشية عضواً في الاتحاد الروسي -المترجم

٥- عرفت الشعوب القوزاقية منذ القدم، على أنها قوة عسكرية ضاربة تساند السلطات الروسية الرسمية، وما زالت المدارس العسكرية القوزاقية موجودة حتى يومنا هذا. ولقد برز دور القوزاقيين مجدداً بعد تفجر الحرب الروسية الشيشانية (١٩٩٤- ١٩٩٦) وحرب عام (١٩٩٩- ٢٠٠٠) إذ قاموا بتشكيل وحدات عسكرية انتقامية تهدف إلى ردع أي تقدم للمقاتلين الشيشان في عمق الجنوب الروسي - المترجم

ظلم الاستعمار وضيق مساحة الأراضي، كانا عاملين مهمين في خلق حالة الرفض الاجتماعي، التي أخذت فيما بعد شكل ثورة، أهم أحداثها كانت انتفاضة نزران عام ١٨٥٨م. إلا أن الأراضي الإنغوشية بقيت واقعة تحت سيطرة جيوش الإمبراطورية الروسية. وكان الإنغوش حتى بداية القرن العشرين جزءاً من المقاطعات الإنغوشية والفلادي قفقاسية، وفي عام ١٩٢٤م تم تأسيس مقاطعة إنغوشيا ذات الحكم الذاتي التابعة لروسيا الاتحادية السوفييتية، وكانت مدينة فلادي قفقاس مركزها الإداري والاقتصادي. وفي عام ١٩٣٤ تم توحيد الشيشان وإنغوشيا لتشكلا معاً مقاطعة الشيشان - إنغوشية التابعة لروسيا الاتحادية السوفييتية، وفي عام ١٩٣٦م أصبحتا معاً الجمهورية الشيشان - إنغوشية عضو الاتحاد الروسي.

بعد ثمانية أعوام من هذا (١٩٤٤م) ألغيت الجمهورية، وقامت وحدات من الجيش الأحمر المدعومة بقوى الأمن السوفييتية بإبعاد مئات الآلاف من الشيشان والإنغوش إلى آسيا الوسطى (كازاخستان وأوزبكستان على وجه التحديد). وهكذا وضع الشعبان على حافة الانقراض، حيث إن الأمراض قد انتشرت في مخيمات الإبعاد، وكان الجوع سبباً رئيساً من أسباب الموت اليومي، واستمر الوضع على هذه الحال إلى أن أعيد المبعدون إلى ديارهم وأعيد تأسيس جمهورية الشيشان - إنغوشية عام ١٩٥٧م في عهد الزعيم السوفييتي (خروشوف). إلا أن جزءاً كبيراً من الأراضي الإنغوشية[1] بقي تابعاً لجمهورية أسيتيا الشمالية عضو الاتحاد الروسي، ولم يعد إلى إنغوشيا.

في عام ١٩٩٠ أعلن مجلس السوفييت الأعلى عن استقلال جمهورية الشيشان - إنغوشية، وبعد عام حذف من اسم هذه الجمهورية كل ما يتحدث عن انتمائها لروسيا.

١- شهدت المناطق الإنغوشية التي ضمت عام ١٩٥٧م إلى جمهورية أسيتيا الشمالية آلاني، صراعاً قومياً بين الإنغوش والأسيتين، نتيجة لرغبة إنغوشيا باسترداد أراضيها المسلوخة، ورغبة الإنغوش في أستينا باستعادة الانتماء إلى الوطن الأم ونتج عن هذا النزاع تهجير أعداد كبيرة من الإنغوش الى انغوشيا، ولم يعودوا الى قراهم الواقعة ضمن الحدود السياسية لجمهورية اسيتيا الا بعد أن توصل الطرفان الى تسوية سلمية لحل النزاع عام ١٩٩٩م -المترجم

ومن ثم قرر المؤتمر السابع للبرلمان الروسي الذي انعقد في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٩٢، فصل الشيشان عن إنغوشيا وتأسيس جمهوريتي الشيشان وإنغوشيا، ومنذ ذلك الحين أصرت القيادة الشيشانية على ضرورة الاستقلال التام عن روسيا، بينما لم تطالب إنغوشيا بهذا.

الحياة الاقتصادية: من أهم الأعمال التي مارسها الإنغوش هي تربية الحيوانات، ولقد كانت قطعان الأغنام وغيرها من الحيوانات أشبه بوحدة نقد عندهم في إحدى مراحل تطورهم الاقتصادي. لقد ساعدتهم المروج في أعلى الجبال على رعي الحيوانات (أغنام، بقر، ماعز، ثيران) هناك طوال فصل الصيف، وفي فصلي الربيع والخريف يتجه الرعاة مع قطعانهم إلى المناطق السهلية حيث المراعي الربيعية والخريفية الجيدة، أما في فصل الشتاء تبقى الحيوانات في المزارع القريبة من القرية.

وتشهد العادات والتقاليد التي تكونت خلال عدة قرون عن مدى أهمية الحيوانات وتربيتها لدى الإنغوش، إذ إن العقاب على أي ذنب أو جريمة، كان يتطلب تقديم المذنب للمتضرر عدداً من الخراف أو الأبقار، قد يتجاوز أحياناً مئة رأس، وذلك بحسب الذنب أو الجرم، وبهذا النوع من العقوبة أو التعويض يرى الإنغوش بأنهم يأخذون من المذنب أغلى وأثمن ما يملك، لأنه يعمل ويشقى سنوات طوال يقضيها في التنقل من مرعى إلى آخر من أجل أن يكبر قطيعه وتنمو ثروته.

أما الزراعة فقد كانت من الأعمال المتممة لتربية الحيوانات والرعي عند سكان الجبال، وتعتبر قطع الأرض الجبلية حتى يومنا هذا دليلاً على تطور الزراعة عند سكان الجبال. ولقد كانت الزراعة العمل الرئيسي الذي زاوله سكان المناطق السهلية.

ونتيجة لقلة عدد سكان الجبال في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أصبحت الزراعة في المناطق الجبلية غير مربحة، في الوقت الذي بدأ فيه سكان المناطق السهلية بترويج محاصيلهم الزراعية بأسعار منافسة للمحاصيل الزراعية الجبلية.

وهكذا أصبحت الزراعة عاملاً اقتصادياً مهماً في حياة سكان السهول، ويزرع الإنغوش السنبليات والخضار في السهول الواسعة، وكروم العنب والأشجار المثمرة في البساتين.

وهناك مناطق في إنغوشيا يقوم سكانها بشكل رئيسي باستخراج النفط وتصنيعه.

وإضافة إلى هذه الأعمال مارس الإنغوش هواية الصيد التي أصبحت مع الوقت جزءاً من حياتهم العملية، وهم يصطادون الغزلان، الأرانب والدببة وغيرها من الحيوانات. حتى أن الصيد قد ترك أثراً في الديانات التقليدية القديمة عند الإنغوش إذ توجد لديهم آلهة الصيد والصيادين، اسمها (إيلتا).

أما الحرف اليدوية والمهن التي يمارسها الإنغوش، فقد عرفوا منذ القرون الوسطى بمهارتهم الفائقة في البناء، وقد أنشأ الإنغوش قراهم التقليدية على سفوح الجبال أو في عمق الأودية. وما زال الكثير من الأبنية (قلاع حربية، قلاع نصف حربية[1]، المنازل والمعابد) تشهد على أن فن العمارة عندهم كان متطوراً بشكل واضح، وتوزع عملية البناء على عدد من المختصين يقوم كل منهم بالعمل الذي هو ماهر فيه، وهم يملكون معدات لكل الاختصاصات المعمارية.

ويرى الكثير من المؤرخين بأن فن العمارة في القفقاس قد نشأ في إنغوشيا، وساهم المعماريون الإنغوش في نشره، ذلك لأنهم كانوا يمارسون فن العمارة في إنغوشيا وخارجها.

كما عرف الإنغوش بمهارتهم في تصنيع جميع أنواع الحلي، من مختلف المعادن، وبأشكال جميلة تفوق الوصف. ومع هذه المهنة مارسوا تصنيع الأسلحة المعدنية (السيوف، الخناجر، الرماح..) وكذلك أدوات الإنتاج الزراعي والأواني المختلفة، لحفظ القمح والشعير وغيرها من المواد الغذائية.

وتذكر المصادر التاريخية القديمة أن شعوب الفايناخ قد صنعوا المقصات المعدنية لقص الصوف (أصواف الخراف)، وهذا شاهد على انتشار أعمال

١- القلاع نصف الحربية، هي قلاع تستخدم لأغراض عسكرية دفاعية، وتكون مسكناً في أوقات السلم -المترجم

الحدادة عند الإنغوش، ومهارتهم في تصنيع المعادن. ولم تقتصر مهاراتهم على ذلك، إذ إنهم كانوا ينحتون من الأخشاب مختلف الأدوات المنزلية (الملاعق والصحون، الأباريق والمزهريات) وكذلك نحتوا من الخشب في الماضي أسلحة مثل السهام والرماح والسكاكين وغيرها. وكان الحجر من المواد التي نحتها الفايناخ بمهارة وجمال، مستخدمين هذه المنحوتات الحجرية في تزيين القلاع والمنازل والقبور والمعابد.

أخيراً يصنع الإنغوش من جلود الحيوانات، التي تعدّ تربيتها من أهم أعمالهم، الأحذية الجلدية المختلفة، للنساء والرجال، وأحذية خاصة للصيادين، والغمود الجلدية للخناجر والسيوف والكثير من المصنوعات الجلدية الأخرى، ولقد تطورت عندهم الصناعات الجلدية في بداية القرن التاسع عشر، عندما بنيت المعامل الخاصة لتنظيف الجلود وتحضيرها وتصنيعها.

الأزياء: تأخذ طابعاً قفقاسياً عاماً.

الحياة الاجتماعية: كان التفريق الطبقي واضحاً عند الإنغوش وبشكل خاص عند الجبليين منهم، فهناك العائلات الضعيفة والعائلات القوية، وكذلك الشرفاء والأحرار. وتعدُّ عمليات الأسر (الخطف) من القبائل الأخرى، أو من أبناء القبيلة ذاتها، الأساس الذي نتجت عنه طبقتا المسيطرين والمسيطر عليهم، وغالباً ما كان يتم أسر (خطف) شخص ما بهدف الحصول على فدية لإعتاقه وإعادته إلى ذويه. ويذكر بأنه مع مرور الوقت، تمكن بعض الأسرى أوالرهائن المحتجزين، من التعايش مع المجتمع الإنغوشي، لدرجة أن يحصلوا على الحرية، ويتحولوا أحياناً إلى ملاكي أراضٍ. إلا أن هذا كله لا يعني بأن العبودية كانت تلعب دوراً كبيراً في حياة الإنغوش، إذ إنهم لم يعتمدوا على العبيد كقوة عاملة. السلطة الاجتماعية العليا في المجتمع الإنغوشي تكون بيد (أعضاء المجتمع الحر)[1]، الذين يشكلون المؤسسات الإدارية المحلية، ويميز هذه المؤسسات التواجد القوي للحماة أصحاب البروج. وفي التجمعات البشرية الإنغوشية في المناطق

١- هم ممثلو طبقة الأغنياء والمسيطرون -المترجم.

السهلية كان دور الإقطاعيين بارزاً بشكل أكبر مما هو عليه حال الحماة في المناطق الجبلية.

ويمكن القول إن الحياة الاجتماعية عندهم مبنية على مجموعة من العادات والتقاليد، نذكر منها، الضيافة، فالضيف يحصل على مكان دافئ ينام فيه، بالإضافة إلى الطعام والراحة دون أي مقابل، ويعدّ المضيف مسؤولاً عن حياة ضيفه، ويتوجب عليه أن يحميه من أي خطر محدق به إذا توجب الأمر. وعدم الالتزام بهذا التقليد، جريمة، يعاقب عليها المجتمع بإبعاد المذنب أو نبذه اجتماعياً ومقاطعته.

ومن عاداتهم أيضاً نذكر، التآخي، الذي غالباً ما يوثق بتبادل الأسلحة بين المتآخين، ولا يجوز عدم احترام التآخي أو التخلي عنه مهما كانت الظروف قاسية، وتنتقل علاقات الصداقة، والتعاون نتيجة التآخي من جيل إلى آخر.

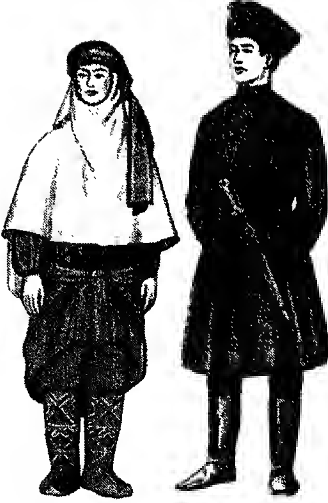
أما التقليد الاجتماعي الذي هو بمثابة القانون الأعلى في الأسرة الإنغوشية، فهو احترام الأبناء للوالدين واحترام الصغير للكبير، ويصل هذا الاحترام إلى درجة أن الصغير يفسح الطريق أمام من هم أكبر منه، كما أن الكبير يملك الحق في أن يتكلم أولاً، في الوقت الذي يجب فيه على الصغير أن يصمت ولا يقطع الحديث أو يشارك به مهما كان نوع الحديث أو مكانه. ويعدّ عدم احترام الوالدين ومن هم أكبر سناً تجاوزاً للحدود يشجبه الجميع. وما تزال هذه العادات قائمة عند الإنغوش حتى يومنا هذا.

المطبخ: لا يختلف عن المطبخ الشيشاني.

الديانات: في فترة القرون الوسطى انتشرت بين الإنغوش مختلف العقائد والعبادات، فكانوا يؤمنون بالسحر وآلهة عالم ما بعد الموت، ومختلف الآلهة الواقعة في المناطق المرتفعة ذات التضاريس الصعبة، في محيط القرى الجبلية. انتشرت تعاليم الديانة المسيحية عند الإنغوش بشكل ضعيف في القرن الثاني عشر تحت تأثير العلاقات مع جورجيا المجاورة، ومن ثم روسيا، إلا أن هذه التعاليم لم تؤثر بشكل كبير على المجتمع الإنغوشي وما تزال بعض الكنائس موجودة حتى يومنا هذا، ومنها معبد (تخابا - يردي) ومعبد (أليبي - يردي) أو المعبد (التراخيمسكي).

وصل الإسلام إلى أراضي إنغوشيا عن طريق داغستان، وقد انتشر في المناطق السهلية قبل أن ينتشر في الجبال. كما ساهم الشيشانيون في نشر الإسلام وتقويته عند الإنغوش في فترة ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، وثبت الإسلام كديانة رئيسية في إنغوشيا، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهناك معلومات تاريخية تشير إلى أن قرية (غفيليتي)، هي آخر قرية اعتنقت الإسلام في إنغوشيا عام ١٨٦١م.

الآفاريون


أزياء فولكلورية آفارية

يسمون أنفسهم (مارولالي)، وهم من السكان الأصليين لداغستان، يبلغ عددهم بشكل عام ٦٠١٠٠٠ نسمة، ويدخل في هذا العدد الشعوب الأنديسكية والتسيزية وشعب الأرتشين، الذين يعدّون من أقرباء الآفاريين.

يبلغ عددهم في مختلف أرجاء روسيا الاتحادية ٥٤٤٠٠٠ نسمة، يتمركزون بشكل رئيسي في داغستان (٤٩٦١٠٠ نسمة)، ويعيش عدد من الآفاريين في جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقاً، إذ يتوزعون فيها على النحو الآتي: أذربيجان ٤٤١٠٠ نسمة، وفي جورجيا ٤٢٠٠ نسمة، وفي كازاخستان ٢٨٠٠ نسمة.

ويقطن الجزء الأكبر من الآفاريين في المناطق الجبلية المرتفعة، ومناطق الجبال الداخلية، ولقد هاجر جزء كبير منهم إلى المناطق السهلية في فترة (١٩٤٠-١٩٦٠م).

ويرتبط الآفاريون تاريخياً، مع قبائل (ليغوف وشميلوف، كاسبيف وأوتيف). ولقد ذكر هذا في المراجع التاريخية العائدة للنصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد.

وذكرت المراجع التاريخية بأن الأراضي التي استوطنها الأفاريون قد سميت منذ القرن الخامس ميلادي باسم قيصرة (السرير)، وتحدثت هذه المصادر عن أن قيصرة (السرير) كانت تجمعاً سياسياً قوياً.

ويسمي المؤرخون الداغستانيون موطن الأفاريين في القرن الرابع عشر باسم (أفاريا)، ويقولون بأن تسمية (أفارين) كسلالة أتت نسبة لاسم قيصر (السرير) الذي كان اسمه (آفار).

وفي القرن الثامن عشر كانت (أفاريا) جزءاً من الخانات[1] الميختولينسكية، وكانت تضم آنذاك ٤٠ اتحاداً قروياً قفقاسياً، وكان جزء من هذه الاتحادات يحمل صفة (المجتمع الحر)[2]، وكانت هذه الاتحادات الآفارية منتشرة في مناطق ما وراء القفقاس أيضاً.

وكانت طبيعة العلاقة بين هذه الاتحادات القروية الآفارية والخان، علاقة اتحادية على الرغم من وجود مميزات وصفات خاصة لكلا الطرفين، وكانت هذه العلاقة مبنية على أساس عدد من الاتفاقيات بين الطرفين وكذلك على أسس العادات والتقاليد المشتركة بينهما.

لقد ساعد التضامن والتعاضد المجتمع الآفاري على صده للهجمات الخارجية الطامعة (منغول - تتار، عرب، فرس، أتراك، روس) كما ساعد في دفاعهم عن حريتهم واستقلالهم. وعندما أصبحت داغستان جزءاً من روسيا بعد توقيع اتفاقية هولستان عام ١٨١٣م بين روسيا وإيران، هبت شعوب القفقاس مدافعة عن حريتها، وقد ساهم الآفاريون في انتفاضة شعوب القفقاس لتحرير داغستان والشيشان تحت قيادة الإمام الصوفي النقشبندي الداغستاني شامل، منذ عام ١٨٣٤ وحتى عام ١٨٥٩م.

نتيجة للإصلاحات الإدارية التي قامت بها روسيا بعد أن أخمدت الثورة وسيطرت على معظم أراضي القفقاس، أصبح الآفاريون جزءاً من المقاطعة (الآفارية - أندي - غينويوسكية). في هذه المرحلة (نهاية القرن التاسع عشر) بدأت العلاقات الاقتصادية والتجارية بالنمو والتوسع، فظهرت طبقة قومية أفارية من التجار الكبار والمنتجين.

وفي عام ١٩٢١م أصبحت (أفاريا) جزءاً من جمهورية داغستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي، (جمهورية داغستان عضو الاتحاد الروسي منذ عام ١٩٩١م).

١- نسبة لكلمة خان، وهو منصب عسكري، سياسي وإداري كان متداولاً لدى جيوش التتار - منغول وممثليهم في المناطق الواقعة تحت سيطرتهم -المترجم

٢- راجع النظام الاجتماعي عند الشعوب الأنديسكية -المترجم

كتبت اللغة الآفارية على قاعدة الأحرف العربية حتى نهاية القرن السادس عشر، وقبل ذلك بقرن ثبت الإسلام كديانة رئيسية للأفاريين، ومن أشهر علماء الإسلام عندهم آنذاك (شعبان ومحمد ودمدان ومحمد ظاهر القرشي) وفي عام ١٩٢٨م كتبت الآفارية على قاعدة الأحرف اللاتينية، وبعد عشرة أعوام على قاعدة الأحرف الروسية.

الحياة الاقتصادية: كانت الزراعة وتربية الحيوانات من أهم الأعمال التقليدية التي مارسها الآفاريون وتدل كتب التاريخ وعمليات التنقيب على أن الحياة الزراعية لدى الآفاريين كانت متطورة منذ القديم. حيث كانت عمليتا الزراعة وتربية الحيوانات في الجبال والسفوح الجبلية مرتبطتين ومتكاملتين.

وتميز الآفاريون من سكان الجبال بتربية الحيوانات، إضافة إلى أنهم تمكنوا من تحويل المنحدرات الجبلية القاسية إلى قطع مستقيمة يمكن زراعتها (نظام عتبات الدرج) وكانت هذه الأراضي تستخدم لزراعة أكثر من مادة في آن واحد، تزرع الأشجار المثمرة وتحتها على سبيل المثال الذرة، وعلى الأخاديد بين الذرة يزرع الفول أو البطاطا وغيرها.

أما روث الحيوانات فكان يستخدم سماداً للأرض. كما أن نظام الري كان متطوراً لديهم، إذ شقت قنوات المياه ووزعت على الحقول. ومن الأدوات الزراعية لديهم نذكر: المحراث الخشبي مع نهاية معدنية، المنجل العادي والمنجل طويل الذراع والشفرة المعدنية، المجرفة، الشوكة، وغيره من الأدوات، وفي مناطق الحقول الجبلية الوعرة كانت تُستخدم مجرفة خاصة (حادة الرأس) لحراثة الحقول الصغيرة وتقليب تربتها. وكانوا يعتمدون على المطاحن الهوائية لطحن الحبوب والحصول على الدقيق أما أهم المزروعات عندهم فهي القمح والشعير والذرة والفول والبطاطا، إضافة إلى هذا اهتم الآفاريون بزراعة الأشجار المثمرة في البساتين مثل المشمش والدراق والتفاح والكرز، والإجاص وغيره من الفواكه، وكذلك الأمر بالنسبة لكروم العنب، إذ كانت لديهم نوعيات خاصة ومميزة من العنب البلدي.

ولقد استخدمت هذه الفواكه في مجال حياة الأسرة وفي المجال الاقتصادي، إذ يتم تجفيف جزء منها لاستخدامه في الشتاء، وقد وضع أساس صناعة الكونسروة

انطلاقاً من هذه الأعمال التي اقتصرت في البداية على المنازل، وتحولت مع مرور الوقت إلى قطاع إنتاجي واسع.

وقد بدأت صناعة الكونسروة منذ القرن التاسع عشر، وكانت منتجات الآفاريين تباع في مناطقهم ومختلف مناطق القفقاس وخارجها كذلك، وكثيراً ما كان يتم تبادل هذه المنتجات بمواد مثل القمح، وقد لعبت منتجات كروم العنب كذلك دوراً تجارياً، حيث كان الآفاريون يصنعون النبيذ من أفضل أنواع العنب بهدف بيعه والحصول على الأرباح.

وفي نهاية القرن التاسع عشر دخلت إلى حياة الآفاريين الزراعية محاصيل جديدة، منها الثوم والبصل، أما زراعة الملفوف والخيار والبندورة فقد بدأت في النصف الأول من القرن العشرين.

ومع مرور الوقت، بدأت عندهم عملية تقسيم المحاصيل الزراعية وتوزيعها على قطع الأرض والحقول والسهول بحسب طبيعة مصانع التعليب والحفظ الموجودة في هذه المنطقة أو تلك، كما ظهرت الشركات التجارية المتخصصة في شراء المنتجات والمحاصيل الزراعية ونقلها إلى مختلف المناطق لبيعها.

ويعتقد المؤرخون بأن الآفاريين كانوا رعاة مرتحلين منذ العصر البرونزي من حياة البشرية، وكانوا في تلك الفترة وبعدها أيضاً يربون الأغنام والماعز، والبقر والثيران، والبغال والحمير القادرة على التأقلم والعمل في التضاريس الجبلية القاسية.

واهتم الآفاريون من سكان الجبال بشكل رئيسي بتربية الأغنام التي أصبحت سلعة تجارية مهمة فيما بعد، ولقد نظم الآفاريون العمل لإنتاج السلع التجارية الحيوانية (صوف، لحوم، جلود، حليب ومشتقاته) ووزعوها إلى مراحل عدة.

اهتم الآفاريون بتربية الخراف التي امتازت بجودة صوفها وطوله. أما في أيامنا هذه فقد ظهرت أنواع جديدة من الأغنام ذات الصوف القصير. إضافة إلى ما ذكرناه سابقاً، مارس الآفاريون صيد الحيوانات البرية مثل الماعز البري، الغزلان والثعالب..، وتربية النحل وإنتاج العسل.

ومن الطبيعي أن تقوم في المجتمع الآفاري، الذي أعطى أهميةً لتربية الحيوانات والاستفادة من منتجاتها، أعمالاً مثل الحياكة والنسيج.

كانت الحياكة والنسيج وظيفة المرأة في المجتمع، فمن الصوف تحيك الجوارب والواقيات الصوفية للأقدام والأيدي. كما أن المرأة كانت تعد الفرو وتجهزه ليصبح لباساً دافئاً لأفراد العائلة، إذ إن المرأة الآفارية تجيد الخياطة بمهارة، وكذلك الأمر بالنسبة للحياكة، فهي تصنع السجاد والجوخ. وتعود صناعة الأجواخ عند الآفاريين إلى زمن قديم، حيث وجدت أثناء عمليات التنقيب قطع جوخ أفاري يعود تاريخها إلى القرون الوسطى، ويعدّ الجوخ الآفاري من أفضل أنواع الأجواخ في داغستان، ويباع منذ القديم في أسواق تبليسي[1] التي كانت تستهلك الجوخ الأبيض بكميات كبيرة.

واستمرت صناعة الأجواخ فترة طويلة إلا أنها زالت[2] في بداية القرن العشرين أما الرجال فكانوا يقومون بتصنيع الجلود، ومختلف الأدوات المهنية والمنزلية من الأخشاب والحجارة، كما أنهم يصكون النحاس ويصنعون منه الأسلحة (سيوف، خناجر وغيرها)، ولقد عثر خلال عمليات التنقيب على قطع مصنوعة من البرونز وأخرى من الحجر يعود تاريخها إلى القرنين الثامن والعاشر الميلاديين.

ومارس الرجال كذلك صناعة الحلي وبعض الأدوات من الفضة، وكان الهدف من هذه الصناعات تجارياً، حيث يبيع الآفاريون الحلي الجاهزة، أو يصنعون حسب الطلب. ومن هذه الصناعات تميزت عندهم الخناجر للرجال وأحزمة الخصر المعدنية والأساور والحلي للنساء. وما زال الآفاريون حتى يومنا هذا يصنعون الحلي وأشياء أخرى من المعادن النفيسة، والمعادن بشكل عام، وقد افتتح في عام ١٩٥٨م مصنعاً لإنتاج الأدوات المعدنية في منطقة (غوتساتلي) الداغستانية الآفارية.

القرية والمسكن: تتميز القرى الآفارية الواقعة على المرتفعات الجبلية بقلة عدد سكانها ومنازلها (٣٠-٥٠) منزلاً، وتكون القرى الجبلية، عادة، مشرفة على نهر ما أو على ضفافه، أما القرى الواقعة في مناطق السفوح الجبلية والهضاب الأقل وعورة وقساوة فيبلغ عدد منازلها ثلاثمئة ليصل أحياناً إلى خمسمئة منزل، وهذا هو حال القرى

١- عاصمة جمهورية جورجيا المجاورة لداغستان والشيشان -المترجم.

٢- أغلب الظن أن صناعة الأجواخ عند الأفاريين قد زالت بسبب ظهور المعامل الحديثة الكبيرة في المدن، والتي لم تستطع معامل الأفاريين اليدوية التقليدية منافستها من حيث الكمية والسعر. - المترجم

الواقعة على قمم الهضاب وسفوحها، وتكون منازل القرية متلاصقة فيما بينها وتشكل جداراً بمحاذاة الطرق الجبلية الضيقة، وغالباً ما تكون على شكل درج مرصوف على سفوح الجبال والهضاب والمرتفعات الجبلية. وقد تم تقوية معظم القرى بقلاع دفاعية وتحذيرية استطلاعية، شيدت على القمم الجبلية والمرتفعات المحيطة بالقرية.

أما القرى السهلية والتي بنيت بشكل رئيسي إثر عمليات ترحيل سكان الجبال إلى السهول في مراحل تاريخية مختلفة، قد بنيت المنازل فيها بشكل أكثر تباعداً عن بعضها من منازل القرى الجبلية التقليدية.

ويعدّ المسجد المركز الاجتماعي للقرية، حيث تعد أمامه ساحة تخصص للاجتماع العام (اجتماع مجلس القرية).

وتبنى الدار الآفارية التقليدية أو المنزل من الحجر، ويكون سقفها رقيقاً يستند على الألواح والأعمدة الخشبية، وتشيد بعض المنازل من طابقين وتصل في بعض الحالات إلى خمسة طوابق يشغل كل منها المساحة المسطحة من سفح الجبل الصالحة للبناء، أو التي تعد للبناء، فيصبح المنزل على شكل عتبتين أو خمس عتبات درج كبير، ويكون لكل طابق مدخله الخاص المتناسب مع موقعه على السفح الجبلي، أما الملحقات (مخزن المواد الغذائية، حظيرة الحيوانات..) فتبنى بالقرب من الطابق الأول من المنزل، وفي كل منزل لا بد من وجود غرفة خاصة لاستقبال الضيوف، ويهتم أصحاب المنزل بهذه الغرفة حيث تفرش بأحسن المفروشات وتزين بالسجاد وأشياء أخرى، كما أن هذه الغرفة تستخدم لإحياء الأعياد والمناسبات العائلية والعامة أحياناً.

أما فرن الخبز الذي يعدّ من الملاحق الرئيسية لكل منزل، فيبنى في موقع يسهل لجميع أفراد العائلة استخدامه، إذ يشيد خارج المنزل وعلى مقربة من كل دوره.

وفي نهاية القرن العشرين تأثر فن العمارة الآفاري بفن العمارة الحديث، فشيدت بعض المنازل من الحجر الرقيق، مع نوافذ واسعة عريضة في الجدران وأرضية من الخشب.

الأزياء: يرتدي الرجال القمصان الرقيقة الفضفاضة والسراويل، ويضعون على الرأس قبعات من الفرو تكون دائرية الشكل أو بشكل معين تصنع من فراء الحيوانات، وينتعلون أحذية جلدية ومن تحتها جوارب صوفية أو واقيات من الصوف.

وفوق القميص يرتدي الرجل معطفاً من القماش الخفيف، وفي الشتاء يرتدي المعطف الطويل المصنوع من الفرو.

أما المرأة الآفارية فيتكون زيها من سروال فضفاض وقميص وثوب طويل وفي الشتاء يرتدين معاطف طويلة من الفرو، وحذاء من الجلد، ويتميز حذاء النساء عن حذاء الرجال بطوله ولونه، كما يميز معطف الرجال عن معطف النساء بأن الأول يكون من دون فتحة للأكمام، إذ يثبت على الكتفين ويغطي كل الجسد بينما تبقى اليدان في الداخل، وكذلك الأمر بالنسبة لغطاء الرأس إذ يضع الرجل قبعته، بينما تضع المرأة منديلاً وفوقه قبعة.

الحياة الاجتماعية: المجالس هي السلطة العليا في المجتمع الآفاري، وكما هو الحال عند معظم الشعوب والأقوام القفقاسية، تتشكل المجالس عند الآفاريين مع الأخذ بالحسبان الوضع الاجتماعي وعلاقات القربى وصلة الدم.

إلا أن الأمر قد اختلف بعض الشيء في القرن التاسع عشر، إذ أصبحت المجالس تتشكل على أسس عامة، يحق ضمنها لأبناء القرية أو المنطقة المشاركة في هذه المجالس، كما يشارك فيها الأئمة والقضاة.

ويعدّ أعضاء المجلس من خيرة النخبة من الكبار والشيوخ، ويقوم أعضاء المجلس الخمسة عشر بدور السلطة الإدارية والتنفيذية، إذ يقوم المجلس بتوزيع مياه الري على المزارعين حسب جداول منظمة، كما ينظم أعمال الحصاد، ويعد لانتخاب مولى للقرية (شيخ وخطيب المسجد)، ويتخذ الإجراءات اللازمة لتعبيد الطرق إضافة إلى الكثير من المهمات الاجتماعية التنظيمية.

أما العائلة الآفارية فهي نوعان، كبيرة وصغيرة، وتنظم العلاقات داخل الأسرة على أساس النظام الأبوي التقليدي، وعلى الرغم من الحظر على الزوجات (عدم اختلاطهن ومحادثتهن للرجال غير الزوج وإخوته ووالده ووالدها وأبنائها) إلا أن المرأة الآفارية (الأم، الزوجة) كانت تملك صلاحيات واسعة في حل الكثير من القضايا العائلية والمسائل المرتبطة بالاقتصاد العائلي.

يتم الزواج عند الآفاريين بالاتفاق (الخطبة، طلب اليد). ولا يوجد مهر عند الآفاريين، وكانت احتفالات الزواج تستمر عدة أيام يشارك فيها جميع سكان القرية،

وفي بعض القرى تبدأ حفلة الزفاف في بيت أصدقاء العريس، أما العروس فيحتفل بها أهلها والمدعوون بشكل مستقل عن الرجال. وفي اليوم الثاني تبدأ الاحتفالات في بيت العريس، ومن ثم تأتي العروس لتنضم إلى زوجها، وتكون في بيتها الجديد، ترافقها إليه صديقاتها وشبان القرية الذين يحجزون بينها وبين زوجها ويطالبونه بدفع الخلعة لاستلامها.

ويقوم بتنظيم احتفالات الزفاف شخص توكل إليه هذه المهمة، ويرقص الشبان والشابات على إيقاع الآلات الموسيقية القومية، وتذبح الذبائح بهذه المناسبة ويتناول المدعوون ألذ الوجبات.

والعيد الأول لهذه الأسرة الشابة بعد الزواج هو ولادة الطفل الأول، ولا سيما إذا كان المولود ولداً، إذ يقوم والده وأعمامه بإطلاق العيارات النارية في الهواء، إعلاناً عن هذا الحدث العظيم وتعبيراً عن البهجة والسرور.

أما الأعياد والمناسبات الآفارية التقليدية فهي كثيرة ويرتبط جزء منها بطبيعة حياتهم الزراعية، ومن هذه الأعياد نذكر عيد الربيع، وعيد بدء موسم الري، وتترافق هذه الأعياد مع احتفالات عامة تتخللها المبارزات والسباقات والرقص والغناء.

ويوجد عند الآفاريين الكثير من العادات الشبيهة بعادات معظم أقوام وشعوب القفقاس مثل: إغاثة الملهوف ومساعدة الآخرين، وإكرام الضيف، والأخذ بالثأر.. أما أوقات الفراغ فيقضيها الرجال في اللعب بالشطرنج والدومينا، كما أنهم يتسلون بمختلف الرياضات الحربية مثل المصارعة وقذف الحجارة ومسابقات الخيل وغيره.

المطبخ: المواد الرئيسية في المطبخ الآفاري هي اللحمة، الحليب ومشتقاته والطحين وكل الحبوب التي يعد منها طحين للمعجنات أو عصائد، إضافة إلى مختلف الخضار والفواكه. وتطهى اللحمة طازجة كما تحفظ أحياناً (تُجفف، تُملح..).

التراث الشعبي: فلكلورهم مليء بالقصص والحكايات والأمثال والحكم، ومن أشهر القصص لديهم هي تلك التي تحكي أساطير وبطولات الأسلاف القدماء من الآفاريين. وفيما يتعلق بالفولوكلور الفني الغنائي والرقص، فهناك عدد من الأغاني المترافقة مع رقصات يكون بعضها للرجال وأخرى للنساء والفتيات، وهناك أيضاً رقصات جماعية مشتركة، ويكون هذا كله على أنغام الأدوات الموسيقية الشعبية التقليدية.

البلكار

هم السكان الأصليون لجمهورية (كاباردين - بالكاريا)، وحسبما ورد في آخر إحصائية أجريت في عام ١٩٨٩م، بلغ عددهم في جميع جمهوريات الاتحاد السوفييتي ٨٥١٠٠ نسمة، يعيش منهم ٧٨٣٠٠ نسمة في جمهورية روسيا الفيدرالية حيث يتمركز العدد الرئيسي منهم والبالغ (٧٠٨٠٠ نسمة) في جمهورية كاباردين - بالكاري عضو الاتحاد الروسي، وينتشر ٨٢٠٠ نسمة في مختلف مناطق روسيا. أما في بقية الجمهوريات السوفييتية فهم يتوزعون على النحو التالي: ٢١٠٠ نسمة في قرغيزيا، و٣٠٠٠ نسمة في كازاخستان. وينقسم البلكار إلى عدة مجموعات إقليمية، وهي:

١- البلكار (مالاكاري، والاكارليلي) وهم يعيشون في حوض نهر (تشيرك الشرقي) الواقع في وادي (بالكاري).

٢- البيزينغيغي أو (بيزينغيتشالا) وهم البلكار الذين يعيشون في المناطق العليا من حوض نهر (تشيريك الغربي).

٣- الخولامي أو (الخولامليلي) ويعيشون في المناطق الوسطى من حوض نهر (تشيريك الغربي).

٤- التشيغيمي أو (التشيغيمليلي) ويعيشون في وادي (تشيغيمسك).

٥- الأورسبيفي أو (الباكساني) ويعيشون في وادي (باكسانك).

لغتهم هي (الكارتشايف - بالكارية)، وتكتب على قاعدة الأحرف الروسية. البلكاري مسلمون من أهل السنة.

أغلب الظن بأن عملية تشكيل السلالة البلكارية قد تمت بتجانس وتعايش ممثلي ثلاث سلالات عرقية، وهي القبائل القديمة في القفقاس والناطقة بالقفقاسية، والقبائل الآلانية الناطقة بالفارسية، والتي جاءت إلى منطقة القفقاس في القرنين الرابع

والخامس الميلادي. وأخيراً القبائل التركية[1] (البلغار الكوبانيون وقبائل الكيبتشاكي أو الكيباتشي) حيث إن لغة البلكاري المشتقة من اللغة التركية والتابعة لمجموعة اللغات (الكيباتشية)، دليل يؤكد أن هذه القبائل قد ساهمت في تكوين السلالة البلكارية.

ففي القرن الثالث عشر وبعد أن انهزمت قبائل (الكيباتشي) أمام الجيوش التتار - منغولية، لجأ عدد منهم إلى جبال القفقاس والمناطق المحيطة بها، وعلى وجه الخصوص إلى المناطق التي استوطنتها القبائل الآلانية الناطقة بالفارسية. ومع مرور الوقت تمكنت هاتان المجموعتان من التعايش ومن ثم التجانس لتلعبا بهذا دورهما في تكوين البنية السلالية البلكارية.

ولقد كتب المؤرخون في الأربعينيات من القرن الثامن عشر، عن السكان الذين يعيشون بالقرب من منطقة (ديوغوري) القفقاسية، والذين يتحدثون بلغة مشتقة من التركية (السونسكية) وبلغة القبائل الأسيتينية[2]، كما تؤكد المعلومات التاريخية أن العلاقات والروابط الثقافية بين هذه القبائل تمتد جذورها في عمق التاريخ، وأن القبائل الأسيتينية قد ساهمت في تكوين السلالة (البلكارية). وتدل القصص والحكايات الشعبية التاريخية على أن وادي تشيريك يعتبر الموطن الأول للبلكاري، إذ إن هذه الحكايات تشير إلى أنهم قد شغلوا (استوطنوا) منطقة حوض نهر تشيريك الشرقي.

وفي الثلث الأول من القرن التاسع عشر انضم البلكار إلى الإمبراطورية الروسية، وكان هذا في الحادي عشر من كانون الثاني/يناير عام ١٨٢٧م، عندما قدم زعماء التجمعات البلكارية الإقليمية طلباً إلى روسيا بمنحهم الجنسية الروسية وضمهم إلى الإمبراطورية الروسية، بشرط أن يسمح لهم بالحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية وأن يتمكنوا من ممارسة شعائر وفروض ديانتهم الإسلامية دون أي

١- المقصود بـ(القبائل التركية)، القبائل التي تتحدث باللغة التركية أو لغة مشتقة منها، والتي هاجرت من تركيا نحو القفقاس -المترجم.

٢- هي قبائل استوطنت منطقة القفقاس منذ القدم وساهمت في تكوين سلالة الشعب الأسيتين - الآني، وهم السكان الأصليون لجمهورية أسيتيا الشمالية - الآني القفقاسية، ديانتهم المسيحية - المترجم.

مضايقات من قبل السلطات الروسية. ولقد سمي البلكار في الوثائق الرسمية باسم (التتار الجبليون) أو (المجتمع الكابارديني الجبلي). وتذكر إحصاءات عام ١٨٦٦م الرسمية، أن عدد البلكار قد بلغ عشرة آلاف نسمة، وفي عام ١٨٩٧م بلغ عددهم ثلاثة وعشرين ألفاً ومئة نسمة.

وفي عام ١٩٢١ منحت مناطق البلكار حقوق المديريات، وتم ضمها إلى منطقة الحكم الذاتي الجبلية (غورسكوي)، وفي عام ١٩٢٢م تم تأسيس المقاطعة (الكاباردين - بالكارية)، التي أصبحت في عام ١٩٣٦ جمهورية الكاباردين - بالكارية السوفييتية، ومنحت سلطات الحكم الذاتي في مناطقها. في هذا العام ١٩٣٦بلغ عدد البلكار ٣٣٣٠٠ نسمة، وفي عام ١٩٥٩م أصبح عددهم ٤٢٤٠٠ نسمة. وفي عام ١٩٤٤م ألغيت جمهورية كاباردين بالكاري وتم ترحيل سكانها إلى صحراء كازاخستان ومناطق آسيا الوسطى، إلا أنهم عادوا إلى ديارهم عام ١٩٥٧م وأعلن عن قيام جمهورية الكاباردين - بلكارية[1]، والتي يتمتع فيها المجلس القومي للشعوب البلكارية بسلطات واسعة وتأثير واضح في سياسة الجمهورية.

الحياة الاجتماعية[2]: النظام السائد في الأسرة هو النظام الأبوي. وكان المجتمع البلكاري عبارة عن تجمعات يترأسها (يملكها) شخص واحد أو عدة أشخاص ويكمن في أساس هذا التقسيم، تقسيم طبقي ما بين شرفاء وعبيد، ومجتمعات حرة وزعماء (أسياد)، إذ يملك السيد الحق في قضاء الليلة الأولى مع زوجة عبد من عبيده إذا ما تزوج، وكان هذا في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وللزواج عندهم قوانينه الخاصة، إذ يمنع الزواج من الأقرباء حتى الجيل السابع من الجد الواحد. إلا أن الوضع قد اختلف مع مرور الوقت وحدوث تغيرات في البنية الاجتماعية التي كانت سائدة حتى القرن التاسع عشر. يتم الزواج عند البلكار بعدة خطوات، إذ يرسل رب الأسرة وجاهة ليطلبوا يد الفتاة التي وقع

١- هي جمهورية قفقاسية وعضو في الاتحاد الفيدرالي الروسي، تدير شؤونها الحكومة والبرلمان المحليان وفق الدستور الروسي وتقاسم السلطة بين المركز الفيدرالي وأعضاء الاتحاد الفيدرالي -المترجم.

٢- نظراً للتطابق ما بين البلكاري ومختلف شعوب القفقاس في معظم مجالات الحياة، لم نتحدث في هذا البحث عن هذه المجالات تجنباً للتكرار، وتم اختيار الموقد نظراً لأهميته في بعض التقاليد الاجتماعية عند البلكار، والتي لم تكن منتشرة بشكل واسع في القفقاس -المترجم.

عليها الاختيار، وبعد موافقة أهلها يتمكن (الخطاب) فقط من الحديث معها، وبعد أن يتفق الطرفان يرسل العريس جزءاً من (المهر) إلى بيت أهل العروس. وأثناء حفلة الزفاف يتجه أصدقاء العريس إلى بيت العروس لإحضارها، وفي هذا الوقت تقوم هي بالدوران ثلاث مرات حول الموقد، وتحاول أن تتأخر بعض الشيء قبل أن تخرج. وفي غضون ذلك يجري تقليد شراء العروس من أهلها، إذ يقدم الشبان من أصدقاء العريس مختلف الهدايا والكثير منها حتى يُسمح لها أخيراً بمغادرة المنزل معهم، والاتجاه إلى بيت العريس حيث الاحتفالات قائمة، إلا أن أحداً لا يرى وجهها، لأنها تخرج مغطاة، وفي مكان الاحتفالات تجلس في غرفة خاصة للعروسين الشابين، تحجبها ستارة شفافة عن الآخرين.

وكذلك الأمر بالنسبة للعريس الذي يختبئ أثناء فترة الاحتفالات في بيت أحد أصدقائه، ولا يعود إلا في الليل عندما يحين موعد دخوله على زوجته.

وتنتهي الاحتفالات في الأيام التالية بعد أن يتم التعارف فيما بين العروس وأهل الزوج، ومن ثم خروجها أول مرة من بيت زوجها لجلب الماء وغيره من التقاليد الهادفة إلى تعويد الزوجة - العضو الجديد في الأسرة - على الأعمال المنزلية.

كان يتم الزواج أحياناً (بالخطف)، مع اتفاق مسبق بين الطرفين، حيث إن هذه الطريقة كانت تساعد في التقليل من نفقات الفرح والاحتفالات بالزواج. أما المهر فقد بلغت قيمته في بداية القرن العشرين ثمانمئة روبل عند الأسياد والشرفاء وثلاثمئة في المجتمعات الحرة.

انتشر الإسلام عند البلكار عن طريق الدعاة الذين أتوا إلى أراضي البلكار من داغستان، في القرن السابع عشر، وقبل هذا كان البلكار من أتباع الديانة المسيحية.

الموقد ودوره في الحياة الاجتماعية: يبني البلكار مواقدهم في وسط المنزل، أو في وسط الغرفة المركزية التي تخصص لرب الأسرة وتكون الأكبر حجماً. ولم تكن النيران تطفأ في الموقد، إذ يحافظون عليها مشتعلة بشكل دائم، وتطفأ النيران في حالة واحدة وذلك عند وفاة الأب رب الأسرة. وهناك تقاليد اجتماعية عديدة مرتبطة بالموقد، فمثلاً يتوجب على الفتاة أن تقوم بالدوران ثلاث مرات حوله، قبل أن تغادر بيت أهلها إلى بيت زوجها. وإذا ما وجه أحدهم إهانة للموقد فإنه يصبح عدواً، ويصبح قتله واجباً، ضمن عادات وتقاليد الثأر السائدة عند معظم شعوب وقوميات القفقاس.

الباغولال



قرية خوشتادا الباغولالية

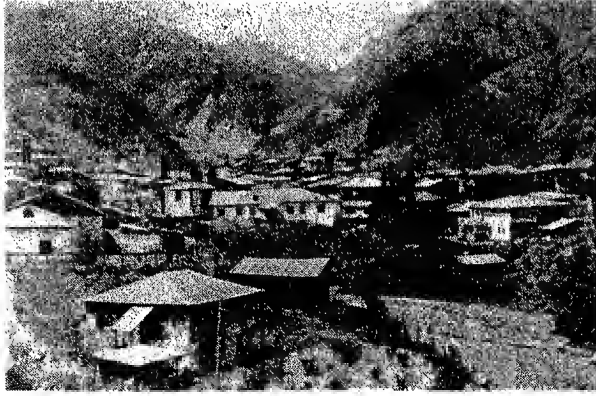
هم جزء من الشعوب الأنديسكية، المواطنين الأصليين للمناطق الغربية من داغستان، يبلغ عددهم خمسة آلاف نسمة، لغتهم الباغولالية ويستخدمون اللغة الآفارية أيضاً، وهي اللغة التي يكتبون بها على قاعدة الأحرف الهجائية الروسية. والباغولال مسلمون سنيون، وقد وصل الإسلام إليهم في القرن الرابع عشر.

كان الباغولال في الألف الأولى قبل الميلاد، عضواً في الاتحاد الديديوري، ومن ثم في الاتحاد العسكري السياسي (ديدو)، ومع سقوط هذا الاتحاد في القرن الخامس عشر، شكلت القرى الباغولالية تجمعاً خاصاً بها وكان مركزه قرية (خوشتادا). وبعد أن أصبحت داغستان تابعة لروسيا منذ توقيع معاهدة هولستان عام ١٨١٣م بين روسيا وإيران، أصبحت القرى الباغولالية جزءاً من النائبية التشامال -

أونكاراتلكسية، وجزءاً من المقاطعة الانديسكية منذ عام ١٩٢١م، ويعيش الباغولال حالياً في منطقتي (تسومادينسك وأخفاخسك)، في المنطقة الغربية من داغستان.

الحياة الاجتماعية والإنتاجية، الفولوكلور والعادات والتقاليد، هم في ذلك كغيرهم من الشعوب الانديسكية.

البيجتيني[1] (البيجتينسي)



قرية بيجتا البجتينية

يسمون أنفسهم (بيجتيني) ويبلغ عددهم ٩٠٠٠ نسمة، يعيش منهم ثمانية آلاف نسمة غربي داغستان، وتعيش الألف الباقية منهم في جمهورية جورجيا. لغتهم البيجتينية، كما تنتشر عندهم اللغات الآفارية والجورجية، وفي الكتابة يستخدمون اللغة الآفارية. والبيجتيني مسلمون سنيون.

موطنهم الحالي هو نفس الموطن الذي تواجدوا فيه منذ النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد، ويتكون من المناطق الواقعة شمالي روافد نهر (أفارسكاكويسو) في المنحدرات التي يشكلها تلاقي هضبة (بوغوفسكوفا) مع الجبال المركزية من سلسلة جبال القفقاس، ويعيش البيجتيني في قرى (بيجتا، خاشاراخوتا، تلادال) وبعض المناطق المجاورة لها.

ذكر في المؤلفات الجغرافية العربية في القرن العاشر الميلادي، أن البيجتين كانوا عضواً في اتحاد (الديدو)[1] العسكري السياسي، وفي القرن الخامس عشر

١- الحياة الاجتماعية، العادات والتقاليد، الحياة الإنتاجية وغيره - راجع الآفاريون -المترجم

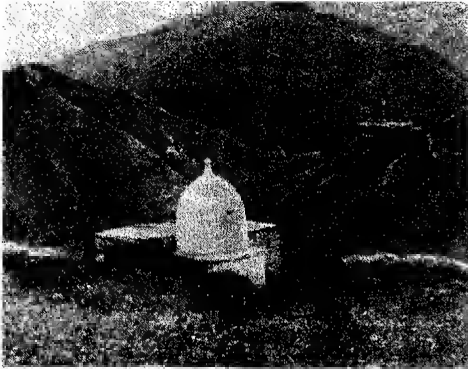
كانوا عضواً في اتحاد (أنتسوخا - كابوتشينسكي) الكونفيدرالي، وبعد سقوط هذا الاتحاد وانقسامه في القرن الثامن عشر، بقي البيجيتيني عضواً في اتحاد (الكابوتشينسكي) للتجمعات القروية، وكان لهذا الاتحاد علاقات اقتصادية وسياسية وعسكرية قوية مع جورجيا المجاورة لهم.

وبعد أن أصبحت داغستان تابعة للأراضي الروسية عام ١٨١٣، هبت شعوب القفقاس ضد الاحتلال الروسي، وشارك البيجتيني في التمرد الداغستاني - الشيشاني الذي قاده الإمام شامل في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وبعد أن أخمدت جيوش الإمبراطورية الروسية هذه الانتفاضة (التمرد)، بدأت بتنفيذ إصلاحات إدارية في عام ١٨٦٠م، وأصبح البيجتينيون جزءاً من المديرية (الفونوبيسكية). وفي عام ١٩٢١ انضموا إلى جمهورية داغستان.

١- هو اتحاد عدد كبير من قبائل وأقوام وشعوب المنطقة الغربية من داغستان، شكل في الألف الأولى قبل الميلاد وسقط في القرن الرابع عشر. -المترجم

البوتليخيون

هم من السكان الأصليين للمنطقة الغربية من داغستان، حيث استقروا منذ القديم في الأجزاء الجنوبية من منطقة (بوتليخسك)[1] الغربية، ويشغل البوتليخ قرى (بوتليخ وميراسو) الواقعتين على ضفة نهر (أنديسكاكويسو)، وقريتي (أشينو وآنخو)، ويبلغ عددهم ما يقارب ستة آلاف نسمة، وكان عددهم عام ١٨٩٧م (١٢٣٠) نسمة، وفي عام ١٩٢٦م بلغ عددهم ٣٣٥٠ نسمة، وفي عام ١٩٢٨م ما يقارب أربعة آلاف نسمة، ومنذ عام ١٩٣٩م يحصى البوتليخيون كجزء من الآفاريين، ومن هنا فإن العدد المذكور (٦٠٠٠) نسمة هو عدد تقديري تقريبي، يعتقد المؤرخون بأن البوتليخي كانوا جزءاً من الاتحاد العسكري السياسي



مقام شيخ في قرية بوتليخ



الحي القديم في قرية بوتليخ

١- وهي المنطقة التي احتلتها القوات العسكرية التابعة للقائد الشيشاني شامل باسايف في آب/اغسطس عام ١٩٩٩م، ونتيجة لاحتلالها تدهورت الأوضاع في منطقة القفقاس وعلى وجه الخصوص (داغستان والشيشان) حيث أعلنت روسيا عن بدء حملة عسكرية جديدة ضد الشيشان. - المترجم.

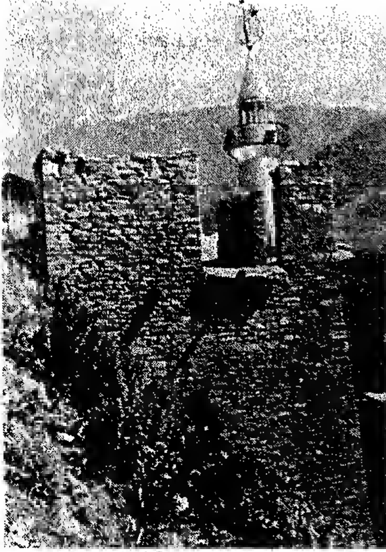
(ديدو)[1] في فترة الألف الميلادية الأولى، وسقط اتحاد الديدو في فترة ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي. ولم يقع البوتليخ تحت سيطرة الفاتحين العرب في فترة الفتوحات العربي الإسلامية للقفقاس (القرنين السابع والثامن الميلادي)، حيث ورد في المصادر التاريخية بأن البوتليخي كانوا مسيحيين حتى نهاية القرن الرابع عشر، واعتنقوا الإسلام في القرن السادس عشر.

ساهم البوتليخيون في الحياة السياسية للشعوب المستوطنة في غرب داغستان، إذ لعبوا دوراً في تأسيس اتحاد (تيخنوتسال) في منطقة بوتليخنسك في القرن الخامس عشر. وفي القرن السادس عشر وقع البوتليخي تحت سيطرة الآفارين، الذين كانوا تابعين آنذاك للدولة التتار - منغولية.وفي منتصف القرن التاسع عشر وقف البوتليخي مع بقية الشعوب القفقاسية التي هبت لتدافع عن أراضيها ولتحررها من جيوش الإمبراطورية الروسية.

في بقية جوانب الحياة عندهم راجع الشعوب الأنديسكية والأندي، إذ إن البوتليخيين جزء من الشعوب الأنديسكية. (المترجم).

١ـ اغلب الظن ان السبب في وجهة النظر التاريخية هذه هو قيام اتحاد (ديدو) في المنطقة الغربية من داغستان، وضمه لكل الشعوب والأقوام فيها، ومن هنا جاء اعتقاد المؤرخين بأن البوتليخي كانوا جزءاً من هذا الاتحاد ـ المترجم

الغينوخيون


مأذنة مسجد في قرية غينوخ

هم من السكان الأصليين لمنطقة غرب داغستان، يتكلمون باللغة الغينوخية كما يستخدمون عدداً من اللغات منها الآفارية التي يعتمدونها في الكتابة.

يعيش الغينوخيون في المناطق السفلى من الهضاب المركزية من سلسلة جبال القفقاس، أي في حوض نهر (أنديسكاكويسو)، وعلى سفوح جبل (أختولو) حيث تقع قرية (غينوخ). وانتقل جزء ضئيل منهم إلى المناطق السهلية، وعلى وجه التحديد إلى منطقة (كيزلار). وقد استوطن الغينوخي في هذه المناطق منذ النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد.

وورد ذكرهم في المراجع التاريخية الجورجية، باعتبارهم شعباً من شعوب غرب داغستان، حيث كانت تربطهم مع جورجيا علاقات اقتصادية وسياسية متينة.

وكان الغينوخي عضواً في الاتحاد الفيدرالي (الأنتسوخا - كابوتشينسكي) المسمى (أنتل - راتل)، وبعد هذا انضموا إلى الاتحاد (الديدوريسكي) للتجمعات القروية.

انتشر الإسلام عندهم في القرن الثامن عشر، وقبل هذا التاريخ جرت محاولات لنشر الديانة المسيحية بين صفوفهم.

ومنذ عام ١٨١٣م أصبحوا جزءاً من الإمبراطورية الروسية، وهذا بعد أن تم ضم داغستان إلى روسيا إثر توقيع معاهد هولستان بين روسيا وإيران. وقد ساهم

الغينوخي في التمرد الذي قاده الإمام النقشبندي شامل، ضد الجيوش الروسية في منطقة القفقاس (١٨٣٤-١٨٥٩)، كما ساهموا أيضاً في انتفاضة الجبليين القفقاسيين ضد روسيا عام ١٨٧٧م[1]، وبعد إخماد هذه الانتفاضة هاجر الكثيرون إلى تركيا وإيران.

وبلغ عدد سكان قرية (غينوخ) عام ١٨٨٦م، ثلاثة وخمسين شخصاً.

ونتيجة للإصلاحات الإدارية في أراضي الإمبراطورية الروسية عام ١٨٦٠م، أصبح الغينوخي تابعين للنائبية (الكيدرينسكية)، ومنذ عام ١٩٢١م أصبحوا جزءاً من جمهورية داغستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي، التي أصبحت بعد سبعين عاماً (بعد سقوط الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م) جمهورية داغستان عضو الاتحاد الفيدرالي الروسي. وتشير المعلومات التاريخية إلى أن عدد الغينوخي قد بلغ عام ١٩٤٧م ٢٤٤ نسمة، ويذكر بأنه قد تم ترحيل عدداً منهم إلى أراضي الشيشان عام ١٩٤٤م عندما رحل الشيشان والإنغوش إلى صحراء آسيا الوسطى، ثم عاد الغينوخي إلى أراضيهم عام ١٩٥٧م.

١ـ نشبت هذه الثورة في داغستان بعد ان اتحد اتباع الطريقة النقشبندية (او التيار النقشبندي) واتباع التيار القادري من الصوفيين، والتي اعلنت عنها الإمبراطورية الروسية بأنها طريقة (تيار) غير مشروعة عام ١٨٦٠م، والقت القبض على زعيمها (كونتا الحاج كيتشيف) واودعته في مصحة نفسية. واعلن اتباع الطريقتين عن استمرار المقاومة ضد الجيوش الروسية فاستمرت اعمال العنف عاماً كاملاً، وانتهت باعتقال الشيوخ قادة الثورة وزجهم في السجون التي لم يقدر لبعضهم الخروج منها إلا في عام ١٩١٧م، مثل الشيخ (أذن حاج) الذي بدا الجولة الثالثة من الجهاد وقتها، الى ان نجح البلاشفة في إخماد ثورته عام ١٩٢٣م ـالمترجم

الشعوب التسيزية

هي مجموعة بشرية تعيش في روسيا الاتحادية وهي جزء من الشعوب الآندو - تسيزية، (آندو - ديدرويه) الداغستانية (التسيزي هم نفسهم الديدو، إضافة إلى شعوب: البجتيني، الخفارشيني، الغينوخيون، الغونزيبيون،). يبلغ عددهم (مع كل الشعوب الآندية) ٥٥-٦٠ ألف نسمة، حسب تقديرات وُضعت عام ١٩٩٢م. هم من أقارب الأفاريين، الذين تم حساب التسيزيين منهم في الدراسات والإحصائيات السكانية في الحقبة السوفييتية، إلا إحصائية واحدة تناولتهم بشكل مستقل، هي إحصائية عام ١٩٢٦م. الشعوب التسيزية هم السكان الأصليون للمناطق الغربية من داغستان، تتناثر قراهم في الوديان وعلى السفوح الجبلية على الخط الحدودي مع جورجيا، وعلى طول نهر موتموتا، ونهر ساباكونيس - خيفي، ونهر إيلان - خيفي، ونهر كيديري، وأخيراً نهر أوري - تسخالي. في المناطق الجنوبية الشرقية منهم على ضفاف أنهر: خفان - أور، سامبيري - خيفي، وفروعهما، يسكن البجتيني (كابوتشني، خفانيل، والغينوخي، والغونزيبي، وغيرها من شعوب المنطقة. وفي المنطقة الشرقية، على ضفاف نهر كويسوأنديا يعيش الخفارشيني. في سنوات الحكم السوفييتي تم ترحيل بعض الشعوب التسيزية إلى خاسفيورت وكيزليار. يعيش جزء منهم في الأراضي الجورجية، (كاخيتيا). يتحدثون باللغات التسيزية، التي تحتوي على عدد كبير من اللهجات، والاختلافات بين مختلف اللغات التسيزية هي أكبر وأكثر وضوحاً من الاختلافات في لغات الشعوب الأندية.

يتحدثون بطلاقة باللغة الآفارية، التي تلعب دور اللغة المشتركة بين الشعوب التسيزية والشعوب الأندية. كما يُجيد البعض من متوسطي العمر والكبار، اللغة الجورجية. ومن المعروف أيضاً أن الكثيرين من الغينوخي يتحدثون باللغات: البجتينية،

التسيزية، الغونزيبية. ويتقن الغونزيبي بدورهم هذه اللغات إضافة إلى اللغة الفينوخية. لغتهم المكتوبة كانت الآفارية على أساس الأحرف العربية حتى القرن الثامن عشر. وتحولوا بعد ذلك إلى الأحرف اللاتينية، وبقيت لغتهم المكتوبة هي الآفارية، وأخيراً اعتمدوا الأحرف الروسية في الكتابة. الشعوب التسيزية هم من المسلمين السُنَّة.

يعيش التسيزيون على أراضيهم الحالية، موطنهم الأصلي منذ النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد. هذا ما تؤكده المصادر التاريخية القديمة، إلى جانب الشعوب التسيزية، تُشير المصادر إلى وجود الشعوب الديدوية (الديدويتسية - الديدو) في تلك المرحلة من تاريخ شعوب شرقي داغستان. تحت هذا الاسم (ديدو) قام اتحاد المجتمعات القروية الذي وحد بين مجموعة من شعوب المناطق الجبلية في غرب داغستان. وورد ذكر البجتين والكافوتشي في المراجع العربية التي يعود تاريخها إلى القرن العاشر الميلادي. بينما ورد ذكر الغونزيبي، والخفاشيني في المراجع التاريخية الجورجية التي يعود تاريخها إلى مرحلة أقدم من تاريخ المصادر العربية. منذ القرنين الرابع والخامس الميلاديين، بدأ المبشرون الجورجيون عملية نشر الديانة المسيحية في غرب داغستان. بعد الحملات التتار - مغولية، وكذلك الحروب بين تركيا وإيران، عادت الديانات التقليدية لتكون هي المسيطرة في المجتمعات غربي القفقاس. قامت على مر التاريخ علاقات تجارية وثيقة بين الديدوريين والجورجيين. منذ القرن الخامس عشر، بدأت عملية نشر الإسلام في المجتمع الديدوري. وتحت شعار الإسلام تزايدت سلطات الخانات الآفاريون على المنطقة. في هذه المرحلة يسقط اتحاد الديدوي وينحل إلى عدة اتحادات قروية مستقلة عن بعضها. عملية نشر الإسلام وتحول المجتمع إلى مجتمع إسلامي انتهت في القرن الثامن عشر.

ساهم الديدوريون في الحرب التي خاضتها شعوب داغستان والشيشان والقفقاس (١٨٤٠م). عام ١٨٦٠-١٨٦١م تم ضمهم إلى النائبية، عندما تم تقسيم داغستان إلى عدة مناطق إدارية سُميت كل واحدة منها (نائبية). ساهموا في الثورة ضد الجيوش الروسية عام ١٨٧٧م، وتمكنت قوات القيصر من القضاء على الثورة وإخمادها. في منتصف عام ١٩٤٠م اضطر عدد كبير من عائلات الشعوب التسيزية إلى مغادرة أراضيهم في موطنهم الأصلي، أثناء الترحيل الجبري الذي تعرضت له شعوب القفقاس في تلك

السنوات. حيث تم ترحيلهم إلى الأراضي الشيشانية، بعد ترحيل الشياشنيين والإنغوش وغيرهم نحو آسيا الوسطى. سُمح لهم بالعودة إلى قراهم عام ١٩٥٧-١٩٥٨م.

الأعمال التقليدية التي مارسوها كانت الزراعة وتربية المواشي وأعمال الرعي. إضافة إلى بعض المهن والحرف اليدوية. اهتموا بتربية الخراف من السلالات المحلية الديدورية، والآندية، وغيرها. إضافة إلى الأغنام اعتنوا أيضاً بالماعز وقطعان البقر والثيران، والخيول من السلالة الآفارية. في الخريف كانوا يتجهون بقطعان الماشية نحو المراعي الشتوية. بينما يحافظون على جزء صغير من الماشية ضمن العزبة (المزرعة المنزلية).

قامت الأعمال الزراعية عندهم على السفوح الجبلية حيث اعتمدوا أسلوب المدرجات. المحصول الرئيسي في تلك المناطق كان القمح الذي يعطي الخبز للسكان ويأخذون منه مواد غذائية أخرى يستخدمونها في حياتهم اليومية. حرثوا أراضيهم بطريقة تقليدية تُستخدم فيها الثيران لجر السكة الحديدية التي تقلب التربة. وفي وقت لاحق انتشرت عندهم بعض الأعمال المهنية مثل الحدادة وصناعة الأقمشة والأجواخ.

كان يتم تقسيم العمل بين الرجال والنساء بنظام صارم. حيث يقوم الرجال بحراثة الأراضي ورش البذار والسماد عليها، إضافة إلى الاعتناء بالحيوانات والتنقل معها بين المراعي، ويقومون بأعمال قص صوف الخراف، وحلب البقر والأغنام. ومن الأعمال المنزلية كانت عمليات البناء تقع على عاتق الرجل، وتحضير الأخشاب للموقد، والعناية بالخيل. بينما كان العمل الرئيسي للمرأة هو التدبير المنزلي والطهي والعناية بالأطفال، إضافة إلى بعض الأعمال مثل الحياكة وغزل الصوف.

الطابع الغالب للأسرة هي الأسرة الصغيرة. تلعب صلة القرابة بالدم دوراً مهماً في الحياة الخاصة والعامة والاجتماعية للفرد. وكذلك الأمر بالنسبة للتوخوم الذي كان يشكل اللبنة الرئيسية للمجتمع التسيزي. ولم يفقد التوخوم أهميته حتى أيامنا هذه. الجهاز الاجتماعي الأكثر أهمية من حيث السلطات والصلاحيات هو الجماعات التي كانت تضم أحياناً ثلاثة أو أربعة توخومات أسرية، وقد يصل عددها أحياناً إلى السبعة. وغالباً ما يكون زعماء التوخومات هم نفسهم أعضاء مجلس الجماعات (مجلس الشيوخ) حيث يقوم كل واحد منهم بتمثيل توخومه، ويسعى إلى حماية مصالحهم

وتأمينها من خلال هذا المجلس الذي يمثل المجتمع، ويوجد فيه تمثيل لكل العائلات والتوخومات القروية. وكان أعضاء المجلس يسعون إلى تحصيل الدعم المالي للعائلات التي يمثلونها، في حال حدوث أمر مثل الكوارث الطبيعية التي قد تدمر المحاصيل، أو في بناء منزل، أو للزواج، وغيرها من قضايا قد تحتاج الأسرة خلالها لدعم مادي من التوخوم ومن مجلس الشيوخ.

النظام السائد داخل الأسرة هو النظام الأبوي، حيث يحترم الكبير الصغير، والنساء تحترم الرجال وتمتثل لرغباتهم، ويحترم الجميع الأب أو الجد، أي كبير الأسرة. وحسب العادات كان الأب يملك الحق بالتحكم في كل أملاك الأسرة، وحتى أملاك الأبناء، باستثناء ما قدمه للزوجة كمهر زواجها.

تلعب الزوجة دور سيدة المنزل، ومن دون مشاركتها لا تُحل عملياً أي قضايا منزلية تتعلق بالأسرة. حتى عام ١٩٤٠م كانت مجالس الرجال من المظاهر العادية في المجتمع التسيزي، وهذا المجلس هو عبارة عن تجمع للرجال يمارسون من خلاله هواياتهم ويمضون الوقت فيه بالتسلية مع بعضهم.

تقع قرى التسيزيين على سفوح الجبال، وتأخذ شكل التيراسات على السفوح، وكما جرت العادة، الدخول إلى القرية يكون عبر طريق واحدة فقط، بينما تكون بقية المنافذ مغلقة. وفي المناطق التي بدت ضعيفة من حيث القدرة على الحماية الذاتية، شيد السكان الأبراج الدفاعية الحجرية التي كان ارتفاع بعضها يصل إلى عدة طبقات. تلعب هذه الأبراج دوراً دفاعياً واستطلاعياً، للإنذار المبكر عن أي هجمة. تتخلل جدران القلاع الدفاعية فتحات خاصة للرمي. أما الجدران الخارجية فتكون صماء يستحيل تسلقها. وتكون هذه القلاع عادة في محيط القرية. أما المسجد فغالباً ما يتم تشييده في وسط القرية. وفي كل قرية أكثر من (غوديكان)، وهو المكان الذي يمضي فيه الرجال أوقات فراغهم.

يتألف المنزل عندهم من طبقتين أو ثلاث طبقات أحياناً، ويكون السقف في أغلب الحالات من ألواح الخشب التي تكسوها طبقة من التراب. ويكون السقف في بعض الحالات من عدة طبقات من ألواح الخشب فوق بعضها بعضاً بشكل منظم ولا يسمح للأمطار بالنفاذ.. يُقسم المنزل حسب المهمات، فالطبقة الأولى غالباً ما تكون

للماشية والحيوانات المنزلية، بينما تُستخدم الطبقة الثانية كمستودع للأعلاف. أما الطبقة الثالثة فتكون مسكناً للأسرة. وكان البعض يُشيد الأبنية الضرورية للمواشي وأعلافها خارج حدود المنزل.

الأزياء الفلكلورية التقليدية لا تختلف عن الأزياء لدى معظم شعوب داغستان. أما الوجبات الرئيسية في المطبخ عند التسيزيين، فكانت تتألف بشكل رئيسي من الطحين واللحوم والحليب ومشتقاته.

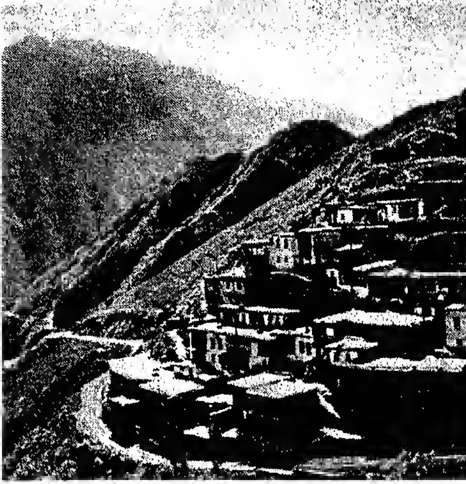
من أهم الأعياد عندهم، عيد الفطر، وعيد المولد النبوي وجرت العادة أن تمتد الطاولات المليئة بألذ الأطعمة في هذه الأعياد، وتذبح الأضاحي ويتم إقامة الموالد والصلاة لأفراد الأسرة جميعاً والتوخوم. يتبادل الناس خلال هذه الأعياد الزيارات للتهنئة، فيزور الأقرباء بعضهم ويزورون الأصدقاء، والجيران، وأبناء القرية.

هناك الأعياد التي تحدثنا عنها في أكثر من بحث وهي تلك التي ترتبط بحياتهم العملية، مثل عيد الربيع، وعيد المطر، وعيد استقبال الشتاء، وعيد بدء الأعمال الزراعية، وغيرها من مناسبات شبيهة.

فلكلور هذه الشعوب هو فلكلور بلغتين، الآفارية واللغة القومية لكل شعب من الشعوب التسيزية. ولكل شعب من هذه الشعوب تقويمه الاقتصادي الذي يحدد موعد الأعمال الزراعية، ويتم وضعه بموجب الخبرة التي تراكمت عبر العصور في هذا المجال عند التسيزيين. وكان الطب الشعبي متطوراً عندهم، حيث يتمكن الطبيب من تشخيص الحالة المرضية ووضع العلاج المناسب لها.

التساخيون (التساخوريون)

هم من السكان الأصليين لأراضي داغستان، يبلغ عددهم بشكل عام ١٩٨٠٠ نسمة يعيش منهم في جمهورية داغستان ٥٢٠٠ نسمة، وفي جمهورية أذربيجان ١٣٣٠٠ نسمة كما يعيش قسم منهم في مناطق أخرى من جمهورية روسيا الاتحادية.


التساخيون – قرية جبلية

ينطقون باللغة التساخورية، كما يتقنون اللغة الأذربيجانية بطلاقة، أما اللغة الروسية فيتقنها ٢٥٪ منهم، وهم الذين يعيشون في روسيا وجزء من التساخوريين الذين يعيشون في أذربيجان، وهذا لأن اللغة الروسية هي اللغة الموحدة لجميع شعوب وقوميات وجمهوريات الاتحاد السوفييتي، التي كانت أذربيجان واحدة منها.

استخدمت مدارس التساخوريون في داغستان اللغة الأذربيجانية للتعليم حتى عام ١٩٥٢م، ومن ثم تحولوا إلى اللغة الروسية. أما الكتابة، فقد كانت التساخورية تكتب بأحرف خاصة تم إعدادها اعتماداً على الأحرف اللاتينية، وحتى بداية الثلاثينيات من القرن العشرين، كان جزء كبير من التساخوريين يكتب باللغة العربية، وقد بدأت عملية إعادة الكتابة باللغة الأم (التساخورية) في وقتنا الحالي. والتساخوريون مسلمون سُنّيون.

يعيش التساخوريون في منطقة (روتول) الجبلية الوعرة في داغستان، والمناطق العليا من حوض نهر (ساحور)، فهم يشغلون المنحدرات الجنوبية من الهضاب المركزية

لسلسة جبال القفقاس، أي الجبال والسهول المحيطة بها في مناطق (زاكاتالسك، كاخسكوم، بيلاكامين) الأذربيجانية، وتفصل التساخوري سكان داغستان عن التساخوري من سكان أذربيجان سلسلة جبال القفقاس، وتؤكد المراجع التاريخية والجغرافية والدراسات السلالية بأن التساخوري هم أبناء سلالة واحدة تكونت مع الوقت، واستقرت في منطقة جغرافية طبيعتها غنية بالمياه والمراعي، وأراضيها جيدة وصالحة للزراعة ومناخها جنوبي دافئ نسبياً. وقد ساهم اختيارهم لهذه المنطقة في تطور حياتهم في مجالي الزراعة وتربية الحيوانات.

مصدر التسمية السلالية (تساخوري) هو اسم واحدة من أهم قراهم (تساخور). ويمكن أن نجد أقدم المعلومات عن التساخوريين في كتب التاريخ الجورجية التي تتناول تاريخ القرن السابع الميلادي، حيث يتحدث عنهم المؤرخون الجورجيون تحت اسم (تساخايكام)، وتذكر هذه المصادر أنه قد تم خلال عمليات التنقيب العثور على أدوات من الآجر وأخرى من البرونز، في مناطق التساخوري، يعود تاريخها إلى الألف الثالثة والثانية قبل الميلاد، مما يدل على أن عملية تطور الحياة الزراعية والإنتاجية لهذا الشعب قد بدأت منذ حقبة بعيدة من الزمن.

وفي فترة من فترات تاريخهم كان التساخوريون تابعين لجمهورية (ألبانيا القفقاسية) أو القفقاس - ألبانيا، وبعد سقوطها نشأ على أراضي التساخوري تجمع سياسي مستقل على شكل إمارة أو دويلة، وكان مركزها الإداري قرية تساخور.

وتؤكد المخطوطات التاريخية بأن التساخوريين قد اعتنقوا الإسلام وبدؤوا الكتابة باللغة العربية في فترة ما بين القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي، وفي القرن الثالث عشر افتتحت المدارس، حيث يتعلم الطلبة اللغة العربية ويعملون على ختم القرآن وحفظه عن ظهر قلب، وكان هناك مواد أخرى تدرس باللغة العربية أيضاً.

وفي هذه الفترة بدأت محاولات علمائهم بترجمة علوم الدين الإسلامي إلى اللغة التساخورية.

وفي القرن الخامس عشر لقب زعيم اتحادات التجمعات القروية التساخورية بلقب (السلطان التساخوري)، وعندما تم نقل مركز سلطة هذه الاتحاد إلى قرية (إيليسو) في القرن الثامن عشر، أطلق على اتحاد التساخوري اسم (السلطة الإيليسوية) وأسس بعض

التساخوري من سكان المناطق الجبلية اتحاداً مع جيرانهم الآفاريين باسم (جارا بوليكانسكي).

تم ضم موطن التساخوري إلى الإمبراطورية الروسية في بداية القرن التاسع عشر، وفي عام ١٨٥٢م، قامت الجيوش الروسية بتدمير معظم قرى التساخوري الجبلية كعقوبة على مشاركتهم في الانتفاضة القفقاسية التي قادها الإمام شامل ضد جيوش الإمبراطورية الروسية، وقد تم حينها إبعاد السكان الأصليين عن موطنهم وقراهم، وسمح لهم بالعودة بعد أن انتهت الحرب القفقاسية، وتم ضمهم إلى المديرية العسكرية (الجارابوليكانسكية)، حيث كانت الإدارة مسؤولة عن كل الشؤون الخارجية، بينما تتحمل المجالس الشعبية مسؤولية القضايا الداخلية للتساخوري، وكانت هذه المجالس تحل جميع المستعصيات والخلافات الداخلية على أسس الشرع الإسلامي والعادات والتقاليد المحلية.

وكان مجلس الرجال الذي يعرف باسم (الجماعة) يمثل السلطة العليا عند التساخوري ويقوم هذا المجلس بانتخاب (الكبير) أي (رئيس المجلس) والحكام والقضاة وعناصر السلطة القضائية التنفيذية.

وإذا واجهت المجلس قضايا على درجة عالية من الأهمية لجميع التساخوري والأذربيجانيين منهم، يتم في هذه الحالة الدعوة لعقد مجلس عام والذي يشارك فيه ممثلو مجالس جميع القرى التساخورية.

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر أصبحت زمام السلطة بيد رئيس المجلس الذي يلقب باللغة التساخورية (كافخا)، وبقي الحال هكذا إلى أن هبت ثورة تشرين الأول/أكتوبر في روسيا وشملت بتغيراتها كل الأراضي الروسية والسوفييتية، فأدخلت تعديلات على نظام السلطة الاجتماعية عند التساخوري.

الدَرْغينيون


أزياء فولكلورية درغينية

هم من السكان الأصليين لأراضي داغستان، يبلغ عددهم بشكل عام ٣٦٥٠٠٠ نسمة، يعيش منهم في روسيا الفيدرالية حسب إحصائية عام ١٩٨٩م ثلاثمئة وخمسين ألفاً وثلاثمئة نسمة (٣٥٠٣٠٠ نسمة)، يعيش الجزء الرئيسي منهم في جمهورية داغستان حيث بلغ عددهم هناك مئتين وثمانية آلاف وأربعمائة نسمة (٢٠٨٤٠٠)، ويتوزع الآخرون في مختلف المناطق على النحو التالي: ٣٢٧٠٠ في إقليم ستافروبل، و١٢٩٠٠ نسمة في كالميكي، ويعيش منهم مئة وعشرون ألف نسمة خارج أراضي روسيا الفيدرالية.

استقر الدرغينيون منذ القديم في المنطقة الوسطى من داغستان (قمم الجبال، السفوح الجبلية والجبال المتوسطة، وجزء من المنطقة السهلية) وفيما بعد انتقل جزء كبير منهم إلى المناطق السهلية.

وخلال عملية تمازج وتوحد الأقوام والقبائل الداغستانية القديمة، دخل إلى السلالة الدرغينية عدد من القبائل القفقاسية القديمة مثل (الكايتاغي والكوباتشني).

وانتشروا منذ الألف الأولى قبل الميلاد في المناطق الساحلية ومناطق السفوح الجبلية في داغستان (من شمالي مدينة ديربنت وحتى مدينة محج قلعة) وفي مرحلة تاريخية متقدمة كان الدرغينيون جزءاً تابعاً لألبانيا القفقاسية، ومن ثم انضموا إلى

اتحاد قبائل (الغونف) وبعدها إلى (الكاغانات[1] الخزرية). وقبل هذا الوقت وتحديداً في القرن السابع الميلادي، قاوم الدرغينيون الفتوحات العربية، وذكر اسم السلالة الدرغينية أول مرة في تعليق باللغة الدرغينية على مخطوطات تاريخية باللغة العربية، في القرن الخامس عشر.

ويربط بعض العلماء أصل تسمية (درغين) بطبيعة المناطق التي استوطنتها هذه السلالة، ألا وهي المناطق التي يصعب الوصول إليها، إذ إن كلمة (دارغ) تعني بلغتهم الداخلي العميق.

أصبح الإسلام الديانة الرئيسية للدرغينيين في القرن الرابع عشر، وفي إطار تقدم العلوم اللاهوتية في ظل الدولة الإسلامية، تقدمت عندهم بقية العلوم. ومنذ بداية القرن السادس عشر تطورت العلاقات بين الإمبراطورية الروسية وداغستان بشكل عام (الدرغينيون شعب من شعوب داغستان). وفي عام ١٨١٢م ونتيجة لتوقيع معاهد السلم بين روسيا وإيران، وقعت داغستان تحت سيطرة الجيوش الروسية، وكما سبق أن ذكرنا فقد انتفضت شعوب القفقاس وأعلنت الجهاد المقدس الهادف إلى مقاومة الاحتلال الروسي لأراضي القفقاس، وتزعم الثورة الإمام شامل، ولقد شارك الدرغينيون في هذه الثورة، وبعد أن أخمدت بإلقاء القبض على الإمام شامل عام ١٨٥٩م، انتفضت شعوب القفقاس من جديد عام ١٨٧٧-١٨٧٨م وهنا أيضاً شارك الدرغينيون في أحداث الثورة، إذ إنهم أبدوا شجاعة نادرة في دفاعهم عن أراضيهم، والجدير بالذكر أن الجيش الروسي آنذاك لم يتمكن من احتلال قرية (تسوداخار)، الدرغينية إلا بعد أن دمرتها كلياً بتوجيه قصف مدفعي مركز ضدها.

وفي عام ١٩٢١م انضمت أراضي الدرغينيين إلى جمهورية داغستان السوفييتية الاشتراكية، وأصبحت جمهورية داغستان عضواً في الاتحاد الفيدرالي الروسي منذ عام ١٩٩١م.

الحياة الاقتصادية: تحول الدرغينيون من حياة الرعي والتنقل إلى الحياة الزراعية في القرن السادس عشر، إذ بدؤوا بالزراعة في المناطق السهلية والسفوح الجبلية. أما في

١- كاغانات: مصطلح قديم، واغلب الظن بأن مقابله من اللغة العربية قد يكون إمارة او دويلة -المترجم

المناطق الواقعة ما بين القمم الجبلية المرتفعة والسفوح الجبلية المنخفضة، فقد تابعوا هناك تربية الحيوانات (الأغنام والماعز، والبقر والثيران) وارتبطت صناعاتهم ومنتجاتهم بطبيعة حياتهم الزراعية حيث نشطت صناعة الصوف والجلود ودباغتها، وكذلك الأمر بالنسبة للحصر والسجاد وكل ما شابهه من منتجات.

كما أن طبيعة حياتهم قد تطلبت منهم أن يصنعوا أدوات الإنتاج الزراعي من الحجارة والأخشاب والمعادن.

ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذت حياتهم الإنتاجية الزراعية والمهنية والاقتصادية شكلاً حضارياً ولا سيما في المناطق السهلية والسفوح الجبلية، إذ استبدلت أدوات ووسائل الإنتاج القديمة بالآليات والمعدات الحديثة آنذاك، وتطورت زراعة القمح والشعير وأدخلت أصناف جديدة لتحسين المحصول، وزرعت كروم العنب. وتطورت طرق تربية الحيوانات، إذ بنيت الحظائر والمزارع التي تريح الرعاة من عناء الرعي والتنقل.

الحياة الاجتماعية: الخلايا الرئيسية في البنية الاجتماعية الدرغينية هي: القرية، الجماعات، العشيرة، فقد كانت العشائر أو القبائل تتحد فيما بينها لتشكل التجمعات القروية (الجماعات)، التي غالباً ما تكون واقعة تحت سيطرة الأشراف والأعيان، وأحياناً حرة مستقلة عن أي سيطرة. وكانت هذه الجماعات قادرة على أن تتحدّ في إطار كونفيدرالي، ولقد كان جزء كبير من القبائل الدرغينيية عضواً في الاتحاد الكونفدرالي (الأكوشينسكي).

وتنظم العلاقات في المجتمع الدرغيني على أسس العادات والتقاليد العشائرية وقوانين الشريعة الإسلامية، ومن أهم المراجع القانونية لديهم هو الدستور الذي وضعه (رستم خان) في القرن السابع عشر.

أما الأسرة الدرغينية فمن أهم ميزاتها قلة عدد أفرادها، مع أنه وحتى بداية القرن العشرين وجدت عائلات مكونة من عدة أسر تابعة لأب أو جد واحد، وكانت روابط القرابة المتينة تمتد في مثل هذه المنظمات العائلية لغاية الجيل الثاني عشر المنبثق من ذات الأصل.

وفي الوقت الحالي فقدت هذه المنظمات العائلية دورها في المجتمع، وحل مكانها المنظمات ذات الطابع القومي العام، حيث كانت العائلات الكبيرة تلعب دوراً مهماً ومؤثراً في قيادة المجتمع.

ويتم الزواج في المجتمع الدرغيني بالاتفاق، طلب اليد فالخطوبة فالزواج. ويبدأ بعد الزواج توطيد علاقة الزوجة (زوجة الابن التي هي عضو جديد في الأسرة) ببقية أفراد العائلة، ومن ثم تبدأ بالتعرف على أمور المنزل ومشاغله وتعتاد عليها لتكون عضواً فعالاً في الأسرة متفاعلاً مع بقية أفرادها.

أما تربية الأطفال فلقد اعتاد الدرغينيون على دفع أطفالهم للمساهمة في أعمال الكبار، إذ يعد الطفل ليكون محارباً قوياً في المستقبل، أما الطفلة فتعد لتكون الأم وربة المنزل. ويرتدي الولد بعد سن البلوغ حزاماً على الخصر يعلق في وسطه خنجر، أما البنات فيضعن زينة النساء بعد سن البلوغ.

الأزياء: الزي التقليدي للرجال يتكون من قميص وسروال، فوقهما عباءة قفقاسية طويلة من الصوف، ويضع الرجل على خصره حزاماً يتوسطه خنجر، وفي قدميه ينتعل حذاءً جلدياً، ويضع على رأسه قبعة من الفرو أو صوف الخراف تسمى (الشركسية). أما المرأة فترتدي سروالاً فضفاضاً أو ضيقاً أحياناً وقميصاً ومن فوقه عباءة قفقاسية من الفرو أو الصوف، وتضع على رأسها منديلاً.

ولقد انحصرت الأزياء القومية في وقتنا الحالي على المسنين، والشباب في المناسبات والأعياد القومية.

الأعياد: من أهم الأعياد عندهم، عيد رأس السنة ويأتي هذا العيد من بداية الربيع، إضافة إلى هذا هناك أعياد مرتبطة بطبيعة حياتهم الزراعية منها: عيد موسم الحصاد، عيد الخروج بالقطيع نحو المراعي...

الديدوري (ديدويتسيون)


الديدوري - زي شعبي

هم السكان الأصليون لمناطق غربي داغستان، ويعيش جزء منهم في جمهورية جورجيا، يتكلمون باللغات (التسيزية والآفارية والجورجية) ويكتبون بالآفارية على قاعدة الأحرف الروسية. وهم من سلالات الشعوب التسيزية. بلغ تعدادهم ثمانية آلاف نسمة، حسب إحصائية عام ١٩٨٩م. وكان الديدوري جزءاً من الآفاريين وقد ورد ذكرهم كقومية مستقلة أول مرة عام ١٩٨٩م حيث كان تعدادهم ٣٢٧٦ نسمة، وقد ذكروا سابقاً في المؤلفات التاريخية العائدة إلى القرنين الأول والثاني الميلادي، حيث كتب المؤرخون عنهم في سياق الحديث عن الاتحاد القروي الكنفدرالي[1] في القفقاس، والذي كان يضم أعداداً كبيرة من الأقوام والشعوب التي استوطنت مناطق القفقاس حسبما ذكرت المصادر التاريخية.

كما ذكر أيضاً بأن الديدوري كانوا قوماً ذوي حجم وتأثير سياسي في المنطقة (القفقاس) منذ نهاية الألف الأولى قبل الميلاد وحتى القرن الحادي عشر الميلادي، حيث كانت تربطهم علاقات سياسية وتجارية واقتصادية متينة مع جورجيا المجاورة، إلا أن هذه العلاقات كانت تسوء أحياناً بسبب الهجمات المتبادلة بين الطرفين، ولا سيما في

١- من الواضح أن الحديث هنا عن اتحاد (ديدو) الذي ورد ذكره في عدد من البحوث السابقة. - المترجم.

فترتي الاحتلال التركي والفارسي، وذلك في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. وكانت هناك محاولات لنشر تعاليم الديانة المسيحية لدى الديدوري، قام فيها مبشرون جورجيون، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك.

في القرن الحادي عشر الميلادي وقع الديدوري تحت سيطرة الأتراك السلاجقة، وفي القرن الخامس عشر انتشر الدين الإسلامي عندهم بشكل واضح وقوي، إلى أن أصبح ديانتهم الرئيسية في القرن الثامن عشر. وفي هذا القرن أصبحت كلمة ديدوري مجرد اسم سلالة قفقاسية، وهذا نتيجة لتوسع الخانات الآفارية وسقوط وتفكك الكثير من التجمعات أعضاء اتحاد (ديدو) الكونفيدرالي.

وفي القرن التاسع عشر وقعت أراضي داغستان تحت سيطرة روسيا، وذلك نتيجة لتوقيع معاهدة هولستان عام ١٨١٣م، بعد أن هزمت روسيا الجيوش الإيرانية وفرضت على زعمائها التخلي عن منطقة القفقاس.

ولقد شارك الديدوري في انتفاضة شعوب القفقاس بقيادة الإمام شامل، ضد الاحتلال الروسي منذ عام ١٨٣٤ وحتى عام ١٨٥٩، ومن ثم ساهموا في انتفاضة عام ١٨٧٧م ضد الأنظمة الكولونولية التي حاولت فرض سيطرتها على داغستان، والقفقاس بشكل عام.

في عام ١٨٦٠م كان الديدوري جزءاً من المقاطعة البجتبنسكية (البجيتية) التي انضمت عام ١٨٦١م إلى المقاطعة الأندية وفي عام ١٩٢١ أصبحت هذه المقاطعة تابعة لجمهورية داغستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي بصورة نهائية، وما زالت جزءاً منها حتى وقتنا الحالي.

الحياة الاقتصادية: من أهم الأعمال التي مارسها ويمارسها الديدوري هي تربية الحيوانات، ويهتمون بشكل خاص بتربية الأغنام وكذلك الماعز والخيول والأبقار، وكما هي العادة في القفقاس عموماً يرعى الديدوري قطعانهم في السفوح الجبلية والسهول صيفاً، أما في فصل الشتاء فتبقى القطعان في حظائرها (مزارعها) أو في المناطق السهلية، بالإضافة إلى الحيوانات اهتم الديدوري بتربية النحل والحصول منه على أجود أنواع العسل.

كما يمارس الديدوري الزراعة، حيث يزرعون مختلف أنواع المزروعات، من أهمها القمح الذي يعتمد في ريه على مياه الأمطار، ومنه يأخذون الطحين والخبز، كما يزرعون الشعير وغيره من السنبليات.

أما مهنياً فقد انتشرت لديهم أعمال الحدادة وحياكة الألبسة الصوفية والأحذية والجوارب، ومارسوا كذلك نحت الأخشاب والحجارة والنقش عليها.

مع مرور الوقت بدأت حياة الديدوري بالتطور، حيث استعملت الطرق الحديثة في الأعمال الزراعية، فوزعوا الأراضي وقسموها إلى حقول وبساتين، غير أنهم لم يتخلوا نهائياً عن الطرق التقليدية في الأعمال الزراعية.

الحياة الاجتماعية: لصلة القربى من طرف الأب الأولوية في المجتمع الديدوري وبالدرجة الثانية صلة القربى من طرف الأم، ويدخل في إطار الأقرباء أبناء وبنات العم ويصل إلى أبناء أبناء العم أحياناً، ومن ثم أبناء وبنات الخالات، ويرتبط كل هؤلاء بصلة القربى كونهم أحفاداً وأبناء أحفاد جد واحد.

وهناك صلة قربى بالدم، والمقصود بذلك العائلات المنتمية إلى جدين من أب واحد أي الجدين إخوة أو أبناء عم.

وفي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين ألغي الكثير من الحواجز الاجتماعية ويعود ذلك لأسباب اقتصادية.

أما الزواج فكان يتم عندهم عن طريق طلب اليد والخطبة والزواج بشكل رئيسي، ونادراً ما كان يتم بطرائق أخرى. وتتميز العائلة الديدورية بالعلاقة الخاصة بين زوجة الابن ووالد الزوج (العم) حيث إن علاقتهما اتسمت بالاحترام الكبير من طرف زوجة الابن لوالد زوجها، فهو رب الأسرة ويحترمه جميع أفرادها. وقد عاش الديدوري في تجمعات بشرية سميت بـ (الجماعات، الجماعة) وتضم الجماعة الرعاة والمحاربين الأشداء. وحافظ النظام الأبوي التقليدي على دوره القوي في (الجماعة). وتكون السلطة العليا للجماعات القروية بيد (الاجتماع العام) المكون من رجال فقط، وهو المؤسسة القانونية التشريعية والإدارية التنفيذية في الجماعة، وهناك مجلس الشيوخ (الكبار الحكماء) الذي تفوق صلاحياته صلاحيات الاجتماع العام. وما زال جزء من هذه المؤسسات الاجتماعية وتلك العادات والتقاليد قائماً حتى أيامنا هذه.

القرية والمسكن: بنى الديدوري تجمعاتهم القروية (قراهم) على شكل مدرج امتد على سفوح الجبال والأودية، وشيدت القلاع الدفاعية في أكثر المناطق وعورة في محيط القرية، وتبدو المنازل الواقعة في قمة القرية (أقرب المنازل إلى قمة الجبل) متلاصقة فيما بينها وكأنها بيت واحد أو رأس مثلث يتباعد ضلعاه كلما ابتعدنا عن القمة، فتكون المنازل متباعدة أكثر منتشرة على السفوح كلما اتجهنا نحو الأسفل.

ويحاط مدخل القرية بجدران متينة تتخللها كوى ونوافذ تستخدم لأغراض دفاعية واستطلاعية عند اللزوم. وفي مركز القرية يشيد المسجد وفي محيطه مكان أشبه بالمضافة أو المقهى، يقضي فيه الرجال أوقات فراغهم. ويبني الديدوري منازلهم من الحجر، وترتفع المنازل طابقين أو ثلاثة طوابق وليس من الضروري أن تبنى ملحقات المنزل بجواره، كما هو الحال لدى بعض الشعوب القفقاسية، حيث يبنيها الديدوري خارج حدود الدار (العزبة).

الأعياد: أهم الأعياد عندهم هي الأعياد الدينية مثل عيد الفطر وعيد المولد النبوي، وغيره من الأعياد، إضافة إلى ذلك هناك أعياد مرتبطة بطبيعة حياتهم الزراعية، مثل بدء الأعمال الزراعية (الحصاد، الزرع) ومواسم الرعي.

من بقية مجالات الحياة (الزي التقليدي، الفولوكلور، المطبخ) يتطابق الديدوري مع عدد من الأقوام القفقاسية انظر الدراغينيين «المترجم».

الأخفاخيون



منزل في قرية أخفاخية

هو شعب من الشعوب النديسكية، يبلغ عددهم في روسيا الفيدرالية ٤٠٠٠ نسمة وهم السكان الأصليون لمناطق غرب داغستان، ويعيش منهم ٢٠٠٠ نسمة في أذربيجان ليكون عددهم التام ٦٠٠٠ نسمة.

لغتهم الأخفاخية، كما تنتشر بينهم اللغات الكوميكية والأذربيجانية ويكتبون بالآفارية على قاعدة الأحرف الروسية. الأخفاخيون مسلمون سنيون. وأغلب الظن بأن سلالة الأخفاختسي تشكلت من سكان بعض الأراضي الآفارية، وبشكل رئيسي من قبائل وأقوام (الخونزاختسي الآفاريون، وأقوام الأخوال والأخفال) الذين انتقلوا إلى أراضٍ جديدة غير أراضي الآفاريين منذ القديم، وقد ذكر في مراجع القرن الرابع عشر التاريخية الجورجية بأن الأخفاخيين الشماليين شكلوا اتحاد الجماعات الأخفاختسية المعروف باسم (تسونتا أخفاجا) بينما شكل الجنوبيون منهم اتحاداً عرف

باسم (راتلوأخفافا)، ومنذ بداية القرن السابع عشر انضم كلا الاتحادين إلى اتحاد جماعات (الغيداتلينية).

وفي القرن الخامس عشر حاول الأخفاخيون الخروج عن سيطرة شعوب (الخونزاخ والغيداتلين والتيندال)، إذ إنهم (الأخفاختسي) كانوا مجبرين على استئجار المراعي من هذه الأقوام.

وفي هذه الفترة انتشر الإسلام عندهم. وبعد عام ١٨١٢م إثر توقيع اتفاقية هولستان، وقع الأخفاخيين تحت سيطرة روسيا، وقد ساهموا في انتفاضة الجبليين الشيشان والداغستان بقيادة الإمام شامل ضد جيوش الإمبراطورية الروسية.

وبعد الإصلاحات الإدارية عام ١٨٦٠م. أصبح اتحاد الجماعات القروية (تسوتيا أخفاخا) تابعاً للنائبية الكاراتينسكية في المقاطعة الأنديسكية، أما اتحاد الجماعات القروية (راتلو أخفاجا) فلقد تم ضمه إلى النائبية (التيليتلغيداتلينية) في المقاطعة الغونيبسكية، وفي عام ١٩٢١م تم ضمهم إلى داغستان السوفييتية، وأصبحت بعدها جمهورية داغستان عضواً في الاتحاد الروسي منذ عام ١٩٩١م.

الشركس (تشيركيس)


زي فولكلوري شركسي

هم جزء من الشعوب الآديغية، يسمون أنفسهم (آديغي)، يبلغ عددهم في جمهورية روسيا الفيدرالية ٥٠٨٠٠ نسمة، وهم من الشعوب الرئيسية التي استوطنت منذ القدم في أراضي جمهورية كاراتشايف - تشيركيس القفقاسية، حيث يبلغ عددهم فيها ٤٠٢٠٠ نسمة.

ويعيش الشركس كذلك في بلدان جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، حيث انتقلت هذه القبائل إلى هناك في بداية القرن التاسع عشر، عندما تم ضم القفقاس إلى روسيا القيصرية، ولقد هاجر في هذه الفترة عدد كبير من ممثلي الشعوب والأقوام القفقاسية التي عرفت كلها في المهجر بلقب واحد هو (الشركس).

ويعتقد بأن لقب شركس مشتق من كلمة (كيركيت)، وهو الاسم الذي أطلقه المؤرخون اليونانيون القدماء على جزء من الشعوب الآديغية التي استوطنت في شمالي القفقاس.

لغة الشركس الأدبية هي اللغة الأديغية، وهي مشتركة بينهم وبين الكاباردين وتعتبر اللغات الأبخازية والأبازينية مشابهة وقريبة للغة الأديغية، ومجمل هذه اللغات يطلق عليها اسم اللغات الأبخاز - أديغية. الشركس مسلمون من أهل السنة.

أجداد الشركس القدماء هم (الكاباردين) و(البيسلين) الذين كانوا جزءاً من سلالة الشعوب الأديغية، وتشير المصادر إلى أن هذه الشعوب قد استوطنت الأراضي المسماة حالياً جمهورية كاراتشايف - تشيركيس منذ القرن الخامس ميلادي، إذ عثر

الباحثون التاريخيون على مقابر وبقايا قرى في منطقتي (أوروب) و(لابي) جنوبي أراضي الشركس، تم التأكد من أنها تعود إلى الشعوب الأديغية التي استوطنت في هذه المنطقة في القرن الخامس الميلادي، كما عثر الباحثون على بعض الآثار التاريخية الأديغية (الكباردينية) في المناطق المحيطة بنهر كوبان، تعود إلى فترة مابين القرنين الثامن والثاني عشر الميلاديين.

ويعتبر المؤرخون هذه الآثار مهمة لأنها تتحدث عن ظاهرة هجرة الشعوب التي استوطنت في المناطق الواقعة شمالي نهر كوبان إلى المناطق الواقعة جنوبه، حيث تقطن شعوب وقبائل تربطها صلة دم وعلاقة قومية مع الشماليين. أي أن أقوام الشركس كانوا يعيشون جنوبي كوبان، ثم هاجر إليهم الكابارديني من شماله، وكانت هجراتهم بأعداد كبيرة قد مكنتهم من السيطرة على هذه المنطقة، وبقيت تحت سيطرتهم إلى أن بدأت هجرات الكابارديني[1] بالتلاشي في بداية القرن التاسع عشر، ولقد بلغ عدد القرى الكاباردينية في عام ١٨٢٥ اثنتين وستين قرية.

إضافة للكاباردينيين، ساهمت أقوام (البيسلين) في تكوين السلالة الشركسية وتشير مصادر القرن السادس عشر الميلادي التاريخية إلى أن البيسليني قد استوطنوا في مناطق نهري (لاب)، و(كوبان)، وسميت أراضيهم باسم (بيسلين).

وكانت بيسلين محاطة من كل الجهات بالأقوام والشعوب القفقاسية الأبازينية والكاباردينية، وأقوام (الماخوشيفي) و(المامخوغوفسي)، وقد بلغ عدد قرى البيسلين في القرن التاسع عشر ثلاثاً وثلاثين قرية.

وفي القرن التاسع عشر أصبحت سياسة روسيا القيصرية أكثر صرامة في شمالي القفقاس، وتحولت مع مرور الوقت إلى حرب ضد شعوب هذه المنطقة، الذين هبوا بدورهم للدفاع عن حريتهم واستقلالهم. وخلال هذه الأحداث دمرت وأحرقت معظم القرى الشركسية (الكاباردينية والبيسلينية).

بعد الهزيمة التي ألحقتها روسيا بالجيوش التركية إبان حرب (١٨٢٨-١٨٢٩م) وقع الطرفان اتفاقية (أدريانا بولسكي) التي تم بموجبها ضم أراضي الشعوب الأديغية

١- نذكر بأن الحديث هنا عن الكابارديني الذين ساهموا في تكوين السلالة الشركسية وهم جزء من شعب الكاباردين الذي تحدثنا عنه في البحث السابق -المترجم

(شركس، كاباردين، أديغيون) إلى روسيا القيصرية، إلا أن هذا الضم لم يوقف النزاع العسكري الناشب في هذه المنطقة، إذ استمرت شعوب شمالي القفقاس بمقاومة الجيوش الروسية النظامية المتواجدة في مناطقهم.

ونتيجة لتقدم الجيوش الروسية باتجاه الغرب بمحاذاة سلسلة جبال القفقاس والأنهر المجاورة لها تم تدمير الكثير من القرى القفقاسية ومنها الشركسية، وتهجير شعوبها إلى مختلف أرجاء العالم، وشيدت روسيا خطوطاً عسكرية جديدة في هذه المنطقة (القفقاس). أما من بقي من الشركس فقد أعاد بناء عدد من القرى في القرن التاسع عشر، حيث أعيد بناء عشر قرى من أصل خمس وتسعين قرية كانت قائمة قبل الحرب في القفقاس.

الحياة الاقتصادية: كان العمل الرئيسي الذي مارسه الشركس هو تربية الحيوانات، إذ اهتموا بتربية الأغنام والماعز، البقر والثيران والخيل، وكانوا قد اهتموا أيضاً بتربية الخنازير قبل اعتناقهم الإسلام. وكان الشركس ينتقلون مع قطعانهم بحثاً عن المراعي الغنية حسب الموسم، فيتجهون صيفاً نحو المراعي الصيفية، ثم يعودون في الشتاء إلى قراهم حيث المراعي أو المزارع الحيوانية الشتوية. كما اهتم الشركس بشكل واضح بتربية الخيول الأصيلة من الفصيلة الكاباردينية.

وكانت حياتهم الإنتاجية مرتبطة بطبيعة حياتهم الزراعية وتربية الحيوانات، فكانوا يصنعون مختلف الأقمشة من فراء الحيوانات وصوفها، وفي هذا المجال ساهمت المرأة مع الرجل، فكانت تساعده في تنظيف الصوف وحياكته، وفي تنظيف الجلود وتجهيزها لتصنع منها الأحذية أو الألبسة فيما بعد.

وهناك أنواع من العمل اقتصرت على الرجال فقط، مثل أعمال النجارة والنحت على الخشب وأعمال الحدادة التي كانت ضرورة ملحة في مجتمع زراعي يحتاج إلى أدوات الإنتاج من الخشب والمعادن، كما كان الرجال يصنعون من هاتين المادتين الأدوات المنزلية والأسلحة وكذلك الحلي والسكاكين وغيرها من الأدوات.

الحياة الاجتماعية: عاش الشركس على شكل تجمعات قروية متجاورة ذات سيادة مستقلة، تربط بينها قوانين التكافل والتضامن الاجتماعي، فالجميع أحرار

ومتساوون في الواجبات والحقوق، مثل حق استخدام الأراضي الزراعية والمراعي وحق التصويت في المجالس القروية والاجتماعات.

والأسرة الشركسية نوعان، كبيرة وصغيرة، وبقيت العائلات الكبيرة الشكل الغالب عند الشركس حتى بداية القرن التاسع عشر، إذ أصبحت معظم العائلات الشركسية صغيرة، وكان هذا نتيجة لما عانته هذه الشعوب من ويلات الحرب والتشرد في فترة الحرب الروسية القفقاسية.

يدير شؤون الأسرة الشركسية الرجل الأكبر فيها (الأب أو الجد) ويكون هو رمزاً للسلطة الاجتماعية في الأسرة، وفي حال موته تقع مهماته ومسؤولياته ودوره على عاتق الابن الأكبر. أما سيدة المنزل فهي الوالدة أو الجدة، وتتحمل ربة المنزل الكثير من المسؤوليات المنزلية التي توزعها على نساء الأسرة، مثل (إعداد الطعام، إعداد المؤن لفصل الشتاء، تربية الأطفال، أعمال الحياكة ونسج الأقمشة).

يتم الزواج عند الشركس وفقاً لقوانين صارمة تمنع أن يتزوج الرجل والمرأة إذا كانت بينها أي صلة قرابة من طرف الأب أو الأم، حتى إذا كانا يحملان نفس اسم النسب دون أن تكون بينهما صلة قربى فإن زواجهما يعتبر غير محبب، وكذلك يمنع زواج أي اثنين يرتبط أحد والديهما أو والدتيهما بصلة الرضاعة (إخوة في الرضاعة). وكل من يخالف هذه القوانين ينبذه المجتمع وقد يصل الأمر إلى طرده.

ويدفع أهل الزوج للزوجة مهراً، أما أقرباء الزوجة فيجب عليهم أن يجهزوها بما يليق، حيث تأخذ معها إلى أسرتها الجديدة (بيت الزوج) أشياء كثيرة مثل الأواني والأثاث والفرش، وأشياء أخرى بمثابة هدية لأقرباء الزوج.

المطبخ: من المعروف عن الشركس بأنهم لا يتحدثون عن الطعام بوجود الغرباء، وإذا ما أحسوا بالجوع فإنهم يخفون هذا الإحساس عنهم، ولقد ربى الشركس أبناءهم وما زالوا على الاقتصاد في الطعام.

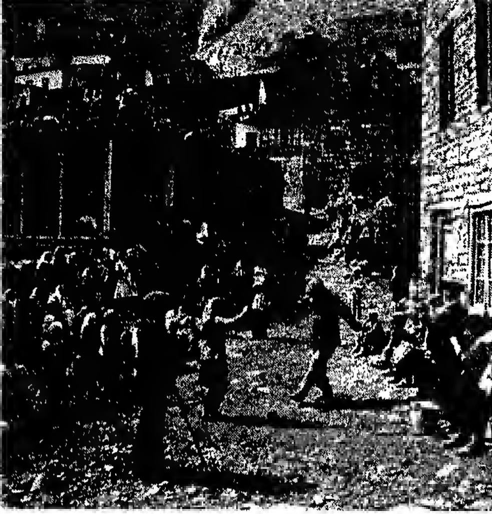
أما وجباتهم الرئيسية فهي من الطحين واللحوم الطازجة والمجففة، وكذلك من الفواكه والخضار.

الأزياء: للأزياء القومية عند الشركس طابع قفقاسي عام مع اختلافات بسيطة، ولقد طرأت بعض التغيرات على زي الرجل، إذ تلاشت الأحذية القومية الجلدية لتحل

محلها الأحذية الروسية (جزمات لبادية)، وفي أعوام الحرب العالمية الأولى بدأت سراويل الخيالة الروس تحل محل السراويل الشركسية التقليدية، إذ بدت هذه البناطيل مناسبة جداً للقميص والسترة المزركشة اللتين يرتديهما الرجل الشركسي. وقد أصبح الزي القومي نادراً في أيامنا هذه فلا نراه إلا في الأعياد والمناسبات القومية، وأصبحت المعاطف والسراويل الحديثة مع الأحذية التي تصنع في المعامل، هي اللباس الرائج (المنتشر) عند الشركس.

أما زي المرأة فقد امتاز بزينته الجميلة المحاكة من الخيوط الذهبية والملونة على قماش الثوب الطويل، ومما يزيد من جمال النساء ما يضعنه من الحلي المختلفة على أعناقهن وتمتد لتغطي جزءاً من صدورهن فوق ما يرتدين من كنزات تحت الفساتين المخاطة من الأقمشة المخملية الحمراء القاتمة أو السوداء. وتخاط الأثواب التي تخصص للأعياد والأفراح من الحرير أو المخمل. وترتدي النساء فوقه حزاماً من الفضة، وفي أقدامهن أحذية جلدية، أما غطاء الرأس فهو مختلف ما بين قبعة وشال أو غيره حسب عمر المرأة ووضعها الاجتماعي، ويختلف ثوب الشابات عن ثوب المسنات بأن الأخيرات يرتدين أثواباً مغلقة دون وجود فتحة في منطقة الصدر.

الرتوليون


حفل زفاف في القرية

هم من السكان الأصليين لأراضي داغستان، إذ استقروا منذ القدم في مناطق (روتولسك وأختينسك)، حيث تمركزوا بشكل رئيسي في قرية (روتول) التي بلغ عددهم فيها، حسب آخر إحصائية ١٤٩٥٠ نسمة، ويبلغ عددهم بشكل عام ٢٠٤٠٠ نسمة، ويعيش عدد منهم في منطقة (نوخينسك) الأذربيجانية.

يتحدثون باللغة الروتولية، وتكتب هذه اللغة على قاعدة الأحرف الروسية. الرتولي مسلمون سنيون.

ويرتبط تاريخهم مع جمهورية (ألبانيا القفقاسية) التي قامت في المناطق الجنوبية من داغستان وشملت أراضي ومناطق الرتوليين، وسميت هذه الجمهورية بـ (بلاد الغينوف). وفي القرن السادس عشر تأسس في منطقتهم اتحاد التجمعات القروية (الروتول ماغال) الذي تولى زمام السلطة فيه (بيك) من الرتوليين، وتوسع هذه الاتحاد في القرن الثامن عشر ليضم عدداً من القرى الليزغينية التي تدفع الجزية إلى (بيك). كما كانت قرى (بورتش وخنوف) الروتولية تابعة لاتحاد (اختيبارانسكي ماغال) حيث الأغلبية من الليزغين.

في عام ١٨١٢م تم ضم مناطق الرتوليين إلى الإمبراطورية الروسية، وفي عام ١٩٢١م تم ضمها إلى جمهورية داغستان السوفييتية.

الشابسوغيون

يعيشون في مناطق توابسيه، ولازريف التابعة لإقليم كراسنودار جنوب روسيا- على شواطئ البحر الأسود. تعيش مجموعة قليلة منهم في أديغيا. لم تتناولهم أي إحصائيات، وحسب التقديرات بلغ عددهم عام ١٩٢٦م أربعة آلاف نسمة. بينما تُشير التقديرات الحديثة إلى أنهم بلغوا العشرة آلاف نسمة. يتحدثون باللغة الآديغية، لهم لهجتهم الخاصة. الشابسوغي مسلمون سُنَّة.

يشكل الشابسوغيون واحدة من أكبر المجموعات الآديغية على شواطئ البحر الأسود، استوطنوا في الأراضي بين نهر جويغا ونهر شاخيه (الذي يُعرف باسم نهر شابسوغ الأصفر). وفي المناطق السهلية على سفوح مرتفعات القفقاس، في أحواض أنهر: أنتخير، أبين، أفيبس، باكان، شيبس، وغيرها. ساهموا بشكل كبير في كفاح الآديغيين ضد خانات شبه جزيرة القرم. كما ساهموا في كل الحروب التي خاضها الأديغيون. كانوا أثناء الحرب القفقاسية من أكثر المعاقل المعادية لروسيا قوة وصلابة، وشاركوا في عمليات الهجوم وتدمير المواقع الدفاعية الروسية على شواطئ البحر الأسود في عام ١٨٤٠م. وخرج من بين صفوفهم الكثير من القادة العسكريين (شيريتلوك توغجوكو كيزبيتش، أبات بيسلين وغيرهما).

تضامن الشابسوغيون عام ١٨٥٠م واعتنقوا فكرة الإمام شامل باتحاد الشعوب الشركسية ضد روسيا، وكانت أراضي الشابسوغي واحدة من المديريات التابعة للاتحاد الذي استمر حتى عام ١٨٥٩م. في عام ١٨٦٠م تم تأسيس المجلس الذي اتحد فيه الشابسوغي مع الأوبيخوف، والناتوخيتسيون. في عام ١٨٦٤م تم القضاء نهائياً على مقاومتهم وتمردهم وتم ترحيل جزء منهم وجزء من الآديغيين إلى تركيا (هجرة الشابسوغي إلى تركيا بدأت نهاية العام ١٨٦٠م) أما الباقون فقد امتزجوا مع

الشركس. وبقي في القفقاس قرابة الألفين منهم بينما أخذت شعوب أخرى تستقر في أراضيهم بعد الهجرة.

قوانين النظام الأبوي هي المسيطرة على العلاقة داخل الأسرة. فالسلطة العليا بيد الرجل، ويرضخ الجميع لرغباته. أما الزوجة، الأم - الجدة فهي تهتم بأمور المنزل (ربة بيت). يكون عدد أفراد الأسرة من خمسة إلى سبعة أبناء أي أن الأسرة متوسطة الحجم عندهم. يتم الزواج بموافقة الوالدين. ويتم الزفاف باحتفالات كبيرة يشارك فيها الأهل والأصدقاء والأقارب. وقد تستمر الاحتفالات عدة أيام وتترافق مع سباق الخيل. أما الديانات التي كانت سائدة عندهم قبل الإسلام فهي ذات الديانات الآديغية فهناك آلهة الرعد والبرق المسماة شيبلي. وفي سنوات الجفاف كانوا يقيمون شعائر طلب المطر، يحملون خلاله دمية يتم تزيينها ويجوبون بها كل شوارع القرية، ويغرقونها بعد ذلك في النهر. أما الفلكلور فيضم الكثير من الحكايا الجميلة والأساطير.

الشيشان


المناطق الجبلية في الشيشان


الطبيعة الخلابة
للسفوح الجبلية في الشيشان

هم من أقدم الشعوب والقبائل التي استوطنت المناطق الجبلية الواقعة جنوب روسيا (سلسلة جبال القفقاس ومحيطها) وهم السكان الأصليون للأراضي الشيشانية، الذين يسمون أنفسهم (نيوختشي). وحسب إحصائية عام ١٩٨٩م[١]، بلغ تعدادهم في الاتحاد السوفييتي سبعمائة وأربعة وثلاثين ألفاً وخمسمائة نسمة[٢] (٧٣٤٥٠٠) وهم يتوزعون في مختلف المقاطعات والأقاليم والجمهوريات على الشكل التالي: (٥٨٠٠٠) نسمة في جمهورية داغستان، و(١٥٠٠) نسمة في إقليم ستافرويل، و(١١١٠٠٠) نسمة في مقاطعة فولغا غراد، و(٨٣٠٠) نسمة في جمهورية كالميكي، و(٧٩٠٠) نسمة في مدينة أسترخان على نهر الفولغا، و(٦٠٠٠) نسمة في مقاطعة ساراتوف، ويعيش بعضهم في مناطق أخرى مثل مقاطعة تيومين[٣] السيبيرية، حيث يقطن هناك (٤٦٠٠) شيشاني، ويقطن (٢٦٠٠) شيشاني في جمهورية أوسيتيا

١- آخر إحصائية أجريت للشيشان كانت في عام ١٩٨٩م -المترجم.

٢- حسب التقديرات فإن هذا العدد قد بلغ اليوم قرابة مليون نسمة -المترجم.

٣- مقاطعة روسية تقع في سيبيريا -المترجم.

القفقاسية[1]. أما في جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقاً، فيعيش الشيشانيون حسب التوزيع التالي: (٤٩٥٠) نسمة في جمهورية كازاخستان، و(٢٦٠٠) نسمة في جمهورية قرقيزيا، و(١٨٠٠) نسمة في جمهورية أوكراينا، أما في العاصمة الروسية موسكو فيعيش (٢١٠٠)[2] شيشاني. ولغتهم الأصلية هي الشيشانية، وتكتب اللغة الشيشانية منذ عام ١٩٣٨م على قاعدة الأحرف الروسية[3]. ويتحدث الشيشانيون باللغة الروسية أيضاً.

وللشيشانيين ألقاب كثيرة يطلقها عليهم جيرانهم، ونذكر منها (أستيني، ساسان، ساسايانغ، شيشين، كوميكي، ميتش غيش) ولقد ورد اسم الشيشان في المراجع العسكرية الروسية في القرن السابع عشر تحت لقب (النوختشي) أي الناطقون بلغة النوختشي، وفي المؤلفات التاريخية الفارسية ذكر الشيشانيون في مؤلفات (رشيد الدين) باسم (الساساني).

وتتحدث المصادر التاريخية العائدة إلى القرن الرابع قبل الميلاد عن الشعوب والقبائل التي أقامت في المناطق الواقعة شمالي سلسلة جبال القفقاس، ومناطق سهول ما قبل القفقاس، بأن هذه الشعوب والقبائل قد بنت علاقات متينة وقوية مع القبائل الأسقونية والآلانية[4] وكذلك مع قيصرية جورجيا القديمة.

وفي الفترة ما بين القرنين الثامن والثاني عشر الميلاديين نشأت في منطقة السهول القفقاسية والمناطق المجاورة لها القيصرية الآلانية متعددة السلالات والقوميات أما في المناطق الجبلية فقد نشأت أشكال من التجمعات البشرية المتكافلة فيما بينها والمتعايشة مع القيصرية الآلانية، وسميت هذه التجمعات بـ (سرير).

١- جمهورية قفقاسية عضو في الاتحاد الفيدرالي الروسي، وهي مجاورة للشيشان ومعظم سكانها من اتباع الديانة المسيحية. -المترجم

٢- بعد حربي عام (١٩٩٤-١٩٩٦) و(١٩٩٩-٢٠٠٠) ارتفعت نسبة الشيشانيين في العاصمة الروسية موسكو بشكل واضح إلا انه لا توجد اي إحصائيات رسمية لأعدادهم فيها اليوم، كما تغيرت نسب تواجدهم في المناطق الأخرى بعد الحرب. -المترجم

٣- تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الشيشانيين قد اعتمدوا في الكتابة قديماً، الأحرف العربية ومن ثم اللاتينية وبعد هذا انتقلوا الى الأحرف الروسية. -المترجم

٤- قبائل قفقاسية قديمة، ساهمت في تشكيل سلالة شعوب جمهورية اسيتيا الشمالية - آلاني القفقاسية. -المترجم

إلا أن هذا التعايش القفقاسي سرعان ما انتهى نتيجة لحملات التتار المنغولية على أراضي القفقاس في النصف الأول من القرن الثالث عشر.

ولقد عانى القفقاسيون من هذه الحملات التي أدت إلى سيطرة دولة التتار المنغولية على أراضي الشيشان السهلية الواقعة خلف نهر (تيريك).

وفي نهاية القرن الرابع عشر تمكن الشيشانيون من الخروج من الأزمات التي نتجت عن هذه الحملات وتوحدوا في إطار دويلة (جمهورية) واحدة سميت (السيمسيم) وكان حاكمها الخان (غيور).

ومع مرور الوقت بقيت الأراضي الشيشانية محط أطماع الكثير من الدول والإمبراطوريات، ففي القرن السادس عشر احتدم الصراع العسكري والدبلوماسي ما بين الإمبراطورية العثمانية والدولة السيفيديفية الإيرانية وروسيا القيصرية بهدف السيطرة على القفقاس، وبشكل خاص على سفوح الجبال القفقاسية والسهول المجاورة لها.

وانتهى الصراع لصالح روسيا القيصرية التي تمكنت من بناء علاقات دبلوماسية واقتصادية مع زعماء وحكام القبائل القفقاسية والشيشانية، الذين استفادوا بدورهم من الجانب الاقتصادي في العلاقات الجيدة مع روسيا. والجدير بالذكر أن الحدود السياسية للشيشان نشأت منذ ذلك الحين.

وفي عهد الإمبراطور الروسي (بيوتر الأول)، أخذت السياسة الروسية اتجاه الشيشان شكلاً استعمارياً «كولونيالياً»، فعلى الرغم من رغبة الشيشانيين، والجبليين منهم خاصة، في الحفاظ على علاقات جيدة مع روسيا، إلا أنهم وقفوا ضد كل المحاولات الروسية وكذلك الإيرانية والتركية التي حدت من حريتهم واستقلالهم.

وفي الأعوام الأخيرة من حكم الإمبراطورة (يكاترينا الثانية) قامت الجيوش الروسية باحتلال المناطق الواقعة على الضفة اليسرى لنهر (تيريك)، وقاموا ببناء خط عسكري من القلاع والحصون امتد من مدينة (مزدوك) إلى مدينة (فلادي قفقاس)، على طول الحدود ما بين الشيشان و(كاباردين بالكاري)، ورداً على هذا الاحتلال والسياسة الروسية في منطقة القفقاس عموماً، نشأت الحركات التحررية في الشيشان

منذ نهاية القرن الثامن عشر[1] وحتى النصف الأول من القرن التاسع عشر.[2] وفي عام ١٨٤٠م نشأت في الأراضي الداغستانية جمهورية تيوقراطية (دينية) سميت (إمامات شامل)، وكانت معظم الأراضي الشيشانية تابعة لها، وفي عام١٨٥٩م بعد أن أسرت القوات الروسية الإمام شامل وتمكنت من إخماد الانتفاضة والتمرد القفقاسي، تم ضم الأراضي الشيشانية إلى الإمبراطورية الروسية، وأصبحت جزءاً منها.

وفي فترة ما قبل الثورة الشيوعية كانت الشيشان جزءاً من الإقليم (التيورسكي) مع مديرية (خاسافيورت)، حيث يقطن الشيشانيون من القبائل الكوميكية والأخوفسكية. في عام ١٩٢٢م تشكلت المقاطعة الشيشانية ذات الحكم الذاتي، التابعة لروسيا السوفييتية الاتحادية، وقبل هذا كان قد سمح للشيشانيين باستخدام لغتهم الأصلية للمحاضرة في المدارس والمخاطبة في الدوائر الرسمية، كما عاد الشيشانيون إلى حياتهم الثقافية والاقتصادية القومية التقليدية.

إلا أن دخول النظام الاقتصادي الاشتراكي وتشكيل (السوفخوزات والكولخوزات) في العشرينيات، والذي ترافق مع سياسة التنكيل والاضطهاد القومي، وجه للبنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الشيشانية ضربة قاسية.

١- نشا تقليد الحرب المقدسة (مقاومة الاحتلال الروسي) في الشيشان منذ نهاية القرن الثامن عشر، وامتد حتى سقوط أخر امبراطور روسي من عائلة رومانوف وكان اول من نادى بالجهاد هو الشيخ الصوفي النقشبندي الإمام (منصور عشرمة) إذ نجح المقاتلون من اتباعه عام ١٧٨٥م، في تطويق لواء روسي وإبادته بالكامل في مضائق نهر سونجا في القفقاس، فألحقوا اسوا هزيمة عرفتها جيوش الإمبراطورة الروسية (يكاترين او كاترين الثانية). وسرعان ما انتشرت افكار الحرب المقدسة التي اعلنها الإمام منصور في جميع انحاء شمال القفقاس، واستغرق إخمادها ستة اعوام، حيث نجح الروس اخيراً في اسر الشيخ منصور عام ١٧٩١م، بميناء عنابة العثماني على نهر (كوبان). وتعرضت الطرق الصوفية لحملة قمع شرسة، اختفت على اثرها الطريقة النقشبندية من خريطة القفقاس على مدى ثلاثين عاماً. -المترجم

٢- استؤنف الجهاد المقدس عام ١٨٢٤م، على يد اتباع الطريقة النقشبندية، وامتد ليشمل انحاء شمال القفقاس، واستمر حتى عام ١٨٥٩م، عندما اضطر الشيخ شامل إمام وقائد المجاهدين، إلى الاستسلام حيث اسرته القوات الروسية. وبهذا ينتهي تاريخ اطول صفحات المقاومة التي ابداها القفقاسيون من مواجهة الغزاة الروس. إلا ان النضال لم ينته إلا عام ١٩٢٣م، بعد أن نجح البلاشفة في اغراق ثورة الشيخ النقشبندي (اذن حاج) بالدماء. -المترجم

وفي عام ١٩٣٤م تم توحيد المقاطعة الشيشانية مع الإنغوشية لتشكل معاً مقاطعة الشيشان إنغوشية والتي حصلت على صفة جمهورية اشتراكية سوفييتية، ذات حكم ذاتي وعضو في جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية الاشتراكية، منذ عام ١٩٣٦م. وتنفيذاً لأوامر (ستالين)[١] عام ١٩٤٤م، قام جزء من الجيش الأحمر المدعوم بقوات الأمن السوفييتية، بإبعاد ما يقارب خمسمئة ألف شيشاني وإنغوشي عن موطنهم إلى صحراء كازاخستان، وقد نفذت عملية الإبعاد في غضون أيام قليلة واستخدم فيها الجيش الأحمر القطارات المشكلة من عدد كبير من فرغونات النقل.

ونتيجة لظروف الحياة القاسية في المنفى، من جوع وبرد ومرض، لاقى كثير من المبعدين حتفهم بعيداً عن الوطن.

وبعد ثلاثة عشر عاماً (في عهد الزعيم السوفييتي خروشوف)، عاد الشيشانيون والإنغوش إلى أراضيهم، وفي عام ١٩٥٧م تم إعادة تأسيس جمهورية الشيشان إنغوشية السوفييتية، وعلى الرغم من هذا بقي الكثير من المدن والقرى الجبلية مغلقاً أمام سكانها الأصليين[٢]، الذين أرسلوا ليعيشوا في القرى والسهول القفقاسية والقوزاقية.

في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٩٠م اتخذ مجلس السوفييت الشيشاني قراراً باستقلال الجمهورية الشيشانية، وبعد عام واحد، وبتاريخ الأول من تشرين الثاني/نوفمبر عام١٩٩١م أعلن عن قيام الجمهورية الشيشانية المستقلة[٣].

الحياة الاقتصادية: يمارس الشيشانيون عدة أعمال أهمها الزراعة، فهم يزرعون القمح والشعير والفاصولياء، وفي فترة زمنية لاحقة بدأت زراعة البطيخ والذرة والبطاطا.

١- في عام ١٩٤٤م أعلن ستالين عن إلغاء عدد من الجمهوريات القفقاسية وحولها إلى مقاطعات ومراكز إدارية، وقام بترحيل سكانها بصورة إجبارية إلى صحراء آسيا الوسطى وكازاخستان -المترجم.

٢- يبدو أن السبب في إغلاق هذه القرى أمام سكانها، هو تاريخها في النضال ضد القوى الغربية المستعمرة، ومدى الصعوبات التي واجهتها الجيوش الروسية في إخماد الانتفاضات والثورات المتلاحقة، التي جعلت من الجبال مفراً لها. -المترجم.

٣- إعلان الشيشان كجمهورية مستقلة، كان الشرارة الأولى لتدهور العلاقات الشيشانية الروسية، حيث اعتبرت القيادة الروسية أن هذا الإعلان هو بمثابة تمرد على المركز الإتحادي، ودعوة انفصالية تهدد الأمن القومي للاتحاد الروسي على الرغم من هذا لم تقم موسكو بأي خطوة عملية لتدارك الأزمة قبل أن تتحول إلى حرب -المترجم.

كما يهتم الشيشانيون بزراعة الأشجار المثمرة مثل الكرز والتفاح والإجاص وغيره، وكانت هذه الزراعة متطورة عندهم. وإلى جانب ذلك كانوا يزرعون البصل والثوم واليقطين.. إلخ..

ولقد كانت الحياة الزراعية مرتبطة بشكل مباشر مع تربية الحيوانات، إذ إن البحيرات والأنهر الواقعة في المناطق الجبلية والمزروعات التي تنمو حولها، يكونان الأساس المتين لحياة الجبليين.

ويربي الشيشانيون الحيوانات الصغيرة مثل الماعز والأغنام، والكبيرة مثل البقر والثيران. وانتشرت تربية الأغنام في كل الأراضي الشيشانية السهلية منها والجبلية، أما تربية الثيران والأبقار فانحصرت بشكل رئيسي في المناطق السهلية. واهتم الشيشانيون أيضاً بتربية الخيول، ولا سيما النوعيات الأصيلة منها.

يأخذ الشيشانيون من الحيوانات اللحوم والحليب ومشتقاته كغذاء، والجلود ككساء، كما استخدموا الحيوانات كقوة عاملة لحرث الأرض ونقل الأحمال.

أما سكان المناطق المتوسطة الواقعة بين المرتفعات الجبلية والسهول، فكانوا أشبه بالجسر الاقتصادي بين المنطقتين، إذ يشترون المزروعات والقمح من سكان السهول لمقايضتها بالأغنام والماعز من سكان الجبال، وبالعكس.

لقد لعبت المهن والحرف اليدوية دوراً مهماً في اقتصاد الشيشان، ففي كل من (غروزني وفيدنو وخاسافيورت وأرغون) كان الشيشانيون يصنعون الأجواخ التي أصبحت الصناعة الرئيسية في هذه المدن، حيث بلغ حجم الإنتاج في الثمانينيات من القرن التاسع عشر ألفي قطعة في العام.

إضافة إلى الأجواخ، ونظراً للخطر الخارجي الدائم، اهتم الشيشانيون بصناعة الأسلحة، ولقد كانت هذه الصناعة متطورة لديهم، ومن الأسلحة التي كانوا يصنعونها نذكر (الأقواس والسهام، الرماح والمزاريق، الخناجر والبلطات)، وصنع الشيشانيون كذلك الخوذة والدرع كجزء من الزي العسكري، وتمركزت هذه الصناعات في مدن ومناطق (فيدنيو وشاتوي، أرغون وجوغورتي).

وانتشرت لدى الشيشانيين صناعة الجلود والسجاد اللبادي المزركش بمختلف الألوان. ولم تكن الأخشاب والصناعة القائمة عليها أقل أهمية من غيرها، إذ إن كل

كسوة المنزل (أثاث وأدوات منزلية) كانت من الخشب، وكذلك الأمر بالنسبة للأدوات الزراعية. ومع هذه الصناعات، كانوا ماهرين في أعمال الصياغة وإنتاج الحرير، وقد كثرت لديهم المطاحن وتطورت صناعة السكر من قصب السكر، أما العسل الشيشاني فتميز لجودته، وكانوا يصنعون من قرون وعظام الحيوانات أدوات وحلياً وأشياء أخرى.

القرية والمسكن: تتصف القرى الجبلية بقلة عدد منازلها، وكانت المنازل متلاصقة فيما بينها، ولا يوجد مخطط داخلي ثابت للبيت الشيشاني القروي، ويصادف في بعض القرى منازل حجرية مبنية من طابقين، وقد يصل ارتفاع المنزل أحياناً إلى ثلاثة أو خمسة طوابق، وغالباً ما كانت هذه المنازل تستخدم كبروج عسكرية دفاعية، وللسكن في آن واحد، ومع هذا كان هناك القلاع والبروج التي تشيد لمهمات عسكرية فقط، ويمكن القول بأنها من أهم منجزات فن العمارة التقليدي لدى الشيشانيين.

أما القرى السهلية فهي بشكل عام تمتد على ضفاف الأنهار وحواف الطرق، وعند تأسيس قرية ما كانت تؤخذ عدة أمور بالحسبان، منها صفات المكان الجغرافية من حيث إمكانية الدفاع عن النفس والقرية عند الحاجة، وذلك وجود الحقول الصالحة للزراعة والمراعي، وكذلك وجود المياه الصالحة للشرب والكافية للزراعة.

ويتباين عدد السكان بين القرى الجبلية والسهلية، وكذلك عدد المنازل، إذ يبلغ عدد منازل القرية الجبلية من تسعة عشر إلى خمسة وعشرين منزلاً، بينما يتراوح عدد منازل القرى السهلية بين الأربعمائة إلى الخمسمائة منزلاً، وهناك بعض التجمعات السكنية القروية في السهول يبلغ عدد منازلها أربعة آلاف منزل، مثل قرية (أوروس مارتان).

وفي وقتنا الحالي أخذت القرى الشيشانية الحديثة العهد شكلاً أكثر تنظيماً من القرى القديمة، إذ قسمت القرية إلى محاضر سكنية شقت بينها الطرق الحديثة، كما يلاحظ بدء ولادة جديدة لتلك القرى التي اعتبرت مدمرة أو مهجورة وغير ملائمة للحياة.

أما المنزل الشيشاني فإن غرفة رب الأسرة (صاحب البيت) هي الجزء الرئيسي والأكثر أهمية فيه، وبجوار هذه الغرفة، أو بملاصقتها، يبني الأبناء المتزوجون غرفهم، وتعتبر غرفة رب الأسرة المركز الاجتماعي والاقتصادي للأسرة كلها. وقد تستعمل غرف الأبناء لاستقبال الضيوف إذا ما تطلب الأمر ذلك.

أما المظهر الداخلي للبيت الشيشاني فإنه غالباً ما يكون شبه خالٍ من الأثاث، إذ يوجد فيه طاولة خشبية على أرجل قصيرة وكذلك الكراسي، وفي إحدى زواياه صندوق خشبي كبير، وعلى الجدران تعلق جلود الحيوانات المفترسة أو الفرو، وتستبدل أحياناً بالسجاد، ويعلق فوقه الأسلحة الباردة والنارية.

الموقد المفتوح[1] هو من أقدم وسائل التدفئة المستخدمة في المنزل الشيشاني، ويبنى الموقد في وسط الغرفة، وإضافة للتدفئة، فللموقد دور اجتماعي، إذ إنه يقسم الغرفة إلى جزئين أحدهما للرجال والآخر للنساء.

ومنذ القدم كان الموقد والفحم والرماد من المقدسات لدى الشيشانيين، وتعدّ ربة الأسرة هي حامية هذه المقدسات، وعدم احترامها (المقدسات) كان يؤدي أحياناً إلى هدر الدماء وفتح صفحة جديدة من الأخذ بالثأر بين العائلات.

الحياة الاجتماعية: كان العبيد وعائلاتهم في أدنى الدرجات الاجتماعية لدى الشيشانيين، ويأخذ الشيشانيون العبيد من أسرى الحرب الذين لم تفتديهم قبائلهم ويكلف العبد بالكثير من الأعمال، أهمها رعاية الماشية، وحراثة الأرض وزرعها وجني المحصول، وغير ذلك من الأعمال.

ويعيش العبيد عادة في ملحق يبنى بالقرب من منزل الأسرة المالكة. ويذكر بأن الكثير من العائلات الشيشانية قد سمحت للعبيد بأن يمتلكوا قطعة أرض ويشيدوا فيها منازل كالأحرار، مقابل الإخلاص في العمل لمدة طويلة، كما سمح للعبيد في بعض الحالات بأن يشيدوا البروج الحجرية بشرط ألا يستكمل بناؤها[2].

١- الموقد المفتوح: يبنى من الآجر والطين، يكون له فتحتان، واحدة من جانبه الأمامي لوضع الخشب في الموقد، وثانية كبيرة من الأعلى، تغطى بلوح معدني، تستخدمه الأسرة في أعمال الطهي -المترجم

٢- لم يسمح للعبيد الذين حصلوا على الحرية باستكمال بناء البروج، كيلا يكونوا على درجة واحدة مع أسيادهم السابقين، ولكي يميز برج الحر أصلاً عن برج الحر الذي كان عبداً. -المترجم

إنّ بنية المجتمع الشيشاني والتغيرات التي طرأت عليها أثرتا على اللغة الشيشانية، إذ انتشرت في القرن السابع عشر مفاهيم لغوية جديدة وكلمات مثل (إيلا) وتعني أمير، و(ستو) وتعني أميرة، و(أزداناخ) أي الشرفاء، و(يالخو) أي الخادم، وعكست هذه المصطلحات بدورها التمييز الطبقي الذي كان سائداً في المجتمع الشيشاني. ومع مرور الوقت تغيرت البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الشيشاني، إذ تحولت السيطرة على أراضي الوديان الجبلية والمروج من أيدي العشائر والقبائل إلى أيدي العائلات والفروع التي انقسمت من هذه القبائل، أما الأراضي المشاعية فبقيت تحت تصرف من لم يشمله هذا التقسيم الاقتصادي الاجتماعي. وتحت تأثير الظروف القاسية للحياة الزراعية في الجبال، استحدث لدى هذه القبائل قانون يسمح بامتلاك الأرض لمن يحرثها ويزرعها. مع الوقت وعلى أرضية هذه التغيرات، تحول الكثيرون من أصحاب البروج والمنازل الحجرية المرتفعة إلى ملاك للأراضي الشاسعة.

أما السلطة في هذا المجتمع، فيعتبر المجلس (مجلس القرية، العشيرة، القبيلة) السلطة العليا لدى الشيشانيين، والمجالس عندهم نوعان: المجلس الأعلى العام الذي يضم جميع رجالات القرية، ويقوم المجلس الأعلى بفض النزاعات والخلافات الاجتماعية والاقتصادية والقضائية. أما المجلس العام فكان ينظم استخدام الغابات والمراعي، وينظم عمليات الحراثة والري وجني المحصول حسب جداول زمنية يضعها، كما يتدخل هذا المجلس في حل النزاعات الاجتماعية ويسعى للصلح بين العائلات المتخاصمة الباحثة عن الثأر.

ويتميز المجتمع الشيشاني بالكثير من العادات والتقاليد التي تنظم المعاملة فيما بين أفراده، وكذلك المعاملة مع الآخرين، ومع مرور الوقت أصبحت هذه العادات قوانين صارمة تنظم حياة المجتمع. ومن أكثر القوانين صرامة، هو تقدير واحترام من هم أكبر سناً، واحترام الوالدين، ويعتبر عدم الالتزام بهذه القوانين من أكبر الذنوب.

وللمرأة في المجتمع الشيشاني مكانة خاصة، إذ تكن الأسرة احتراماً ومودة للوالدة والجدة. وبوجود النسوة إجمالاً لا يأخذ الرجل بثأره من غريمه، ولا تنفذ عقوبة أو حكم إعدام بحق مذنب أو مجرم، كما أن نزع المرأة غطاء رأسها أمام رجلين يتشاجران، كفيل بوقف الشجار، ويتناسب وضع المرأة عندهم وحجم احترامها

وتقديرها، مع دورها في الأسرة، فهي الحامية والأم، ربة الأسرة وسيدة المنزل ونذكر من عادات المجتمع الشيشاني إكرام الضيف، إذ إنهم يحترمون الضيف ويكرمونه بغض النظر عن انتمائه القومي أو الديني، وكما هو في معظم العادات والقوانين الاجتماعية، فإن إكرام الضيف واحد من القوانين التقليدية الصارمة، وكل من لا يحترم هذه القوانين يفقد هيبته واحترامه لدى الجميع.

ويعتبر الشيشانيون ضيفهم رسولاً أتى من المدن والقرى المجاورة أو البعيدة حاملاً الأخبار والأحاديث عن تلك المجتمعات التي عاشرها أثناء رحلته واستضاف عندها، وكذلك عن قومه ومجتمعه. ولهذا فإن الشيشاني كان يقوم بشيء أقرب إلى المهمة الدبلوماسية من خلال استقباله للضيف وإكرامه له، فرب الأسرة المضيفة يمثل أبناء قومه في هذه الحالة، ويجب عليه أن يظهر لضيفه كل الصفات والأخلاق الحميدة لهذا القوم. ويعدّ احترام رب المنزل للضيف من المقدسات، وهذا الاحترام قادر على أن ينقذ الضيف من الموت، إذا كان هناك من يطارده، فيقدم له رب الأسرة المخبأ ويعطيه الأمان، وإذا تطلب الأمر فقد يخرج مع سلاحه ليواجه أعداء ضيفه ويحميه منهم ولو كلفه ذلك حياته.

والتعاون أيضاً من العادات الإيجابية في المجتمع الشيشاني، ويلعب التعاون دوراً مهماً في الحياة الإنتاجية والاقتصادية والاجتماعية عندهم، حيث إن أبناء القرية يساعدون بعضهم بعضاً في بناء المنازل، وحرث الأرض وزرعها، وتنظيف الصوف وإنتاجه.. إلخ..

وما زالت هذه العادات قائمة حتى يومنا هذا، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض العادات السلبية مثل الأخذ بالثأر، إذ إن هذه العادة لم تندثر على الرغم من تطور العلوم الإنسانية والقانونية والاقتصادية عندهم، إذ يعدّ الأخذ بالثأر حقاً اجتماعياً لكل فرد، ويتساوى هذا الحق مع مقولة (العين بالعين والسن بالسن)، وفيما عدا الثأر تنتشر عندهم عادة إعلان اللعنة على شخص ما أو أسرته أو قرية بأكملها أحياناً، بسبب من الأسباب، واللعنة تعني المقاطعة التامة، لمن تعلن بحقه، ونبذه ورفضه في المجتمع.

ويرى الشيشانيون أن قتل الضيف هي جريمة بمثابة خيانة الوطن، أما أكثر الجرائم فظاعة وفق عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم الاجتماعية فهي الاغتصاب.

على هذه الأخلاق والعادات يربي الشيشاني أبناءه منذ الصغر، ولقد ارتبطت التربية الخلقية الاجتماعية لدى الشيشان ارتباطاً مباشراً بتربية البنية الجسدية القوية، ويسمي الشيشانيون العلاقة ما بين التربية الأخلاقية والجسدية، بالتربية العملية، إذ إنهم من خلال دفعهم للأبناء بالمساهمة في الحياة العملية الإنتاجية ومشاقها، يربونهم على الصبر والقدرة على التحمل، والمثابرة، وقدرة السيطرة على النفس، والجرأة والحسم في اتخاذ القرار.

أما تكوين الأسرة الشيشانية، فإن المجتمع الشيشاني يعطي هذا الأمر أهمية كبرى، ولهذا فإن فترة ما قبل الزواج غالباً ما تكون غنية بمختلف الفعاليات الاجتماعية التي يساهم فيها أهل زوجي المستقبل وأقاربهم، إذ تشمل هذه الفعاليات ضرورة التعارف بين العائلتين عن كثب. ويتم الزواج لديهم بالاتفاق يليه الخطبة، فالزواج.

المطبخ: أثرت الزراعة وتربية الحيوانات على المطبخ الشيشاني بشكل واضح، إذ كانت المزروعات من فواكه وخضار، وكذلك الحليب ومشتقاته واللحوم الطازجة والمجففة، من المواد الرئيسية في المطبخ الشيشاني.

وتنقسم الوجبات الشيشانية إلى نوعين، الأول يومي اعتيادي، أما الثاني فهو الوجبات الشعائرية الخاصة للمناسبات والأعياد مثل الأعراس والولادة وغيرها، وكذلك للأتراح والمناسبات الحزينة مثل الموت، وتختلف الوجبات اليومية عن الشعائرية بطريقة التحضير والكمية، حيث تطهى بكميات كبيرة ويساهم في طهيها عدد كبير من أفراد الأسرة.

وتختلف الوجبات اليومية ما بين فصل وآخر، ففي الربيع تجهز بشكل رئيسي من الخضار، وفي الصيف من الفاكهة والحليب ومشتقاته، أما اللحوم فهي وجبتهم الرئيسية والمفضلة في فصل الشتاء.

التراث الشعبي: الفولوكلور الشيشاني واسع جداً وغني، لأنه عبارة عن مآثر ذات جذور قديمة، وينطوي الفولوكلور الشيشاني على الكثير من أساطير وقصص الأجداد وبطولاتهم، وأخلاقهم الحميدة، وقيمهم، إضافة إلى الأغاني القومية والرقصات الشعبية، وهم يحترمون المغنين والمغنيات الشعبيين، ولديهم الكثير من الآلات الموسيقية مثل الطبول بأنواعها والأوكورديون وغيره..

كما تعتبر الطبابة الشعبية عندهم من الأمور الفولوكلورية، حيث تقوم الطبابة الشعبية على التعايش مع الطبيعة ومراقبتها واستخدام ما تقدمه من أعشاب ومواد طبيعية في معالجة الأمراض، وهذه المعلومات تراكمت مع الوقت لتشكل بمجموعها خبرات تتناقلها الأجيال، ويتوسع كل جيل بخبراته ثم يسلمها للجيل اللاحق.

وفيما يتعلق بحياتهم الدينية، فلقد ارتبطت العقائد الدينية لدى الشيشانيين بعناصر الطبيعة المحيطة بهم مثل (الجبال والهضاب، الأشجار والصخور.. إلخ..) وقد لعب السحر دوره في المجتمع الشيشاني، ففي فترة من فترات تطورهم كانوا يلجؤون إلى السحر والسحرة لإيجاد حلول للقضايا والخلافات المستعصية، حتى أن رغبة أحدهم في أن تعشقه فتاة ما، كانت تحال إلى السحرة. وعموماً فلقد مرّ الشيشانيون بكل مراحل التطور الديني مروراً بالإشراك وتعدد الآلهة وصولاً إلى الوحدانية وعبادة الله. ففي مرحلة من مراحل حياتهم الدينية آمن الشيشانيون بالنبتون (أي المكان الذي تجتمع فيه الآلهة)، وكان من أهمها عندهم آنذاك، آلهة السماء والشمس (ديلا)، وآلهة الفريسة والصياد (يلتار)، و(توشولي) آلهة الخير والعطاء. أما الإسلام فلقد عرفه الشيشانيون في القرن الثالث عشر[1] نتيجة تأثرهم بدولة التتار المنغولية، وفي القرن الثامن عشر، أصبح الإسلام الديانة الرئيسية للشيشانيين.

١- تشير مصادر تاريخية أخرى، وبعض الروايات الشعبية التاريخية، بأن الإسلام قد دخل اراضي الشيشان وداغستان في القرن السابع ميلادي بوساطة تاجر مسلم من بخارى وصل الى احد الأقوام الداغستانية واستقر عندهم ونشر بينهم التعاليم الإسلامية، ومنهم انتقل الإسلام إلى الشيشان - المترجم

الغودبرينيون (الغوديرنسي)



قرية غودوبري

هم من الشعوب الأنديسكية، السكان الأصليون لغربي داغستان ويبلغ عددهم ثلاثة آلاف نسمة، يتحدثون باللغة الغودبرينية، وفي الكتابة يعتمدون اللغة الآفارية المنتشرة بينهم. الغودوبريني مسلمون سنيون.

ويعيش الغودوبرينيون في المنطقة الشمالية الوسطى من حوض نهر (أنديسكاكويسو)، وقراهم هي (غودبري العليا وغودبري السفلى) وقرية (زيبيرخال) الواقعة شمال غربي المنطقة المسماة حالياً (بوتليخسنك) وتدل المصادر على أنهم استوطنوا في هذه المناطق منذ القرن الثامن قبل الميلاد. ويتوقع أن الغودبري كانوا عضواً في اتحاد (الديدو) العسكري السياسي، وبقوا فيه حتى سقوطه في الفترة ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين. ونشأ في هذه الفترة اتحاد (تيخنوتسال) كبديل عن اتحاد (الديدو) في منطقة (بوتليخنسك) وكان الغودوبرينيون عضواً في هذا الاتحاد.

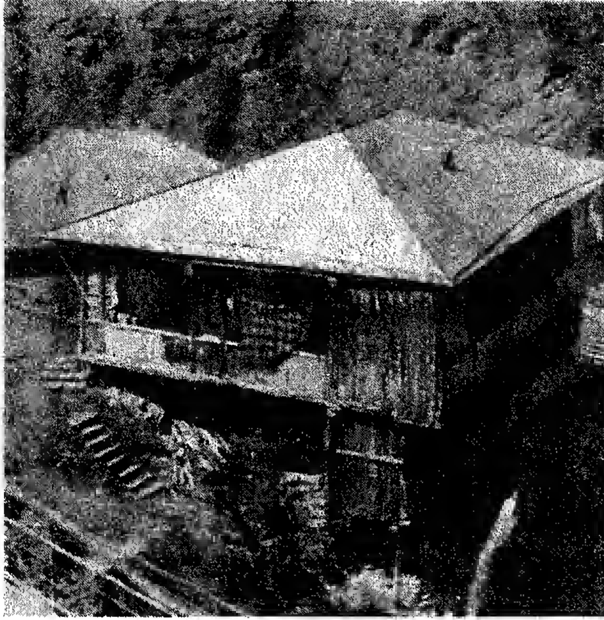
كانت الديانة المسيحية هي الديانة الأساسية عند الغودوبرينيين حتى نهاية القرن الرابع عشر، وفي القرن السادس عشر دخلت تعاليم الديانة الإسلامية إليهم ليصبحوا مسلمين سنيين منذ ذلك الوقت. وقد ساهم الإسلام في إدخال اللغة العربية إليهم، مما ساعد بدوره في التطور الثقافي عند الغودبرينيين، حين افتتحت المدارس في قراهم.

لم يكن الصراع العسكري القفقاسي الروسي في القرن التاسع عشر بعيداً عنهم فقد شارك الغودبرينيون مع شعوب القفقاس في الجهاد من أجل تحرير أرضهم من جيوش الإمبراطورية الروسية. وكان هذا في الأعوام التي أتت بعد ضم داغستان وكل شعوبها إلى الإمبراطورية الروسية إثر توقيع معاهدة هولستان عام ١٨١٣م، والتي أنهت الحرب بين روسيا وإيران، حيث تنازلت الثانية عن أراضي داغستان لصالح الأولى، وهكذا وقع الغودبرينيين مع جميع شعوب القفقاس تحت سيطرة الإمبراطورية الروسية، وأصبحوا ضمن الحدود السياسية والعسكرية والاجتماعية لداغستان، التي أصبحت عام ١٩٩١م جمهورية وعضواً في الاتحاد الفيدرالي الروسي.

وتدل مصادر اللجنة الإحصائية التابعة لجمهورية داغستان السوفييتية (الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٣٨م) أن عددهم قد بلغ آنذاك الألف وتسعمئة نسمة.

كما ذكرت المصادر التاريخية الرسمية أن سكان قرية (زيبيرخال) قد أجبروا على الرحيل عن أراضيهم باتجاه أراضي الشيشان وأنغوشيا عام ١٩٤٤م، ثم عادوا عام ١٩٥٧م إلى المناطق السهلية من داغستان، حيث منعوا من العودة إلى القرى الجبلية مما اضطرهم إلى الاستقرار في سهول خاسافيورت في قرية (تيرنشنوي).

الغونزبيون (الغونزبتسي)



منزل قروي على سفح الجبل

هم من السكان الأصليين لغربي داغستان، ويبلغ عددهم بشكل عام ١٧٠٠ نسمة يعيش منهم ١٣٥٠ نسمة في روسيا (جمهورية داغستان) و٣٥٠ نسمة في جورجيا، يتكلمون بلغتهم الخاصة، بينما يعتمدون في الكتابة على اللغة الآفارية، كما يتكلمون باللغات الجورجية والغينوخية والتسيزية. الغونزيبيون مسلمون سنيون. ومنذ النصف الثاني للألف الأولى قبل الميلاد كانوا عضواً في اتحاد الديدو السياسي العسكري، وبقوا فيه حتى سقوطه في فترة ما بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي. في تلك المرحلة من حياة الغونزيبي نشرت البعثات الجورجية تعاليم الديانة الإسلامية مكان المسيحية عندهم، وخلال ثلاثة قرون (١٥-١٧) ميلادي وفي القرن الخامس عشر أيضاً، كان الغونزيبي عضواً في الاتحاد الكونفيدرالي (الأنتسوخا

كابوتشينسكي) المسمى (أنتل - راتل)، وبعد سقوط هذا الاتحاد اتحد الفونزيبي مع (البيجتيني)، وكانت لهم آنذاك علاقات عسكرية وسياسية واقتصادية متينة مع جورجيا.

وعندما فرضت روسيا سيطرتها وتواجدها على شعوب القفقاس في القرن التاسع عشر، هب الغونزيبي جنباً إلى جنب مع جميع الشعوب وأقوام القفقاس، بقيادة الإمام شامل، للدفاع عن حرية واستقلال بلادهم.

وبعد أن أخمدت هذه الانتفاضة، أجرت الإمبراطورية الروسية إصلاحات إدارية شملت كل أراضي وشعوب القفقاس، حيث تم تشكيل المقاطعات والمديريات وكان الغونزيبيون جزءاً من المديرية البجتينية، التي هي جزء من المقاطعة الداغستانية.

ومنذ عام ١٩٢١، أصبحوا شعباً من شعوب جمهورية داغستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي.

القارَتشاي (الكرتشاي)


رجال من قرشاي بأزياء فولكلورية


قرية قارت - جورت مشهد عام

هم السكان الأصليون لمنطقة (كاراتشاف) في جمهورية (كاراتشايف - تشيركيس) ويبلغ عددهم في هذه الجمهورية ١٢٤٠٠ نسمة، وينتشرون في مناطق أخرى من جمهورية روسيا الفيدرالية وآسيا الوسطى، وكازاخستان وكذلك في سوريا والولايات المتحدة الأمريكية وتركيا، ويبلغ عدد الكاراتشايف بشكل عام ١٥٠٣٠٠ نسمة. الكاراتشاف مسلمون من أهل السنة. يتحدثون باللغة الكاراتشاف - بلكارية، التي تكتب منذ عام ١٩٣٧م على قاعدة الأحرف الروسية.

يقطن الكارتشايف في الجزء الشمالي الغربي من سلسلة جبال القفقاس، تحدهم من الجنوب أراضي (مواطن) أقوام (السفاني) و(الأبخاز)، ويفصلهم عن أرض البلكار جبال (الإلبروس) من الشرق، أما الأقوام التي تجاورهم من الشمال والغرب فهم الشركس والأبازيين والناغاي.

ويرى المؤرخون بأن الكاراتشاف هم أحفاد القبائل القفقاسية القديمة، وساهم في تشكيل سلالة الكارتشايف عدد من القبائل والشعوب التي استقرت في منطقة

القفقاس ونذكر منها القبائل (الآلانية، البلكارية والكيبتشاكية)[1]. وفي الفترة التي سبقت حملات التتار - منغولية، كان الكارتشايف عضواً في اتحاد الأقوام الآلانية، وأقدم آثار تتحدث عن الكاريشايف والبلكار يعود تاريخها إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، والتي عثر عليها في أراضي الكاراتشايف والبلكار في نهاية القرن العشرين.

وفي فترة حملات التتار - منغولية على منطقة القفقاس، انحصر تواجد الكاراتشايف (القدماء) في وديان السلسلة المركزية (الرئيسية) من جبال القفقاس. وفي هذه الفترة قاوم الكاراتشايف الجيوش الزاحفة نحوهم، وفيما بعد رفضوا الرضوخ لسيطرة (خان) شبه جزيرة القرم الذي وضعه التتار - منغول ليكون مسؤولاً مشرفاً على منطقتي القرم والقفقاس.

وكان للكاراتشايف علاقات متينة مع جيرانهم من مختلف الأقوام والشعوب (الكاباردين، والأبخاز، والداغستان، وكذلك مع الروس).

في عام ١٨٢٨م أصبح الكاراتشايف جزءاً من الشعوب التابعة لروسيا والواقعة تحت سيطرتها، وتم ضمهم إلى مديرية (الإلبروسكايا)[2]. وفي عام ١٨٦٧م شملت الإصلاحات الإدارية والاجتماعية أراضي الكاراتشايف، فألغيت عندهم الأنظمة الإقطاعية وقوانين العبودية، وهذا ما ساعد في تطور نظام التبادل التجاري، وتوسع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية مع روسيا وشعوبها والشعوب المجاورة لها. وقد مكنت الإصلاحات الزراعية التي تمت في السبعينيات من القرن التاسع عشر، جنرالات جيوش روسيا القيصرية وضباطها، من السيطرة على الأراضي الزراعية في المناطق الجبلية، مما أدى إلى هجرة الكاراتشايف سكان هذه المناطق إلى تركيا.

بعد أن انتهت الحرب الأهلية في روسيا، وسيطرت السلطة السوفييتية على البلاد عام ١٩٢٠م، انتشرت قوانين الاتحاد السوفييتي لتشمل الكاراتشايف الذين حصلوا على وضع سياسي واجتماعي واقتصادي خاص، ففي عام ١٩٢٠م تم تأسيس منطقة

١- يصح القول قبائل الكيبتشاكي أو قبائل الكيبانشي، وهي قبائل ورد ذكرها في بحث البلكار، كما سيرد لاحقاً في معظم البحوث عن الأقوام القفقاسية. -المترجم

٢- نسبة لجبال الإلبروس القفقاسية -المترجم

حكم ذاتي للكاراتشايف في حدود أراضيهم التاريخية، وفي عام ١٩٢٢م سميت هذه المنطقة بالمديرية الكاراتشايفية، ومن ثم تم ضمها إلى الشركس عام ١٩٢٦م ليشكلوا معاً المديرية الكاراتشيفية - شركسية، والتي ألغيت في عهد ستالين عام ١٩٤٣م، وتم ترحيل سكانها بشكل إجباري إلى صحراء آسيا الوسطى (كازاخستان وأوزبيكستان).

وعندما استلم خروشوف السلطة في الاتحاد السوفييتي، أعاد تأسيس هذه المديرية التي سمح لشعوبها بالعودة من المنفى.

وفي عام ١٩٩١م، أصبحت كاراتشايف - تشيركيس، جمهورية وعضواً في الاتحاد الفيدرالي الروسي.

الحياة الاقتصادية: مارس الكارتشايف بشكل رئيسي تربية الحيوانات وزراعة الأراضي، ففي المجال الأول اهتم الكاراتشايف بتربية الخراف والماعز وكذلك البقر والثيران والخيول من الفصائل الأصلية، وكانوا يتنقلون مع القطعان بحثاً عن المراعي وفق فصول السنة، ففي الربيع ترعى القطعان في المناطق السهلية، وفي الصيف وحتى بداية الخريف تطلق الحيوانات في مناطق السفوح الجبلية، بينما يعيش الرعاة في هذه المرحلة في خيم أو منازل خفيفة من القصب وغيره من مواد البناء المؤقت. وفي الشتاء تؤخذ القطعان إلى حظائرها الشتوية حيث تؤمن حمايتها من الهواء والأمطار والثلوج، وكثيراً ما كانت تتحول الكهوف الجبلية إلى مكان مناسب للحيوانات في فصل الشتاء، أما قص الصوف فيقوم الرعاة بهذه العملية في المرحلة الربيعية وكانت المراعي الشتوية والحظائر ملكية خاصة للرعاة الكاراتشايف، بينما يملك (الكاباردين) المراعي السهلية الخريفية والربيعية، كما يملك القوزاقيون جزءاً من هذه المراعي. ويقضي الرجال أعواماً متنقلين مع قطعانهم بينما تقوم النساء والأطفال بالمساعدة في فترة الربيع، حيث يقومون بتحضير الزبدة والجبنة وغيرها من مشتقات الحليب.

نظم الكاراتشايف عملية رعي القطعان حيث تضم القطعان الصغيرة إلى بعضها لتشكل قطيعاً كبيراً، يقوم برعيه والإشراف عليه أحياناً شخص أو مجموعة أشخاص تتقاضى أجراً من أصحاب القطعان. ولقد ساهمت عملية التنظيم هذه في تحويل الحيوانات وما يؤخذ منها من مواد إلى سلع تجارية تطورت أساليب التجارة بها مع

الوقت، وهذا ما أدى إلى تكون (نشوء) طبقة التجار الأحرار والوسطاء التجاريين، كما أنشئت المسالخ التي تستفيد من لحوم الحيوانات المسلوخة كسلعة تجارية مهمة، ونظمت معها أسواق تجارة الصوف والجلود واللحوم.

أما في المجال الزراعي، فقد اهتم الكارتشايف بزراعة الحقول والسهول، ومن أهم مزروعاتهم القمح والشعير والذرة والبطاطا ومختلف الخضار.

وما تزال تربية الحيوانات من أهم الأعمال عند الكارتشايف في مناطق الجبال والهضاب الجبلية حتى وقتنا الحاضر.

القرية والمسكن: تتكون القرية الكاراتشايفية التقليدية في المناطق الجبلية من عدة منازل متقاربة ومتلاصقة فيما بينها أحياناً، ولكل عائلة أو أبناء نسب واحد تجمعهم السكني الخاص بهم والذي ينفصل عن تجمع منازل العائلات الأخرى بواسطة الطرق المستقيمة والمشقوقة بين منازل القرية، أما المنزل فغالباً ما يكون مربع الشكل ويتألف من حجرة أو حجرتين. ويشيد الكاراتشايف منازلهم من جذوع الأشجار المعدة للبناء، ويغطى سطح المنزل بخلائط من التراب والرمل تعتلي الألواح الخشبية الممتدة على طوله. وتشبه الحجرة من الداخل منازل الرعاة القدماء، إذ تنقسم إلى قسمين، قسم للرجال وآخر للنساء، وتغطى الجدران بالسجاد الصوفي، لتزينها وتعطي المنزل دفئاً في آن واحد.

وفي كل منزل لا بد من وجود الموقد الجداري، وتشق المدخنة في الجدران كي تتم عملية توزيع الحرارة في المنزل خلال عبور الدخان الدافئ إلى السطح حيث مخرجه النهائي. إضافة إلى الحجر الرئيسية (الاثنتان) يشيد الكاراتشايف غرفة للعروسين بجوار الموقد، مستخدمين نفس الجدار حيث الموقد، ليكون جداراً لغرفة الزوجين الشابين، كما يتميز المنزل الكاراتشايفي بالغرفة أو الحجرة المخصصة لاستقبال الضيوف.

منذ بداية القرن التاسع عشر بدأت بالظهور منازل من طابقين والكثير من الغرف، ومع تقدم الوقت أخذ المنزل الكاراتشايفي شكلاً مدنياً حديثاً، إذ يشيد من الإسمنت المسلح، وهكذا تبقى المنازل القديمة والقلاع والحصون الحجرية نادرةً في وقتنا الحاضر، إذ أصبحت شاهداً تاريخياً على فن العمارة القديم عن الكاراتشايف.

الأزياء القومية والمطبخ عند الكاراتشايف تأخذ طابعاً قفقاسياً عاماً.

الحياة الاجتماعية: يعتبر مجلس القرية والذي يسمى (الجماعات) مركز الحياة الاجتماعية في المجتمع الكاراتشايفي، ويرتبط أعضاء الجماعات فيما بينهم بعلاقات عامة، مثل الأرض العامة، وبعلاقات خاصة جماعية إذ يتعاونون في بناء المنازل والقلاع والحفاظ عليها وترميمها إذا تطلب الأمر ذلك.

وهناك علاقات تربط العائلات من أصل واحد (من نفس الجد)، وتحافظ التجمعات العائلية على الروابط الداخلية بشدة، حتى أنهم يدفنون أمواتهم في مقبرة خاصة بهم، ولقد ساعدت هذه الروابط والقوانين العائلية في الحفاظ على التجمعات الأسرية وملكيتها الجماعية للأرض وقطعان الحيوانات، إذ يعملون جميعهم في زراعة الأراضي ورعي الحيوانات التي يملكونها، وبالمقابل يحصلون على ما تعطيه الأرض من خيرات، وكذلك يستفيدون من المنتجات الحيوانية.

كانت الطبقية سائدة عند الكاراتشايف في الماضي، حيث يترأس المجتمع شخص من أصول (بييف)[1] أي الشرفاء وما شابههم من مستويات اجتماعية راقية. وفي أدنى الدرجات الاجتماعية كان العبيد. وعلى الرغم من زوال هذا التمييز مع مرور الوقت إلا أن الحسب والنسب العائلي يلعبان دوراً مهماً عند الزواج حتى وقتنا الحاضر.

١ـ أي الشخص الذي يحمل لقب (بيك)، وهو لقب شبيه بـ(الباشا) وما شابهه ـ المترجم.

الخفارشيون

يسمون أنفسهم (أكيلاكو، أتليكو) وهم السكان من الشعوب الأصلية في داغستان. يبلغ عددهم في باقي الأراضي الروسية ما عدا داغستان ٢ ألف نسمة حسب إحصائيات عام ١٩٨٩م. شملتهم كل الإحصائيات السابقة مع الآفاريين، إلا أن إحصائية عام ١٩٦٢م تعاملت معهم على أنهم شعب مستقل بذاته، وكان عددهم حسب تلك الإحصائية ١٠١٩ نسمة. يتحدثون باللغة الخافارشية، تنتشر بينهم اللغات الآفارية والروسية والتيندالية. كُتبت لغتهم الخافارشية باعتماد الأحرف العربية حتى نهاية القرن الثامن عشر، وفي مطلع القرن التاسع عشر اعتمدوا الأحرف الروسية في الكتابة، ومن ثم كتبوا بالأحرف الروسية حسب طريقة اللغة الآفارية. الخفارشيون مسلمون سُنّة.

يعيشون في داغستان، في الأجزاء الجنوبية الشرقية من منطقة سومادينسك، على جانب الوادي الذي أحدثه فرع نهر أنديسكاكايسو، في منطقة خفارشين، في سبع قرى هي (خفارشين، خونوك، أنخوكفاريا العليا والسفلى، كفانتلادا، سانتلادا، وخفايني) حصلوا على اسمهم السلالي نسبة لأكبر قرية من قراهم (خفارشين) ويجاورهم من الجنوب والغرب الديدوري (ديدويتسي)، ومن الشمال والشرق التيندالي. الجزء الأكبر منهم (٧٠٪) تقريباً استقروا في السهول الواقعة في منطقة خاسافيورت، وكيزليار. ويُعتقد أنهم كانوا منذ القدم ضمن اتحاد الديدوري العسكري - السياسي. نتيجة لذلك أصبحوا لفترة وجيزة جزءاً من البوغوز (التيندالي). في مطلع القرن التاسع عشر استقلوا عن التيندالي وشكلوا اتحاد القرى الخارشينية. بعد الإصلاحات الإدارية في الستينيات من القرن التاسع عشر، تم ضمهم إلى النائبية التيندالية. أول مخطوطات تاريخية تحدثت عنهم يعود تاريخها إلى عام ١٨٤٠م.

كان الخفارشون متحدين في تجمع - الجماعات. السلطة العليا في القرية هي مجلس الكبار - الشيوخ، والقادة الروحانيون الدينيون. ويتم الحكم عندهم على أساس العادات (القوانين المدونة) إضافة إلى بعض القوانين الإسلامية، قوانين الشريعة الإسلامية.

تم تهجيرهم جبرياً في شباط/فبراير عام ١٩٤٤م، حيث أرسلتهم السلطات إلى منطقة فيدينسك الشيشانية. في عام ١٩٥٧م عاد بعضهم إلى قراهم التي كانت شبه مدمرة، وعاد البعض ليستقر في المناطق السهلية من داغستان.

تميزوا بممارسة الأعمال الزراعية وتربية المواشي لكن ضمن شروط المزارع (العزب). اعتنوا بتربية الأغنام بالدرجة الأولى ومن ثم ببعض المواشي مثل الثيران والأبقار وغيرها. واشتهرت عندهم فصيلة الأغنام ذات الفرو القصير. أما الأعمال الزراعية فكانت في أغلبها أعمال زراعة بعلية تعتمد على الأمطار، وقامت الزراعة عندهم على السفوح الجبلية وفي المناطق السهلية. استخدموا في الأعمال الزراعية مختلف الأدوات التقليدية، كما اهتموا بالسماد للحصول على أكبر وأفضل محصول.

كانت صناعة الأقمشة والأجواخ من أهم المهن والحرف التي مارسوها تقليدياً. إلى جانبها كانوا يصنعون الألبسة والجوارب والأحذية الجلدية. مارسوا أيضاً صناعة الأثاث الخشبي (الموبيليا). واهتموا مع الوقت بتربية النحل والصيد البري والنهري.

تتحد الأسرة في التوخوم الذي يتأسس بصلة القرابة عبر الأب (الجد)، ويدعم أبناء التوخوم الواحد بعضهم بعضاً اجتماعياً واقتصادياً. ويُعتبر من الأقرباء الأحفاد حتى الجيل الرابع من الجد نفسه، من جهة الأب بشكل رئيسي، ومن جهة الأم نوعاً ما. يلعب الكبير في الأسرة (الأب أو الجد) دور الشخصية الرئيسية التي يكن لها الجميع الاحترام ويلتزم الأبناء والنساء في الأسرة برغباته ويمتثلون لأوامره. ومن عاداتهم أن يحترم الصغير الكبير، وأن تحترم الأخوات الإخوة.

إلى جانب وجود الكثير من العادات والتقاليد بالنسبة للزواج، إلا أن الصيغة الرئيسية للزواج كانت عبر الخطبة وموافقة الأهل.

الألبسة التقليدية عندهم تشبه بشكل عام الأزياء لدى معظم الشعوب في داغستان. حيث يتألف زي الرجل من قميص إضافة إلى سروال من دون جيوب، مع معطف يعتليهما إما من الفرو للشتاء أو من مادة غير الفرو في الفصول الأخرى، ويضعون على رؤوسهم قبعة دائرية الشكل أو سداسية أحياناً. غالباً ما يرتدون الجوارب التي تصنعها النسوة من الصوف الطبيعي، وفوقها ينتعلون حذاءً جلدياً طويلاً يغطي القدم حتى الركبة في بعض الحالات. وتتزين أزياء الرجال بحزام على منتصف الخصر، يُعلق عليه عادة الخنجر كرمز للرجولة.

أما الزي التقليدي للنساء عند الخفارشين، فيتألف من ثوب طويل وسروال عريض يُسمى عادة (شاروفاري)، إضافة إلى غطاء الرأس ويكون عبارة عن قبعة مزركشة يعتليها إشارب (شال) طويل يغطي الرأس والكتفين ومنطقة الصدر. ويزركش الثوب بالحلي المصنوعة من الفضة إضافة إلى القطع المعدنية الفضية وغيرها من أشكال الحلي. وينتعلن في أقدامهن الأحذية الجلدية الجميلة التي تُصنع من المواد المحلية.

حتى القرن التاسع عشر، استخدم الخارشيون المواد والأقمشة والجلود المحلية الصنع (الخفارشينية) لحياكة الألبسة وصناعة الأحذية.

تم تشييد معظم القرى الخفارشينية في أماكن وعرة جبلية يصعب على الطامعين الاعتداء عليها. وما زالت أربع قلاع دفاعية موجودة كشاهد على أسلوب العمارة الدفاعي، في مدخل قرية خفارشين. أما الشوارع فلم تكن منظمة، والمنازل غالباً ما تكون من طابقين مع شرفات على الطبقة الثانية تشيد من الحجارة.

بشكل عام فإن معظم جوانب الحياة عند الخفارشين، بما في ذلك الأزياء والوجبات والبنية الاجتماعية أخذت الطابع الداغستاني العام، وهي أقرب ما تكون إلى التيندالي والآفاريون.

من الأعياد الدينية الرئيسية عندهم، عيد المولد النبوي، حيث يقيمون الموالد ويدعون الأصدقاء والأقارب. وبالطبع عيد الأضحى وعيد الفطر. أما الأعياد الشعبية التي توارثوها عن الأسلاف والتي يرتبط بعضها بديانات قديمة وبعضها مجرد عيد شعبي، هناك عيد الربيع، وعيد جمع الحصاد، وهي أعياد موسمية، ومن أعيادهم أيضاً عيد خاص في أقصر يوم في السنة، يسمونه عيد الخمول، أو اليوم الذي لا يمارس فيه الناس أي عمل.

ثقافياً وفكرياً، منذ زمن بعيد تجد في كل قرية من قراهم أشخاصاً متعلمين، صفتهم الرئيسية كانت معرفتهم التامة للغة العربية، بحيث تمكنوا من ترجمة الكتب من العربية إلى لغاتهم المحلية وكانت المؤلفات التي يترجمونها شاملة لكل جوانب العلوم فمنها الديني ومنها الطبي وغيرها من مؤلفات. وأكثر العلماء الخفارشينيين شهرة هو زاغلاف أباندي، الذي وضع قرابة المائة وتسعة كتاباً، ما زال أربعة وثمانون منها موجودين حتى يومنا هذا.

الكايتاغي



زي شعبي



امرأة من قرية كاراتسان

هم من السكان الأصليين لجمهورية داغستان، ويرى بعض المؤرخين بأنهم جزء من قوم (شعب) الدارغيني، ويعتبرهم آخر سلالة مستقلة بذاتها. يسمون أنفسهم (خايراكم)، ويتكلمون باللغة الكايتاغية، كما يستخدمون اللغات الدارغينية والكوميكية، وتكتب لغتهم على قاعدة الأحرف الروسية. الكايتاغي مسلمون سنيون.

إن أقدم المصادر التاريخية التي ورد فيها ذكر الكايتاغي، هي مصادر القرن التاسع الميلادي العربية، علماً بأن نشر الإسلام قد بدأ عندهم في القرن الرابع عشر.

كان الكايتاغي عضواً في الاتحاد (الكايتاغ - أوتسومي) السياسي، وكان يضم هذا الاتحاد عدداً آخر من الشعوب مثل الدراغيني والكوميكي والتركمان حيث شمل هذا الاتحاد عدداً كبيراً من سكان الجبال، وبعض الشعوب المستوطنة في المناطق السهلية.

الحياة الاجتماعية: احتل الفلاحون الأحرار وممثلو طبقة (المجتمعات الحرة) الدرجة

العليا من السلطة في الاتحاد القروي، بينما كان الفلاحون ذوو الأملاك القليلة والذين كانوا يعتمدون على الأحرار في عدد من المسائل الاقتصادية والعسكرية، في الدرجات الدنيا من الاتحاد أو (المجتمع القروي). أما (الأوتسوم) فهو بمثابة المؤسسة العسكرية لهذا الاتحاد.

وتشير المعلومات التاريخية ومصادر القرن الثامن عشر إلى أن طبقة (المجتمعات الحرة) كانت ترسل أبناءها إلى (الأوتسوم)، لتتم فيه تربيتهم، وتقوم جميع النسوة بإرضاع الطفل الذي سيرسل إلى الأوتسوم، ليصبح هو بهذا ابناً للجميع ويكون أعضاء قيادة الأوتسوم من سكان القرى الكايتاغية التالية (كالاقريش وأوركاراخ، وقرية باشلي)، حيث تعتبر هذه القرى مركزاً لأعضاء الأوتسوم، ومن أشهر قادة الأوتسوم (أحمد خان) الذي حكم حتى عام ١٥٧٨م، وفي عهده ثبتت حقوق الملكية الخاصة، التي انتشرت فيما بعد لتشمل جميع أنحاء داغستان، وفي عهده كذلك تم تنظيم مؤسسات السلطة وتقوية عملها، فأسست (المجالس) وعقدت (الاجتماعات العامة)، التي كانت تقوم بمهمات اجتماعية واقتصادية وسياسية، وتنظم حياة الشعوب أعضاء الاتحاد الكايتاغي الأوتسومي.

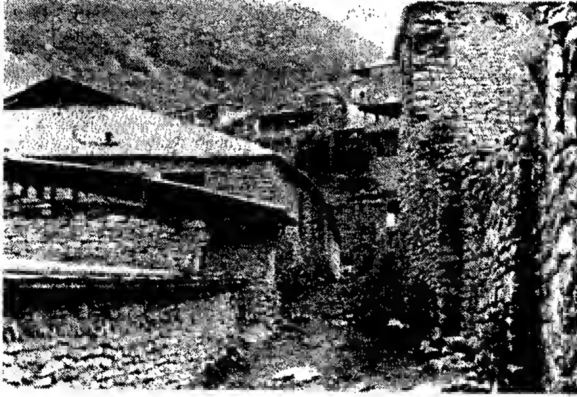
وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ترأس هذا الاتحاد رستم خان الذي وضع أقدم أنظمة قانونية وقضائية عرفتها منطقة القفقاس.

وعلى الرغم من الدور الكبير الذي لعبه اتحاد (الكايتاغي الأوتسومي في حياة الكايتاغي وغيرهم من أعضاء الاتحاد، إلا أن دوره هذا قد شهد تراجعاً واضحاً في القرن التاسع عشر نتيجة للحروب الداخلية بين أقوام وشعوب القفقاس وكذلك بين مختلف تجمعاته السياسية (الاتحادات).

ومنذ أن أعلن عن ضم داغستان وكل شعوبها إلى الإمبراطورية الروسية عام ١٨١٣م، أصبح الكايتاغي جزءاً من داغستان، وبقوا هكذا حتى وقتنا الحالي.

وحسبما ورد في معلومات مجلس الإحصاء التابع لجمهورية داغستان السوفييتية عام ١٩٣٨م، بلغ عدد الكايتاغي ١٧٧٠٠ نسمة.

الكاراتينيون



قرية كاراتا

هم من الشعوب الأصلية التي استقرت منذ عهود قديمة في المناطق الغربية من داغستان. وينتمون إلى مجموعة الشعوب الآندو - تسيزية. يبلغ عددهم في روسيا الاتحادية ٦,٤ ألف نسمة. يتحدثون باللغة الكاراتينية، وتنتشر بينهم اللغات الآفارية والكوميكية. تُكتب لغتهم باعتماد أحرف الأبجدية الروسية، (منذ نهاية القرن السابع عشر - مطلع القرن الثامن عشر وحتى الثلاثينيات من القرن العشرين كُتبت اللغة الكاراتينية باعتماد الأحرف العربية). الكاراتينيون مسلمون من أهل السُنَّة.

يحدهم من الشمال والشمال الغربي شعبا الآفاريين والبوتليخيين، ومن الغرب الخفارشينيون، والأخفاختسي من الجنوب، والآفاريون من الغرب. القرى الكاراتينية هي (كاراتا، أنتشيخ، آرتشو، تسومالي، ماشتادا، نيخلو العليا، راتسيتال، ريتشابولدا، نيخلو السفلى) وتقع معظم هذا القرى على السفوح والمرتفعات الجبلية وصولاً إلى ارتفاع ١٧٠٠م، في منطقة حوض الفرع الأيمن لنهر أنديسكاكويسو، في منطقتي أخفاختسك، وبوتليخ في داغستان.

يعيش الكاراتينيون في موطنهم الحالي منذ بداية الألف الأولى قبل الميلاد، ومنذ القرون الميلادية الأولى كانوا جزءاً من الاتحاد الديدويسكي (الديدوري) الكونفدرالي لشعوب منطقة غربي داغستان. خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ميلادي، وتحت تأثير ضغط وتقدم الخونزاخيون والغيداتليون، الذين اتجهوا إلى المنطقة تحت شعار نشر الإسلام، سقطت التجمعات القروية الصغيرة التي كانت سابقاً ضمن اتحاد الديدو (الاتحاد الديدوري). ومنذ ذلك الحين أصبح اتحاد تجمع قرى الكاراتين مجموعة قومية مستقلة لها موقعها الجغرافي وبنيتها السياسية والاجتماعية والقومية المستقلة. وجاء ذكر الكاراتين في المراجع والمصادر التاريخية المحلية (الداغستانية) باعتبارهم اتحاد مجتمعات قروية. وقد أبدى الكاراتين في القرن السابع عشر مقاومة كبيرة لمحاولات نشر الإسلام في مناطقهم. وفي بداية القرن السابع عشر تمكن الكاراتين ومعهم التيندال والأورتشيشي، من صد هجمات قوات الكازيكوموخيين والغيداتليين. وكانوا تحت خطر دائم بأن يستعمرهم أو يسيطر عليهم زعماء (خان) الخونزاخيين. في القرن السابع عشر وقع الكاراتين والتيندال معاهدة للنضال المشترك من أجل الاستقلال. وبموجب معاهدة هولستان عام ١٨١٣م التي انتهت بموجبها الحرب الإيرانية الروسية (١٨٠٤-١٨١٣)، تم ضم أراضي داغستان إلى روسيا.

ساهم الكاراتينيون بثورة شعوب داغستان والشيشان التي قادها الإمام شامل. منذ الثلاثينيات وحتى الأربعينيات من القرن التاسع عشر كان اتحاد القرى الكاراتينية من أهم مراكز حركة الإمام شامل وأكثر معاقله قوة، حيث تم تعيين الكثيرين من أبناء هذه القرى ضمن القادة العسكريين لهذه الحركة. ويقع قبر واحد من أبناء الإمام شامل في أراضي الكاراتين حالياً. كما أن الكاراتين انضموا إلى الدولة الحربية - التيوقراطية (الإمامات)، وحصلوا على صفة (النائبية الكاراتينية). بعد انتهاء المواجهة والحرب بين الجيش الروسي وشعوب داغستان والشيشان، وقيام روسيا بإجراء الإصلاحات الإدارية في الستينيات من القرن التاسع عشر تم ضم النائبية الكاراتينية إلى المديرية الآنديسكية. انضمت في عام ١٩٢١م إلى جمهورية داغستان السوفييتية، جمهورية داغستان منذ عام ١٩٩١م. وهي ما زالت حتى يومنا الحالي تُعرف باسم جمهورية داغستان عضو الاتحاد الروسي، ومعها بالطبع الكاراتين.

الحياة الاقتصادية: من أهم الأعمال التقليدية لدى الكاراتين تربية المواشي والرعي، حيث كانوا كثيراً ما يبقون جزءاً من القطعان في المراعي الشتوية إما في أذربيجان، أو في المناطق السهلية المشرفة على بحر قزوين. واهتموا بشكل رئيسي بتربية الأغنام من السلالات الآفارية والأنديسكية. إضافة إلى الماعز والخيول من السلالات الداغستانية.

أما الزراعة، فكانوا يزرعون قطع أرض ليست كبيرة جداً بالحبوب تحديداً، ومنذ القرن التاسع عشر دخلت إليهم بعض المحاصيل الجديدة مثل الذرة والبطاطا. فيما يتعلق بأدوات الأعمال الزراعية القديمة، فهي لا تختلف عن تلك التي استخدمتها معظم شعوب غرب داغستان. للحراثة بواسطة المحراث القديم الذي يجره حصان أو غيره من الحيوانات القوية، وتكون مثبتة إلى قطعتين من الخشب، يتم ربطهما إلى وسط الحصان أو الثور.

من الأعمال اليدوية والمهن المنتشرة تقليدياً بينهم نذكر: صناعة الصوف، أعمال الحدادة والنجارة، والبناء باستخدام الأحجار. كما كانوا ماهرين بتصنيع الأقمشة والأجواخ، حيث كانت الأجواخ الكاراتينية ذات شهرة واسعة في القفقاس وروسيا. وإذا كانت هذه الأعمال في بدايتها يدوية ومحدودة فقد توسعت مع مرور الوقت وبرزت فيها عناصر الاقتصاد الحديث؛ حيث تم رفع كميات الإنتاج، وبدأت عملية استخدام الأدوات الحديثة وتوسيع رقعة الأماكن (المعامل - الورشات) التي تقوم بصناعة الأقمشة الكاراتينية.

التطور الاقتصادي لم يقتصر على هذا المجال حيث توسعت معظم الأعمال لدى الكاراتين. وأدى التطور الاقتصادي إلى ظهور طبقة المثقفين والنخبة الفكرية لدى الكاراتين.

الحياة الاجتماعية: كان النظام الأبوي في المجتمع الكاراتيني هو المسيطر حتى العشرينيات من القرن العشرين.وبرز هذا من خلال الحفاظ على الكثير من المجموعات الأسرية التي تعيش وفق هذا النظام، حيث تجد لأبناء الأسرة الواحدة أو مجموعة الأسر التي تنتمي إلى الأصل نفسه، يعيشون في تجمع بشري تحكمه قوانين النظام الأبوي، ويُسمى هذا التجمع (التخوم).

حتى عام ١٩٣٠م كانت الأسرة متوسطة الحجم والصغيرة هي الطابع الغالب على الأسرة عند الكاراتيني. ونظراً لطبيعة حياتهم الإنتاجية وما فيها من أعمال تتطلب تعاون الكل فيما بينهم، تم الحفاظ حتى وقت متأخر على وحدة الأسرة، حيث لا يخرج الأبناء بعد الزواج من منازل الأهل بل يتوسعون في بناء إضافي يُشيد لهم. وكذلك الأمر بالنسبة للأراضي وغيرها من منشآت تتعلق بحياتهم العملية الإنتاجية، حيث يعمل هؤلاء في نظام يمكن وصفه بالمتكامل نوعاً ما. غالباً ما كانت هذه المجموعات الأسرية تضم الأبناء وأبناء الأبناء وأبناء الأخوة وأبناء الأعمام والعمات والخالات التابعين لأب واحد (جد الأسرة أو مؤسسها).

يجري الزواج لدى الكاراتينيين بطريقة الخطبة، ونادراً ما يجري الأمر بطرق غير ذلك.

حتى بداية القرن العشرين كان النظام الأبوي هو المسيطر في الحياة الإنتاجية. فالبيئة الإجتماعية التقليدية عندهم كانت تقوم على اتحاد المجتمعات القروية أو ما يُسمى بالجماعات[1]، التي كانت تشكل النواة الرئيسية (للمجتمعات الحرة) التي تضم الرعاة والفلاحين والمحاربين الكاراتينيين.المهمة الرئيسية التي كان يحملها هذا المجتمع الحر على عاتقه هي التعاون والتشاور لتنظيم المواجهة لصد أي عدوان أو اعتداء خارجي محتمل. في هذه الحالة يتم استدعاء المتطوعين من مختلف أعضاء الاتحاد، ويتزعمهم بعد تنظيم الصفوف زعيم الاتحاد نفسه (زعيم المجتمع الحر). وفي أوقات السلم تُحل القضايا الخلافية بين مختلف أعضاء الاتحاد (جماعات الاتحاد) باجتماع قادة هذه الجماعات الذي يُعرف باسم اجتماع الشيوخ. تحكم كل مجموعة (جماعة) من هذه المجموعات ما يمكن تسميته بمجلس الرجال الذي يُسمى أيضاً مجلس الجماعات أو مجلس الجماعة، وكان هؤلاء يقومون بمهمات القضاء أيضاً. أما القوانين التي يحكمون بموجبها فهي قوانين العادات (يمكن وصفها بالقوانين المدنية) أما الخلافات الأسرية فكانت تُحل بموجب

١- مأخوذة عن كلمة جماعات العربية، التي اصبحت كلمة كثيراً ما نسمعها لدى مختلف شعوب القفقاس وغالباً ما يستخدمونها في وصف مجموعات المقاتلين من أجل قضية ما قومية او دينية، كما درج استخدامها في القفقاس منذ القرن السادس عشر كمصطلح اجتماعي يشير الى وجود اتحاد إما قروي بين مجموعات الأسر في القرية الواحدة، او بين مجموعات القرى. -المترجم

قوانين الشريعة الإسلامية. إضافة إلى زعماء التجمعات الأسرية الكبيرة والملاكين والقادة العسكريين، يضم مجلس الجماعات، ومجلس الشيوخ أيضاً شخصيات دينية مثل المولى، أو ما نسميه عادة الإمام. وفي هذه الاتحادات يشكل مجلس الشيوخ الذي يضم قادة الجماعات السلطة القضائية والإدارية العليا للجميع.

القرية والمسكن: الشكل التقليدي للقرية الكاراتينية هي القرى التي تقام على السفوح الجبلية وتأتي المنازل بشكل درجات تمتد على السفح من الأعلى إلى الأسفل، بحيث يكون المدخل إلى القرى من أحد جوانبها عبر طريق ترابية. وكانت تشيد القلاع والبروج الدفاعية في المناطق الحساسة من القرى حيث تلعب هذه الأبراج دور المراقبة وحماية القرية من أي أمر غير متوقع.

الأسلوب التقليدي السائد عندهم في بناء المنازل هو المنزل رباعي الشكل الذي يشيد من الحجر وغالباً ما يكون من طبقتين. بحيث تكون الطبقة الأولى مخصصة لأعمالهم الإنتاجية التقليدية، فقد تكون زريبة للحيوانات، أو مكاناً للحفاظ على المواد الزراعية وغير ذلك من مهمات يتطلبها أسلوب حياتهم الإنتاجية. وفي بعض الحالات يتم تشييد هذه البُنى الإنتاجية مستقلة عن المكان المخصص للسكن، وفي بعض الحالات تكون هذه الأبنية ضمن الجدار الذي يحيط بالمنزل بحيث يتم تشييد بنائين مستقلين، واحد للسكن والثاني للأعمال.

الأزياء: الألبسة التقليدية الكاراتينية لا تختلف عن ألبسة شعوب داغستان بمواصفاتها العامة، حيث يتألف زي الرجل من قميص وسروال من دون جيوب، وفوقهما ما يشبه المعطف القصير، إضافة إلى قبعة على الرأس تُسمى (الشركسية) وأخيراً المعطف الذي غالباً ما يكون من الفرو الطبيعي. أما النسوة فيرتدين مختلف أنواع الأثواب التي تُسمى عندهم قميصاً، ويتوسط هذه الأثواب حزام على الخصر، يكون مكانه واضحاً بأسلوب حياكة الثوب، إضافة إلى بعض أنواع المعاطف المصنوعة من الفرو الطبيعي، وعلى رؤوسهن قبعات إضافة إلى شالات من أجمل أنواع الأقمشة المزركشة.

و تضع النسوة عادة مختلف أنواع الحلي الفضية منها الحلق والأساور وحتى تلك الحلي التي تغطي الصدر وتكون من المعادن الثمينة ومرصعة بالأحجار الكريمة المختلفة.

الأعياد: الأعياد الكاراتينية الأكثر أهمية هي الأعياد الإسلامية مثل عيد الأضحى وعيد المولد النبوي، حيث يتم إعداد مختلف الوجبات الشعبية في هذه المناسبات، ويقوم الناس بتبادل الزيارات والهدايا أيضاً. ويقيمون بمناسبة عيد المولد النبوي الموالد التي قد تقيمها أسرة واحدة أو مجموعة من العائلات في القرية. وفي عيد الأضحى يذبحون الأضاحي وغيرها من شعائر العيد المعروفة.

هناك أعياد لا علاقة لها بالدين وإنما هي من جذور حياتهم الإنتاجية الزراعية، مثل عيد استقبال الربيع الذي يبدأ بعده أهم الأعمال الزراعية مثل الحراثة ورش البذار وغيرها. وهناك عيد بدء موسم حلب الأبقار والماشية، وتترافق هذه الأعياد عادة مع مختلف الفعاليات الاجتماعية والحفلات التي تُقدم خلالها الأطعمة الشعبية للجميع.

إن الفلكلور الكاراتيني غني بالحكم والأمثال والمقولات الشعبية وكذلك الحكايا والقصص، وتتناقل الأجيال هذا الموروث الثقافي الشفهي باللغتين الآفارية والكاراتينية. لديهم الكثير من الأساطير التي ترتبط بالظواهر الطبيعية، عناصرها وقوتها.

الكَبارديون - الكباردي



رقصة من الفولكلور القبارديني

يسمون أنفسهم (أديغي) يبلغ عددهم في روسيا الاتحادية ٣٨٦ ألف نسمة، (حسب إحصائيات عام ١٩٨٩)، هم السكان الأصليون لجمهورية كباردين - بالكاري التابعة حتى يومنا الحالي للاتحاد الفيدرالي الروسي، ويبلغ عددهم في جمهوريتهم قرابة ٣٦٤ ألف نسمة. ويعيش بعض الكباردينيين في مدينة كراسنودار، وفي مقاطعة ستافروبل، وفي جمهورية أوسيتيا الشمالية. إجمالي عددهم في كل الجمهوريات السوفييتية سابقاً ٣٩١ ألف نسمة. ينتشرون كذلك خارج حدود الاتحاد السوفييتي، في دول جنوب شرق آسيا، وفي بعض الدول الأوربية، وأمريكا الشمالية. يتحدثون بلغة الكباردين - شركسية، وتكتب لغتهم باعتماد الأبجدية الروسية. الكباردين مسلمون سُنَّة. ويوجد منهم نسبة ضئيلة من المسيحيين ويتركز وجود هؤلاء في مدينة مزدوك.

ويشكل الكباردينيون إلى جانب الأديغيون والشركس، مجموعة الشعوب الآديغية. وأجداد الكباردينيين مثلهم مثل بقية الشعوب الآديغية، هم من السكان القدامى الأصليين الذين استقروا منذ القِدم في المناطق الشمالية والشمالية الغربية من القفقاس. وعُرفوا في الفترة بين القرنين الأول والسادس ميلادي باسم (الزيخيين)، وخلال الفترة بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر ميلادي باسم (الشركس). خلال الألف الميلادية الأولى اضطر جزء من الآديغيين إلى مغادرة مناطق تواجدهم التقليدية تحت ضغط اندفاع قبائل الهون، وتحديداً في الأجزاء المحيطة بنهر كوبان. وخلال القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين أخذ هؤلاء يعودون تدريجياً إلى المناطق التي هجروها، وتمت حينها عملية قيام الكباردي كشعب مستقل له سيادته السياسية الاقتصادية على الأراضي التي استقر فيها منذ مئات السنين.

في عام ١٥٥٧م، تقدم الأمير الكبارديني (تيمريوك) بطلب للقيصر الروسي (إيفان الرابع) بأن يوافق الثاني على ضم الكباردي إلى روسيا. في عام ١٧٧٤م، وبموجب اتفاقية بين روسيا وتركيا، تم ضم أراضي كاباردي إلى الإمبراطورية الروسية. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر ميلادي حاول الأمراء الكباردينيون استعادة استقلال شعبهم تحت لواء الدين، حيث قامت ما تُعرف بـ (الحركة التشريعية).

خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين تعرض الكباردي للاستغلال من قِبل أمراء الشعوب المجاورة. وحافظوا على أسلوب الحكم الجماعي من خلال مختلف أنواع المجالس مثل (المجلس الشعبي، مجلس الرجال الاستشاري السري..) ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت كاباردي تطوراً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية متأثرة بالثقافة الروسية، وبرزت حينها طبقة المثقفين القوميين.

في عام ١٩٢١م تم تأسيس كاباردي ضمن جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية الفيدرالية. وبعد عام واحد تم ضمها إلى بالكاريا، ليشكلا معاً جمهورية كابردين - بالكاري، التي ما زالت حتى يومنا هذا عضواً في الاتحاد الروسي دون أن يتغير اسمها. في عام ١٩٣٦ تحولت الجمهورية لتصبح جمهورية كباردين - بالكاريا السوفييتية ذات الحكم الذاتي. وخلال الأعوام ١٩٤٤-١٩٥٧م، عندما تعرض الكباردين وغيرهم من شعوب القفقاس إلى الترحيل القسري، عُرفت الجمهورية باسم جمهورية كباردينيا

السوفييتية ذات الحكم الذاتي. وعندما عادت معظم الشعوب عام ١٩٥٧م إلى مواطنها الأصلية، تم إعادة تأسيس جمهورية كباردين - بالكاريا السوفييتية ذات الحكم الذاتي.

في كانون الثاني/يناير عام ١٩٩١م أعلن المجلس الأعلى للجمهورية عن وثيقة استقلال كباردين - بالكاريا، وإسقاط صفة (الحكم الذاتي) عنها، وإعلانها جمهورية كبادرين - بالكاريا الاشتراكية السوفييتية، التي سُميت منذ العام ١٩٩٢م باسم جمهورية كباردين - بالكاريا. ويلعب كونغرس الشعوب الكباردينية دوراً مهماً في الحياة السياسية لشعوب كباردين - بالكاريا، وكان هذا الكونغرس قد تأسس عام ١٩٩١م.

الحياة الاقتصادية: من أهم الأعمال التقليدية عند الكبادري، مثلهم مثل شعوب منطقة القفقاس، كانت الأعمال الزراعية وتربية الحيوانات تحتل المرتبة الأولى ضمن جدول أعمالهم التقليدية. لكن الكباردي تميزوا بتربية الخيول (حصلت بعض سلالات الخيل الكباردينية على شهرة عالمية).

أما المهن والأعمال اليدوية، فقد مارس الرجال أعمال الحدادة، وصناعة الأسلحة والحلي. أما النساء فقد مارسن الأعمال التي ترتبط بالألبسة الفلوكلورية، مثل أعمال الغزل والحياكة والتطريز بالخيوط الذهبية وغير ذلك من أعمال في هذا المجال.

القرية والمسكن: كانت طبيعة القرية الكباردينية حتى منتصف القرن التاسع عشر تتناسب بشكل أكبر مع الحياة العملية للقباردي، فكانت قراهم عبارة عن قرى متنقلة حسب المراعي من موسم لآخر. ومن ثم أخذت صيغة أكثر استقراراً وأصبحت القرية عبارة عن مجموعات من المنازل ومقسمة إلى عدة شوارع. أما المنزل فكان يتميز حسب الوضع الاجتماعي للأسرة، فالأمراء مثلاً وحاشيتهم والأغنياء من الفلاحين، كانوا يملكون منازل خاصة أو ما يُشبه القصور الصغيرة المخصصة لاستقبال الضيوف، إضافة إلى المنازل الرئيسية التي كانوا يعيشون فيها. ويكون المنزل التقليدي عادة إما مربعاً أو مستطيل الشكل، يغطي سقفه القش ويقوم على أعمدة خشبية. وظهر البناء باستخدام الحديد والحجارة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي. وظهر أسلوب تقسيم المنزل إلى عدة أقسام، لكل وظيفته إما الاجتماعية أو العملية المهنية، مع مدخل مستقل لكل قسم منها.

الأزياء: الألبسة التقليدية لدى الكباردي تشبه إلى حد كبير ألبسة الأقوام المجاورة من الشركس والأبازين وغيرهم، حيث يتألف الزي التقليدي للرجل من ما يُشبه العباءة التي تغطي جسد الرجل وصولاً إلى منتصف القدم، وتكون مزركشة، يتوسطها حزام على الخصر يُشد عليه الخنجر الذي طالما شكل رمزاً للبطولة والرجولة لدى شعوب القفقاس. ويضع الرجال على رؤوسهم قبعة إما دائرية الشكل أو قد تكون سداسية أحياناً، تُصنع عادة من فرو الحيوانات مثل الخراف. ومن فراء الخرفان يصنعون رداءاً طويلاً يرتدونه فوق ألبستهم في أيام الشتاء.

أما النسوة فيرتدين سروالاً فضفاضاً فوقه قميص طويل، وفوقهما ثوب طويل مزركش يغطي الجسد كله حتى أسفل القدمين، يتوسطه حزام مُذهب. يضعن على رؤوسهن قبعات طويلة تكون هي أيضاً مزركشة وملونة، فوقها إشارب يغطي الرأس والكتفين ومنطقة الصدر.

التراث الشعبي: ثقافة الكباردي غنية وجميلة ومليئة بالحكايا والأساطير التي تجسد البطولات، ومن أشهر الكتاب والأدباء الكباردين الذين تميزوا في القرن التاسع عشر نذكر: نوغوموف، باتشييف، شوغينتسوغوف، وكاسيروف.. أما الفنون المسرحية الشعبية عندهم فهي متطورة وكذلك الأمر بالنسبة لمختلف مجالات الحياة الفنية الإبداعية.

الحياة الاجتماعية: حتى نهاية القرن التاسع عشر كانت الأسرة الكبيرة هي الطابع الغالب على الأسرة الكباردينية، ومن ثم انتشرت الأسر الصغيرة، إلا أن العلاقات داخل الأسرة بقيت محكومة للنظام الأبوي التقليدي، حيث يخضع الصغار للكبار، والنسوة للرجال. وكانت هناك بعض المجموعات الأسرية التي تتعاون فيما بينها وتعيش متكافلة. بالنسبة لعادة الأخذ بالثأر فقد تلاشت من عادات الكباردي منذ القرن التاسع عشر. من أجمل عاداتهم الضيافة واستقبالهم للضيوف.

المطبخ: يعتمد المطبخ الكبارديني على لحوم الخراف التي تُطهى بشتى الوسائل والطرق المعروفة. إضافة إلى لحوم الخراف هناك الكثير من الوجبات عندهم التي تُطهى باستخدام لحوم العجول، والديك الرومي، والدجاج. إضافة إلى اللحوم يشكل الحليب ومشتقاته من ألبان وأجبان جزءاً من المطبخ عند الكباردي.

الكاركالابكي

اسمهم كاركالاباكي، يبلغ عددهم في روسيا الفيدرالية ٦١٥٥ نسمة. يعيشون بشكل رئيسي في المدن ٧٣,٧٪، وهذا ما يميزهم عن الكاركالاباكي المستقرين في آسيا الوسطى، حيث يتمركزون هناك في المناطق القروية، ويبلغ عددهم في آسيا الوسطى ٤٣٢,٥ ألف نسمة، يعيش ٤١١,٩ ألف نسمة منهم في أوزبيكستان، وهم السكان الأصليون لمنطقة «كاركالابكستان» حيث يبلغ عددهم هناك ٣٨٩,١ ألف نسمة، يعيشون كذلك في إقليمي «خيركانسك وخورزم» في أوزبيكستان، وينتشرون أيضاً في جمهوريات تركمنستان وكازاخستان وأفغانستان.

يتحدثون بلغتهم الخاصة، وتكتب لغتهم باعتماد الأبجدية الروسية. الكاركالاباكي مسلمون من أتباع المذهب السني.

جدود الكاركالاباكي هم من قبائل الساكو - ماسغاتي، التي كانت قد استقرت منذ القرن السابع قبل الميلاد في محيط «بحر آرال»، وامتزجت هذه القبائل في الفترة ما بين القرنين السادس والثامن ميلادي مع القبائل التركية. وفي الفترة ما بين القرنين الثامن والعاشر ميلادي أخذت تتشكل البنية الاجتماعية لشعب الكاركالاباكي بين قبائل البيتشين والأغوأوز، حيث بدأت عملية اندماج القبيلة الأولى مع القبائل القديمة (الساكو - ماسغاتي)، كما امتزجت معهما قبائل الكيبتشاكي، التي وصلت المنطقة مهاجرةً من حوض «إرتيش»، وقد تأثرت القبائل المذكورة بلغة قبائل الكيبتشاكي التي أصبحت لغتهم فيما بعد. وتأثر شعب الكاركالاباكي في مرحلة التكوين بشعب الناغاي. ورد ذكر قوم الكاركالابكي في المصادر التاريخية التي تتحدث عن منطقة آسيا الوسطى. ويعود تاريخ أول مصادر ذكرتهم إلى القرن السادس عشر. استقروا منذ القرن السابع عشر ميلادي في محيط

مجرى نهر «سيرداري»، وفي منتصف القرن الثامن عشر هاجر الجزء الرئيسي منهم ليستقروا في منطقة «جانداري» جنوب فرع من فروع الدلتا التي تتكون من نهر «سيرداري». وفي عام ١٨١١م، تم ترحيلهم إلى منطقة أموداري.

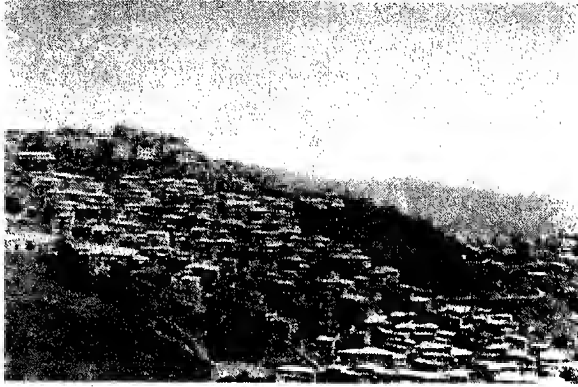
منذ عام ١٨٧٣ م انضمت أراضي شعب الكاركالابكي إلى الدولة الروسية.

الأعمال التقليدية التي مارسها الكاراكالابكي تركزت بشكل أساسي على الزراعة البعلية وتربية المواشي، ونظراً لتوفر المياه حولهم من أنهار وبحيرات، كان صيد السمك أيضاً من الأعمال الرئيسية عندهم. أما في مجال الإنتاج الشعبي فتميزوا في مجالات عدة منها النقش على الخشب والرسم على الجلد، وبعض المنتجات البسيطة التجميلية من حلي وغيرها، كما مارسوا إنتاج الأقمشة والحياكة.

مسكنهم التقليدي القديم هو اليورت، إضافة إلى مختلف أشكال المنازل المصنعة من خليط الطين والقش وكذلك من الإسمنت المسلح في المرحلة الحديثة.

المنزل مربع الشكل كان الأكثر انتشاراً عندهم (٢٠×١٢ أو ٢٠×١٥م) واتصفت منازلهم بأنها تشمل على مكان السكن إضافة إلى الأبنية الضرورية لممارسة الأعمال (الزراعة وتربية المواشي). فتجد المنزل على ساحة واسعة مغلقة. وتختلف طبيعة المنزل وحجمه والمادة التي يبنى منها حسب الوضع المادي والمستوى الاجتماعي للأسرة، حيث انتشرت عادة بناء المنازل الكبيرة من الإسمنت المسلح لدى طبقة الأغنياء. سابقاً كانت هذه المنازل تشيد من الحجر الذي تغطيه طبقة من الطين الخاص. أما في المناطق الريفية فما زالت المنازل المبنية من اللّبن هي السائدة، إضافة إلى خيمة اليورت في فصل الصيف.

الكوباتشينيون



قرية كوباتشي

هم السكان الأصليون لقرية كوباتشي الواقعة في منطقة داخادايف الداغستانية. يُقدر عددهم بـ ١٩٠٠ نسمة (تقديرياً). ينتشرون أيضاً في مختلف مدن القفقاس، وبعض مناطق آسيا الوسطى، حيث يبلغ عددهم في تلك المناطق، تقديرياً، إلى ثلاثة آلاف نسمة. وبموجب إحصائية عام ١٩٢٦م ذُكروا ككيان قومي اجتماعي سياسي مستقل، وكان عددهم حينها ٢٣٧١نسمة. بعد ذلك تم ضمهم إلى الدارغينيين (دارغينتسي - دارغين). ويعتبر بعض الباحثون أن الكوباتشيني جزء من سلالة شعب الدارغين، بينما يرى فيهم آخرون كياناً بشرياً اجتماعياً مستقلاً بذاته.

يتحدثون باللغة الكوباتشينية بلهجة اللغة الدرغينية. واستخدموا حتى العام ١٩٢٨م أسلوب الكتابة الداغستاني العام المعروف باسم (الأدجامي - العجمي) حيث كانت تُكتب لغتهم باعتماد الأحرف العربية. ومنذ العام ١٩٢٨م انتقلوا إلى الأسلوب الدرغيني العام الذي كان يعتمد على الأحرف اللاتينية، ومنذ عام ١٩٣٨م تُكتب لغتهم باستخدام الأحرف الروسية. الكوباتشيني مسلمون سُنَّة.

عُرف الكوباتشينيين في المصادر التاريخية ومؤلفات القرن السادس ميلادي باسم (الزيرخيجرانيين) وبالفارسية (الكولتشوجنيكيين). وخلال القرنين الخامس والعاشر ميلادي عُرفوا باسم الكوباتشينيين وكانوا قد استقروا في وسط دولة (زيريخجيرنا)، واحدة من الدول المبكرة التي قامت على جزء من أراضي داغستان، والتي لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية لشعوب شمال شرقي سلسلة القفقاس. في القرن السادس أصبح الزيرخيجرانيون تابعين للدولة الإيرانية، ومن ثم سيطر عليهم العرب خلال السنوات ٧٣٨-٧٣٩ وفُرض عليهم منذ ذلك الحين دفع الجزية للدولة الإسلامية. وفي القرن الثالث عشر كانوا عرضة لحملات التتار - مغول، حيث احتلت جيوش تيمور قرية كوباتشي عام ١٣٩٦م، التي فُرض على سكانها تقديم الطاعة لقادة التتار - مغول وتقديم الأسلحة لجيوشهم. في نهاية القرن الثالث عشر مطلع الرابع عشر ميلادي اعتنق الكوباتشيني الإسلام.

حاربوا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر من أجل الاستقلال عن دولة الخانات الكيتاغية والخانات الكازيكوماخية. في القرن الثامن عشر تعرض الكوباتشينيين لهجمات جيوش القائد الإيراني نادر شاه. بعد ضم داغستان إلى روسيا بموجب اتفاقية هولستان عام ١٨١٣م، تم ضم قرية كوباتشي إلى مقاطعة كايتاغا - تاباساران. منذ عام ١٩٢١ أصبح الكوباتشيني جزءاً من داغستان عضو جمهورية روسيا الاتحادية السوفييتية. التي سُميت عام ١٩٩١م، جمهورية داغستان.

الزراعة وتربية الحيوانات وأعمال الرعي هي من أهم الأعمال التقليدية التي مارسها الكوباتشيني. وتميزوا مهنياً بأعمال الحدادة والنقش على الحجر لاستخدامها لاحقاً في البناء، وكذلك الأمر بالنسبة للأخشاب وأعمال النجارة. وهي أعمال مارسها الرجال بشكل رئيسي، أما النساء فكن يعملن في مجال الحياكة اليدوية، والخياطة والنسيج (إنتاج الأقمشة وغزلها بالطرق القديمة)، كما عملن في إعداد الجلود والفراء الخاصة وبعض الخلائط الدافئة لصناعة الأحذية منها فيما بعد.

لم يكن في قرية كوباتشي أي منشأة صناعية، وكانت المهن والحرف اليدوية تتناقل عبر الأجيال بالوراثة، حيث يعلمها الأب أو الأم للأبناء وهم بدورهم لأبنائهم وهكذا دواليك. وكانت أعمال الحدادة والمعادن تشمل:

١- تصنيع الأواني النحاسية لمختلف الاحتياجات المنزلية.

٢- أعمال الصك.

٣- سكب الأواني والمشاعل البرونزية.

٤- تصنيع نماذج فنية جميلة من الأسلحة الباردة والنارية.

٥- تصنيع مختلف أشكال الحلي المعدنية للنساء وبعض الأجزاء المعدنية التي تدخل ضمن اللباس الفلكلوري للرجال. وما يحتاجه الإنسان من أجزاء معدنية ليلجم الخيول ويعدها للركوب. وكانت لهذه المواد أسواق كبيرة وصلت بعيداً جداً خارج حدود قرية كوباتشي وخارج حدود داغستان أيضاً. خلال القرنين الثالث عشر والخامس عشر بلغت أعمال سكب الأوعية الفنية البرونزية مستويات عالية من الكمال. وخلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر شهد مجال النقش على الحجارة والأخشاب تطوراً كبيراً وحصل الكوباتشي حينها على شهرة واسعة في هذا المجال من الأعمال. حيث تشاهد لوحات على السفوح الصخرية تحكي قصص الصيادين والمبارزة وصور بعض الحيوانات والطيور. خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شهد مجال صناعة الأسلحة الباردة والنارية تطوراً ملحوظاً، وأخذ المصنعون يستخدمون المعادن النفيسة والثمينة في تجميل الأسلحة النارية مثل الزركشة بالفضة. كما تطورت في هذه المرحلة أعمال صناعة الحلي الذهبية والفضية بشكل عام. وبرز بين الكوباتشيني أشهر المعلمين في مجال صناعة التعدين التجميلي، أي تصنيع الحلي والزينة من الذهب وغيرها من المعادن. وفي نهاية القرن التاسع عشر مطلع القرن العشرين برزت أسماء مصنعين وحرفيين مهرة مثل: محمد غسان أوغلي، أوستا إبراهيم، حجي عبدالله إبراهيم، الذين عُرضت أعمالهم في الكثير من المعارض في روسيا ولندن وباريس وحازت على إعجاب الجميع. في عام ١٩٢٤م أسس الكوباتشينيون مؤسسة صناعية لصناعة الحلي وأعمال الصيغة، وتحول هذا المعمل إلى ورشة فنية كبيرة وأصبحت فيما بعد من أهم المعامل والمؤسسات الإبداعية الفنية في داغستان.

الحياة الاجتماعية: شكلت الجماعات القروية النواة الرئيسية للمجتمع الكوباتشيني، والتي كانت تحكمها قوانين العادات والشريعة الإسلامية. أما

صلاحية السلطات الداخلية والسياسة الخارجية والسلطة التنفيذية والقضاء فكانت بيد مجموعة من قادة الجماعات الذين يشكلون مجلساً لا يزيد عدد أعضائه عن السبعة أعضاء وكانت تخضع لسلطاته المجموعات الحربية التي يقع على عاتقها مسؤولية حماية القرية من الهجمات الخارجية، وحماية الغابات والمراعي والشعير الصالح كعلف للحيوانات والذي يتم تجميعه بعد الحصاد ويبقى لمدة معينة في مكانه قبل أن يتم تخزينه. بعد تعميم الإصلاحات الإدارية في القرن التاسع عشر لم يعد هناك أي دور لهذه المؤسسات إلا أن القرية حافظت على قدراتها الإدارية الذاتية كوحدة اجتماعية مستقلة بذاتها.

المطبخ: بالنسبة للمطبخ الكوياتشيني، فهو لا يختلف كثيراً عن المطبخ لدى مختلف شعوب داغستان، لكنه قد يتميز عنها بعض الشيء بأسلوب إعداد الوجبات، ومكوناتها في بعض الحالات، وقد تختلف التسمية أيضاً. والمواد الرئيسية في المطبخ الكوياتشيني التقليدي هي القمح والحليب ومشتقاته، إضافة إلى اللحوم. من الوجبات المنتشرة عندهم نذكر الخنكال، والتي تُعد من طحين القمح وطحين الذرة، وهناك الشوربة مع الفاصولياء، والأرز، مع بعض المعجنات والفطائر التي غالباً ما تكون حشوتها من اللحوم المتبلة بمختلف الطرق.

القرية والمسكن: كوياتشي هي قرية جبلية كبيرة، أثناء اختيار الموقع لبناء القرية أُخذ بالحسبان عدة عوامل:

١- أرض مناسبة من الناحية الاقتصادية.

٢- قرب مصادر المياه والمراعي.

٣- منطقة تجعل القرية مثل الحصن وتعطيه ميزة دفاعية.

٤- موقعها يجعل منازلها مشمسة.

أما كيفية بناء منازل القرية وبنية القرية بشكل عام فهي أشبه بتيراسات على سفح الجبل (درجات سلم) تتزاحم فيها الأبنية. وشهدت قرية كوياتشي في الستينيات من القرن العشرين تغيرات جذرية في أسس بنيتها، حيث انتشرت أعمال البناء في كل الاتجاهات وشملت كل الأماكن التي يمكن البناء عليها، أي تلك التي يكون فيها سطح الأرض مستوياً.

أما المنزل في القرية الكوباتشينية، فغالباً ما يكون مشيداً من الحجارة، ويتألف عادة من عدة طوابق تصل أحياناً إلى خمس أو ست طبقات. تُستخدم الطبقات السفلى في الأعمال اليومية التقليدية، بحيث يكون المستوى الأول زريبة للحيوانات، والثاني يُستخدم كمستودع للأعلاف، أما الثالث فقد يُستخدم للمؤن المنزلية وهكذا دواليك إلى أن نصل إلى المستوى المخصص كسكن لأصحاب المنزل. ويغطي الكوباتشين أرضية منازلهم بمختلف أنواع السجاد، بينما يزينون الجدران بمختلف أنواع الحلي المعدنية واللوحات الفنية وأنواع من السجاد أحياناً.

في وسط واحد من الجدران تجد الموقد المنزلي، الذي يتخلل مدخنته فوهات خاصة للتحكم به، وعلى جدار آخر تجد رفوفاً مخصصة لعرض الأواني الجميلة وغيرها من الصناعات المحلية، وكذلك أواني جميلة وأعمالاً فنية مستوردة من دول الشرق الأوسط (سوريا، مصر، إيران، العراق) أما على الجدارين المتبقيين فتشاهد الأواني المصنوعة من الفرفو (السيراميك). وقد حافظت الكثير من المنازل في كوباتشيني على هذه الصيغة التقليدية حتى يومنا الحالي.

الأزياء: الألبسة النسائية التقليدية تتألف من ثوب - قميص، ومعطف أو ما يشبه الجاكيت ذي الأكمام القصيرة (لم يعد مستخدماً في الوقت الحالي) وعلى رؤوسهن يضعن قبعة تُلف فوقها قطعة قماش جميلة مثل الشال وتعطي شكلاً مربعاً لغطاء الرأس، أو يضعن شالاً مصنوعاً من قماش شبيه بالأقمشة التي تُصنع منها المناشف، يكون كبيراً بحيث يغطي الرأس والكتفين والصدر. وينتعلن عادة حذاءً طويلاً أبيض اللون من الجلد الطبيعي. أما الزي عند الرجل فهو شبيه بالطابع العام للأزياء في داغستان، يتألف من قميص رقيق، وسروال كلاسيكي القصة من قماش خفيف، يضعون على رؤوسهم قبعات من الفرو وفوق الألبسة يرتدون معاطف من الفرو.

التراث الشعبي: وكما هو الحال مع بقية جوانب الحياة عند الكوباتشينيين، كذلك الأمر بالنسبة لحياتهم ومخزونهم الثقافي الروحاني، فهو لا يختلف كثيراً عن بقية الشعوب الداغستانية، لكنه يتميز عنها نظراً لوجود بعض العادات والتقاليد

والشعائر التي تقتصر على المجتمع الكوياتشيني. ويظهر الفرق بالأغاني والرقصات التي تقدمها الفرق الفلوكلورية.

الأعياد: كونهم مسلمين فهناك الكثير من الأعياد الدينية التي تأخذ طابعاً شعبياً عاماً، لكن هناك بعض الأعياد المرتبطة بديانات كانت سائدة لديهم قبل الإسلام، منها مثلاً شعائر طلب المطر وطلب ظهور الشمس.

الكوميك



الكوميك - أزياء فولكلورية

هم السكان الأصليون لسهل كوميكي وما يجاوره من سهول ممتدة بالقرب من سفوح جبال القفقاس.

يسمون أنفسهم (كوموك)، ويبلغ عددهم ٢٨٢٢٠٠ نسمة، يعيش منهم ٢٧٧٢٠٠ نسمة في داغستان)، أما الكتابة عندهم، فقد اعتمدوا على اللغة (الأدجامسكية) التي يكتبها معظم شعوب داغستان، وقد كتبت اللغة (الأدجامسكية) على قاعدة الأحرف العربية حتى عام ١٩٢٨م، ثم انتقلت إلى الأحرف اللاتينية حتى عام ١٩٣٨م، وبعدها أصبحت الأحرف الروسية هي المعتمدة في كتابة اللغة الأدجامسكية حتى وقتنا الحالي. وفي نهاية القرن التاسع عشر تم إصدار

أو ل كتاب باللغة الكوميكية[1]، وقد كان الكثير من القبائل والشعوب القفقاسية يستخدم هذه اللغة، كما أن اللغة الكوميكية كانت تستخدم في المخاطبات الرسمية بين زعماء القفقاس والقيصر الروسي، وكانت هذه اللغة تعلم في مدارس مدن (كيزلار وفلادي قفقاس، وستافروبل ومزدوك ومدينة تيميرخان شورى، حيث كانت الأسر الآفارية واللاكية والدرغينية، والروسية في كثير من الأحيان، ترسل أبناءها إلى هذه المدن لتعيش مع الأسر الكوميكية وتتعلم لغتها في المدارس التي افتتحت في هذه المدن.

الكوميك مسلمون، من أهل السنة.

تدل المصادر على أن عدداً من القبائل المتجانسة والمتعايشة في فترة ما قبل الميلاد (منذ القرن الثامن وحتى الثالث قبل الميلاد)، قد وضعت الأساس لتشكيل السلالة الكوميكية، ومن هذه القبائل نذكر (الكيميرية) التي استوطنت أراضي الكوميك منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد، وقبائل (السكيف) التي استوطنت هناك منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وفيما بعد دخلت إلى المنطقة القبائل التركية التي ساهمت أيضاً في تشكيل سلالة شعب الكوميك، وقد تركت هذه القبائل أثراً واضحاً على بقية القبائل المذكورة، بنشرها للغة التركية بين القبائل التي انصهرت في سلالة واحدة (الكوميك).

ذكر الكوميك، كشعب، لأول مرة في مؤلفات القرن الأول الميلادي التاريخية التي وضعها المؤرخ الروسي (بلينيا الأكبر)، ومن ثم في مؤلفات القرن الثاني الميلادي التي وضعتها المؤرخة (كلاوديايوتليما).

ولقد تمت عملية تجانس القبائل المذكورة وانصهارها بشكل نهائي في شعب واحد اسمه (الكوميك) في فترة القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي. وكانت أراضي الكوميك مقسمة في ذلك الوقت إلى عدة تجمعات سياسية مستقلة عن بعضها، فكانت هناك (الخانات) التابعة لدولة التتار - مغول، و(الخلافة) التابعة للدولة الإسلامية، بينما كان الجزء المتبقي من الكوميك تابعاً لاتحاد القفقاس

١- الحديث هنا عن لغة الكوميك الأدبية، اي الأدجامسكية -المترجم

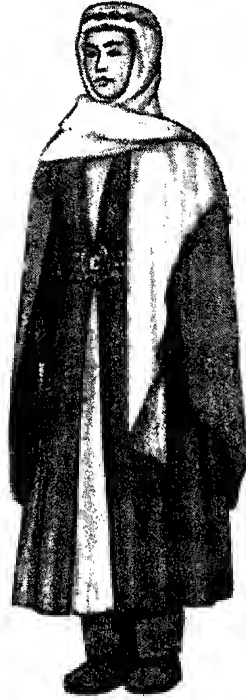
(الكايتاغ - أوتسومي). وفي القرن السادس عشر نشطت العلاقات بين الكوميك وروسيا التي بدأت عام ١٥٨٩م ببناء مدينة (تيرسكو) على ضفاف نهر (تيريك). وفي بداية القرن السابع عشر تم ضم الكوميك إلى الإمبراطورية الروسية، وبعد أن تأسست المقاطعة الداغستانية عام ١٨٦٠م، فقد الولاة والخان سلطاتهم السياسية، وأسس في المناطق التي كانت تحت سيطرتهم عدداً من المديريات التابعة للمقاطعة الداغستانية. وأخيراً أصبحت أراضي الكوميك جزءاً من جمهورية داغستان السوفييتية منذ عام ١٩٢١م.

في ظل حكم الاتحاد السوفييتي تعرضت شعوب القفقاس للإبعاد الجماعي الجبري عام ١٩٤٤م، إلى المناطق السهلية وصحراء آسيا الوسطى، ولقد أدى تهجير بعض سكان الجبال إلى المناطق السهلية التي كان يعيش فيها الكوميك إلى ازدياد الكثافة السكانية هناك، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية وتوتر العلاقات بين ممثلي مختلف الشعوب وأقوام داغستان، ومع مرور الوقت وفي ظل هذه الظروف، أصبح الكوميك أقلية قومية في موطنهم الأم، وقد حاولوا أن يدافعوا عن هويتهم القومية، ففي عام ١٩٨٩م تم تأسيس الحركة الشعبية الكوميكية (تينغليك)، ومن أهم أهداف هذه الحركة إعلان الاستقلال القومي وإحياء الثقافة والتراث الشعبيين، وقيام جمهورية كوميكية ضمن إطار الاتحاد الفيدرالي لشعوب داغستان.

الحياة الاقتصادية: مارس الكوميك أعمال الزراعة في الحقول والسهول، وتربية الحيوانات ورعيها، وكان الكوميك يستأجرون المراعي الصيفية من سكان الجبال بينما يؤجرونهم المراعي الشتوية في المنطقة السهلية، وهذا ما ساعد في بناء سياسة تعامل اقتصادية واضحة بين الجبليين وسكان السهول في داغستان، ومع مرور الزمن أصبحت مصالحهم الاقتصادية واحدة ومشتركة ومترابطة فيما بينهما، مما حافظ على حالة التعايش السلمي بين مختلف الأقوام في داغستان.

إضافة إلى هذه الأعمال، مارس الكوميك صيد السمك وصناعة الملح، لأن أراضيهم تشرف على بحر قزوين، وتتوفر فيها مياه الأنهر والبحيرات إضافة إلى البحر.

الليزغين



زي شعبي

هم السكان الأصليون لمناطق (كورخاسكي، سليمان ساتالسكي، مغارمينسيكي وأختينسكي) وأجزاء من مناطق (روتولسكي وخيفسكي) الواقعة جنوب شرق داغستان. بلغ تعدادهم في الاتحاد السوفييتي ٤٦٦٠٠ نسمة، يعيش منهم ٢٠٤٤٠٠ نسمة في المناطق المذكورة أعلاه من جمهورية داغستان، ويعيش في جمهورية أذربيجان ١٧١٤٠٠نسمة.

يتحدثون باللغة الليزغينية بمختلف اللهجات التي تختلف من منطقة إلى أخرى، كما يستخدمون أحياناً اللغة الأذربيجانية، وهم مسلمون من أتباع المذهب السني، وفي

منطقة (مسكينجا أختينسكي) مسلمون من أتباع المذهب الشيعي. استوطن أجداد الليزغين في داغستان منذ القدم وكانوا جزءاً من جمهورية (ألبانيا القفقاسية) وفي النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد شكلوا اتحاد التجمعات القروية الليزغينية، الذي قام على أرضية التجمعات القروية الكبيرة مثل تجمعات قرى (أختي بارا، كوراخ، ألتي باراكيور ودوكوزبارا)، وبقي هذا الاتحاد قائماً حتى القرن السادس عشر، وقد وقع جزء منه تحت سيطرة الدولة اللاكية[1] (كازيكومخسكوي)، حيث أصبحت قرية (كوراخ) مركزاً لهذه الدولة، وكان هذا في القرن الثامن عشر.

وفي مطلع القرن التاسع عشر، وتحديداً في عام ١٨١٢/ أصبحت هذه القرية مركزاً للخانات[2] (الكيورنسكية).

انضم أول جزء من الليزغين إلى روسيا عام ١٨٠٦م، وهم الليزغين من سكان منطقة كوبان، ومن ثم انضم بقية الليزغين إليها (روسيا) عام ١٨١٢م، ومنذ عام ١٩٢١م أصبح الليزغين جزءاً من جمهورية داغستان السوفييتية.

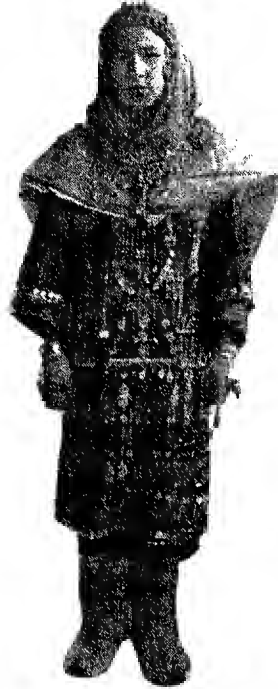
إلا أن الليزغين الكبانيون (من منطقة كوبان) ألحقوا بجمهورية أذربيجان السوفييتية علماً بأنهم كانوا عام ١٨١٢ تابعين للمقاطعة الباكينية[3]، والتي كانت تابعة بدورها للإمبراطورية الروسية.

١- راجع اللاكيون

٢- في هذه المرحلة من تاريخ القفقاس تعرضت شعوبه لهجمات التتار - منغول، فوقع جزء تحت سيطرتهم واستمر الجزء الآخر في مقاومته لهم، وأغلب الظن بأن بعض مناطق الليزغين وقعت تحت سيطرة جيوش التتار - منغول فأقاموا عليها الخانات (الكيورنسكية). -المترجم

٣- نسبة للعاصمة الأذربيجانية باكو، ويصح القول (المقاطعة الباكونية) -المترجم

اللاكي



اللاكي - زي فولكلوري
زي العروس

هم السكان الأصليون للمناطق السهلية، والمناطق الوسطى من مرتفعات وهضاب سلسلة جبال القفقاس في داغستان. يبلغ عددهم ١١٨٠٠٠ نسمة، يعيش منهم ٩١٧٠٠ نسمة في داغستان، وينتشر عدد آخر في الجمهوريات والمدن القفقاسية ليبلغ عددهم هناك بشكل عام (في القفقاس مع داغستان) ١٠٦٢٠٠ نسمة.

يرى المؤرخون بأن تسمية (لاكي) قد أتت من كلمة (ليكوف) أو (ليغوف) وهي اسم لقبائل استوطنت في نفس المناطق التي استقر فيها اللاكي القدماء.

وتذكر المصادر التاريخية العربية أنه قد تأسس في موطن اللاكي عدد من الولايات أو الأشكال الأولية للجمهوريات، وكان من أهمها إمارة (الغوميك والتومان) التي شملت اللاكي، وكان هذا في القرن السابع الميلادي، وفي فترة ما بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلادي، تأسست في هذه المنطقة الخلافة (أو الدولة اللاكية) التي سميت (كازكزمخسكوي)، فكانت من أقوى الدويلات التي عرفتها داغستان في ذلك الحين، وشملت هذه الخلافة في حدودها جزءاً من أراضي وقرى الآفارين والليزغين. وعندما تسلم الخان اللاكي (تشولاك سوفاري) زمام أمور السلطة فيها، تحولت هذه الخلافة إلى (خانات).

وفي عام ١٨٢٠م تم ضم أراضي اللاكي إلى الإمبراطورية الروسية، وعندها انحصرت سلطتهم في حدود المديرية (الكازيكومخسكوية) التابعة للمقاطعة الداغستانية، التي كانت قد ضمت إلى الإمبراطورية الروسية عام ١٨١٣م، وبعد أن أصبحت داغستان جمهورية سوفييتية عام ١٩٢١م، أصبحت أراضي اللاكي منطقة إدارية ضمن هذه الجمهورية، وفي عام ١٩٣٥م تم تقسيمها إلى المنطقة الإدارية اللاكية والمنطقة الإدارية الكولينسكية.

وفي عام ١٩٤٤م فرض على جزء من اللاكي الرحيل إلى الأراضي الشيشانية بعد أن تم ترحيل الشيشان إلى مناطق آسيا الوسطى.

الحياة الاقتصادية: العملان الرئيسيان اللذان مارسهما اللاكي هما زراعة الأراضي وتربية الحيوانات، ويربي اللاكي الأغنام والبقر والثيران والبغال والخيول الأصيلة واهتموا بشكل رئيسي في تربية الأغنام ذات الصوف الطويل وهي من فصيلة محلية.

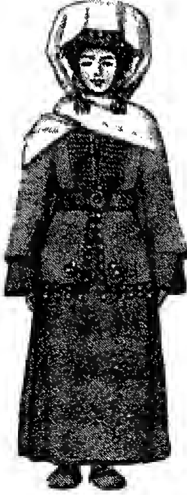
في فصل الشتاء يتم نقل الأغنام وجزء من الحيوانات ذات القرون الكبيرة (الثيران والبقر) إلى المراعي الشتوية في منطقة كاليكي القفقاسية، وجرت العادة أن يشرف الرجال بشكل تام على تربية الأغنام، في الوقت الذي تهتم فيه النسوة بتربية البقر والثيران.

وفي الزراعة يقوم الرجال بحرث الأرض ورش البذار وفرز المحصول بعد حصاده، أما النساء فتنظفن الأرض المزروعة من الأعشاب الطفيلية ويساهمن في حصاد

المحصول. إضافة إلى هذه الأعمال التقليدية، مارس اللاكي عدداً آخر من الأعمال التي أخذت طابعاً منزلياً، مثل صناعة الأجواخ والأقمشة والحصر والسجاد المصنوعة من الجلد، كذلك صناعة الأواني والكثير من الحلي المصنوعة من المعادن، ومارس اللاكي أعمال النجارة والنحت الفني على الخشب، كذلك صناعة الأواني الفخارية (أباريق - كؤوس).

في بقية مجالات الحياة عند اللاكي (القرية المنزل، الحياة الاجتماعية الزي التقليدي) راجع أي شعب من شعوب القفقاس.

الناغاي (الناغايتسي)



الناغاي
زي فولكلوري

يسمون أنفسهم (الناغاي) ويبلغ عددهم بشكل عام خمسة وسبعين ألفاً وستمئة نسمة (٧٥٦٠٠)، يعيش منهم ثلاثة وسبعون ألفاً وسبعمئة نسمة في جمهورية روسيا الفيدرالية، ويتوزعون فيها على النحو الآتي: ٢٨٣٠٠ نسمة في داغستان، و٦٩٠٠ نسمة في الشيشان ومقاطعة ستافروبل، كما يعيش جزء منهم في جمهورية (كاراتشايف - تشيركيس)، وفي مدنية آسترخان، وينتشر الباقون في تركيا ورومانيا وعدد من الدول الأخرى.

لغتهم الناغايتسية، وقد كتبت على قاعدة الأحرف العربية[1] حتى عام ١٩٢٨م حيث استعاضوا عنها بالأحرف اللاتينية، وفي عام ١٩٣٨م انتقلوا إلى الكتابة على قاعدة الأحرف الروسية. الناغاي مسلمون سنيون.

يعود أصل السلالة الناغايية إلى القبائل المتنقلة الناطقة باللغتين التركية والمنغولية والتي عاشت في مناطق شمال غربي منغوليا، وآسيا الوسطى وشمال القفقاس.

وقد ساهم في تشكيل سلالة الناغاي عدد من القبائل التي تجانست مع بعضها، ونذكر منها: أويوني، كانغالي، الأسي، أويغوري، نايمان، كبريت، كيبتشاكي، دورميني، كاتاغاني، كونغراتي، كينغتسي، والبلكار.

١- من الواضح أن الناغاي بدؤوا باستخدام الأحرف العربية بعد أن وصل الإسلام إليهم بواسطة الفتوحات العربية في القرنين السابع والثامن ميلادي. -المترجم

ويرتبط بروز المصطلح، أو التسمية السلالية (ناغاي) ارتباطاً مباشراً بالدولة التتار - منغولية، التي كانت مسيطرة على مناطق الناغاي في القرن الرابع عشر، حيث كان اسم ممثل التتار - منغول هناك (الخان ناغاي)، برز اسم هذه السلالة بشكل واضح في ظل حكم خان أديغيبا (نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر) وخلفائه، حيث تم في ذلك الوقت تأسيس الدولة الناغايية، التي أقامت منذ نهاية القرن الخامس عشر علاقات دبلوماسية مع الإمبراطورية الروسية.

ويعود تاريخ أول مرجع تحدث عن تواجد الناغاي في سهول شمالي القفقاس وفي المناطق المجاورة لنهر (تيريك) ونهر (سولاك)، إلى القرن الخامس عشر الميلادي. وفي بداية القرن السادس عشر سقطت الدولة الناغايية وانقسمت إلى دولتين، ناغاي الصغرى وناغاي الكبرى، فاستقرت قبائل الناغاي الصغرى في الأجزاء الشرقية من منطقة شمالي القفقاس، بينما استقرت قبائل الناغاي الكبرى في الهضاب المجاورة لنهري (تيريك وسولاك)، وعلى ضفافهما.

وفي نهاية القرن السابع عشر هاجر عدد كبير من مناطق دولة الناغاي الكبرى، واتجهوا نحو سهول مزدول، واضعين بهذا الأساس لتواجد الناغاي في شمالي شرقي القفقاس ولقد عرفت هذه المجموعة فيما بعد باسم (الكارانغاي).

وفي بداية القرن الثامن عشر، وبعد أن شيد (الحصن المقدس) على ضفة نهر (سولاك) بأمر من الإمبراطور الروسي (بيوتر الأول) عام ١٧٢٢م، اضطر الناغاي للرحيل باتجاه نهر الفولغا، إلا أنهم سرعان ما عادوا إلى موطنهم بعد مرور أقل من عام. وفي عام ١٧٨٣م أُستخدمت جيوش الإمبراطورية الروسية ضد الناغاي الذين رفضوا النزوح عن موطنهم والرحيل باتجاه منطقة (الأورال)، حينها قضى الجيش الروسي على جزء من الناغاي، واضطر الجزء الباقي للهرب نحو شبه جزيرة القرم وتركيا، والمناطق المعروفة باسم مقاطعة ستافروبل جنوبي روسيا. إثر معاهدة السلم المبرمة بين روسيا وإيران عام ١٨١٣م، أصبحت داغستان وكل أقوامها وشعوبها خاضعة لسيطرة الإمبراطورية الروسية، التي أسست على أراضي الناغاي في نهاية القرن الثامن عشر، أربعة مراكز أو ممثليات إدارية. وفي عام ١٨٢٠م أصبحت هذه المراكز جزءاً من

مقاطعة ستافروبل، وأصبح تواجد الممثليات الإدارية ودورها شكليين، في حين تابعت الجيوش الروسية ضغطها على الناغاي ووسعت من سلطاتها عليهم.

قبل هجرة الناغاي الثانية إلى تركيا وإبان احتدام الصراع ما بين أقوام وشعوب القفقاس وجيوش روسيا القيصرية عام ١٨٥٠م، وصل عدد الناغاي في مقاطعة ستافروبل إلى أكثر من ستة وسبعين ألف نسمة، ويدخل في هذا العدد نسب مختلفة من القبائل المشكلة لسلالة الناغاي (كما سبق وذكر).

وبعد نهاية الحرب القفقاسية (١٨١٧-١٨٦٤) هاجر ما يقارب أربعين ألف ناغايي من الأراضي الواقعة على ضفاف نهري (زيلنتشوك، الكبير والصغير) وضفاف نهر (لابا) واتجهوا إلى تركيا، وبقي الناغاي إثر هذه الهجرة من المركز الإداري الأتشيكولاكي والكارانغايي.

ومنذ عام ١٨٨٨م ولغاية عام ١٩٢٢م كانت أراضي الناغاي جزءاً من المقاطعة (التيوركية) أو (التركية)، وفي عام ١٩٢١م تأسست جمهورية داغستان السوفييتية وتم ضم آخر المراكز الإدارية الناغايية إليها عام ١٩٢٣م، لتصبح معظم أراضيهم تابعة لجمهورية داغستان، كما هو عليه الحال في وقتنا الحاضر.

وعلى إثر إلغاء جمهورية الشيشان - أنغوشية عام ١٩٤٤م، وبعد تقسيم أراضيها على جمهوريات جورجيا وأسيتيا وداغستان، أصبحت أراضي الناغاي جزءاً من مقاطعة غروزني.

وبعد ثلاثة عشر عاماً أعيد تأسيس جمهورية الشيشان - إنغوشية وبقي جزءاً من أراضي الناغاي تابعاً لها، أما بقية الأجزاء فقد توزعت على مقاطعة ستافروبل وجمهورية داغستان، بهذا الشكل انقسمت أراضي الناغاي إلى ثلاثة أجزاء، وتوزع شعب الناغاي على ثلاث جمهوريات، إذ أصبح كل جزء تابعاً لمركز إداري وسياسي مستقل عن الآخر.

الحياة الاقتصادية: تعدّ تربية الحيوانات والتنقل بها بحثاً عن المراعي الخصبة، من أهم الأعمال التقليدية لدى الناغاي، حيث كانوا يربون الأغنام والماعز، والبقر والثيران، والجمال والخيول. وكانت تربية الحيوانات ثروة حقيقية بالنسبة للناغاي.

إضافة إلى ذلك مارس جزء منهم الأعمال الزراعية، واهتم المزارعون والفلاحون بتربية الطيور الداجنة، وقد مارس الناغاي أيضاً الصيد البري والنهري والبحري والصيد واحداً من أعمالهم التقليدية.

أما المهن اليدوية والحرف التقليدية، فقد عرف الناغاي بتصنيعهم للأجواخ وتحضير الجلود، حيث كانوا يصنعون منها اللباس الدافئ والأزياء الفولوكلورية الناغايية. نظراً لوقوع بعض أراضي الناغاي في المناطق السهلية التي تعدّ جزءاً مهماً من الطريق التجارية القفقاسية (وهي جزء من طريق الحرير)، فقد لعب الناغاي دوراً مهماً في الحياة التجارية لشعوب القفقاس. وقد جعلهم موقعهم التجاري المهم يهتمون بتربية الحيوانات القادرة على حمل البضائع ونقلها (الخيل - الجمال - البغال - الحمير)، ومع الوقت نشأت تجمعات اقتصادية تجارية متعددة المهمات، إذ امتلكت الوسائل الاقتصادية والتجارية الحديثة، والتقنية العصرية، ولا سيما بعد أن اكتشف النفط والغاز في أراضي الناغاي، وبدؤوا العمل في استخراجه، حتى أن مدناً بأكملها قامت على أرضية هذه الأعمال، مثل مدينة (سوخومسك) الجنوبية.

القرية والمسكن: تميزت قرى الناغاي في نهاية القرن التاسع عشر بأنها كانت عبارة عن قرى متنقلة، وكانت عملية التنقل تتم بما يتناسب مع طبيعة الحياة الاقتصادية والإنتاجية للرعاة، وهناك مرحلتا تنقل عند الناغاي، المرحلة الربيعية الصيفية، والمرحلة الصيفية الخريفية، ومع مرور الوقت أصبحت الأراضي التي يقضون فيها فصل الشتاء والمنازل التي بنوها هناك أساساً لقيام أماكن الاستقرار والقرى الدائمة. ويتجه الناغاي مع قطعانهم، في الشهر الأول من الربيع، إلى المناطق الشمالية الشرقية والشمالية الغربية بحثاً عن المراعي، ويعدّ البدء بهذا العمل عيداً يحضر الناغاي من أجله الوجبات الشهية الخاصة بالأعياد، ويقيمون الاحتفالات فيتبارزون ويتسابق الخيالة، وكل هذا يترافق مع الموسيقا والأغاني القومية.

نتيجة لحياة الترحال بحثاً عن المراعي الموسمية، نشأت قرى جديدة في مناطق هذه المراعي على ضفاف الأنهر أو بالقرب من الينابيع وآبار المياه، وإذا ما ضعفت المراعي فسرعان ما كان الناغاي ينتقلون إلى مناطق أخرى أكثر وفرة بالمياه وأكثر خصوبة. وتبني الأسر التي تجمعها صلة القربى أو صلة الدم دورها وتجمعاتها السكنية بجوار

بعضها، ففي أيام الشتاء تجتمع هذه الأسرة في المحطات الشتوية (القرى في المناطق المخصصة لقضاء فصل الشتاء)، وبالقرب من هذه القرى تتوافر السهول الخصبة التي يزرعها الناغاي بمختلف المواد مثل القمح والشعير والذرة وغيرها من المزروعات.

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأ تحول الناغاي من حياة الترحال إلى حياة الاستقرار والتمدن، حيث بدأ التطور في مناطقهم الواقعة على شواطئ البحر الأسود وضفاف نهر كوبان، وقد بدأ هذه التحول في المناطق الواقعة تحت سيطرة الأتراك السلاجقة منذ منتصف القرن التاسع عشر، وأخيراً تمدن الناغاي واستقروا بشكل نهائي في فترة الإصلاحات الزراعية في الاتحاد السوفييتي في النصف الأول من القرن العشرين (١٩٢٧-١٩٣٤م).

قبل هذا كان منزل الناغاي التقليدي يتلاءم مع طبيعة حياتهم كرعاة رحل، إذ يسهل حمله ونقله في أي وقت وكان اسمه (يورت).[1]

الأزياء: يرتدي الرجل قميصاً وسروالاً عريضاً، وفوق القميص أو المعطف الخفيف يرتدي معطفاً طويلاً من الفرو من دون أكمام، وغالباً ما يكون غامق اللون، وينتعل الرجال أحذية جلدية، أما على الرأس فيضعون قبعات من الفرو أو الصوف، ولها اسم متعارف عليه (الشركسية)، وتزين ألبسة الرجال بالسلاح والأوسمة.

أما زي النساء فهو عبارة عن ثوب فوقه قميص ومعطف طويل من الفرو، وعلى الرأس يضعن قبعة من الفرو يعلوها منديل يربط حول العنق، ويتوسط الخصر حزام جلدي، ويزين لباس المرأة بالتطريزات الجميلة، أما أحذيتهن فهي من جلود الحيوانات وأحياناً من الجلود مع الفرو.

ولقد أصبحت الأزياء القومية نادرة الاستخدام في أيامنا هذه، إذ يرتديها كبار السن فقط، وجيل الشباب في الأعياد والمناسبات القومية.

الحياة الاجتماعية: تتشكل قيادة المجتمع عند الناغاي من مختلف الشخصيات الدينية والاجتماعية، وتحدد لهذه الشخصيات مكانتها في قيادة المجتمع بما يتناسب

١- اغلب الظن ان منزل الناغاي يشبه المنزل الذي ما زالت تستخدمه بعض اقوام كازاخستان واسمه يورت، حيث يكون عبارة عن اعمدة خشبية يشد فوقها قماش سميك عازل للبرودة والماء والحر، ويكون شكله مستديراً، ويتوسطه قبة مرتفعة على العمود المركزي -المترجم.

مع انتمائها الطبقي (فلاحين، أحرار، ملاك، حماة). وكانت ظاهرة العبودية منتشرة في الدولة الناغايية (في ظل حكم التتار منغول منذ القرن الثالث عشر). وهناك ظواهر اجتماعية أخرى من العادات والتقاليد التي تحكم حياة الناغاي، مثل الأخذ بالثأر وإكرام الضيف.. إلخ..

أما الأسرة الناغايية فقد كانت نوعين حتى القرن التاسع عشر، أسر كبيرة وأسر صغيرة، وفي كل منها يسود النظام الأبوي (الأب رب الأسرة وسيدها، احترام الكبير للصغير والنساء للرجال، الأم ربة المنزل وسيدة نسائه)، وكانت هذه القوانين وكل ما يترتب عليها من أساليب التعامل بين أفراد الأسرة، تطبق بشكل صارم في العائلات الصغيرة، كما تلعب قوانين العادات (القوانين التقليدية الاجتماعية) وقوانين الشرع (الشريعة الإسلامية) دوراً في تنظيم العلاقات في المجتمع بشكل عام والأسرة بشكل خاص، وهذا ما ساعد في الحفاظ على الأنظمة والقوانين الأسرية حتى وقتنا الحاضر.

المطبخ: تتألف وجباتهم الرئيسية من اللحوم، الحليب ومشتقاته، الطحين، القمح والأسماك.

التراث الشعبي: فولوكلور الناغاي غني بالقصائد والأشعار التي إما أن تكون رثاء للحبيب أو تمجيداً لبطولات والأبطال القوميين، وكذلك الأمر بالنسبة للحكايات والأساطير الشعبية التي تحمل طابعاً تاريخياً قومياً، إضافة إلى هذا كله هناك الأغاني والفكاهات، والأمثال والحكم الشعبية.

ويعرف الناغاي بشغفهم لسباقات الخيل والمبارزات المختلفة التي تعدّ جزءاً أساسياً من الفولوكلور، إذ يقدم الرجال عروضهم هذه في الأعياد والاحتفالات.

شعوب

وسط روسيا وجنوب أوكرانيا

الأتراك المسخيتيون

يسمون أنفسهم حسب اللفظ الروسي (تيورك) ويُعرفون أيضاً باسم (تيورك - جافاختسي، أي الأتراك الجافاختسيون، أو مجرد الأتراك). ينتشرون في مختلف مناطق وجمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقاً، أي الجمهوريات المستقلة حالياً. يبلغ عددهم ٢٠٧,٥ ألف نسمة، يتوزعون على النحو التالي (إحصائية عام ١٩٨٩): ٩.٩ ألف نسمة في روسيا الاتحادية، ١٠٦ألف نسمة في أوزبيكستان، ٤٩.٦ألف نسمة في كازخستان، ٢١,٣ ألف نسمة في جمهورية قرقيزيا، و١٧,٧ألف نسمة في أذربيجان. يتحدثون بلغتهم التيورك - مسخيتينية، وفي عام ١٩٨٩م أعلن ٩١٪ منهم عن تعاملهم مع اللغة التي يتحدثون بها باعتبارها لغتهم القومية الأم. هم مسلمون من السُنَّة.

ساهم في تكوين سلالة التورك المسخيتين مجموعتان رئيسيتان، وهما الشعوب التي تُعتبر المناطق الجنوبية الغربية من جورجيا القفقاسية موطنهم الأصلي، وتُعرف المنطقة باسم (ميسخيت - جافاخيتي) أما هذه الشعوب التي استوطنت هناك منذ القدم فتُعرف باسم قبائل الـ (ميسخوف). ويُعتقد أن قبائل الـ (ميشيك) التي ورد ذكرها في الإنجيل هي نفس القبائل التي نتحدث عنها. وورد ذكرهم في الكتابات المسمارية الآشورية (موسخي، موشكي) وذكرت مصادر تاريخية قديمة أن هذه القبائل قد استوطنت في منطقة (جبل موسخين) أو الهضبة الموسخيتينة من جبال القفقاس. ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر ميلادي دخلت هذه المنطقة تحت سيطرة جورجيا وأصبحت جزءاً منها. حملة التتار - مغول في القرن الثالث عشر، ومن ثم حملة الأمير المغولي تيمور على تلك المناطق، أدى إلى إضعاف دور السلطات المركزية الجورجية على مناطق التيورك - مسخيتين، وحصلت جورجيا حينها على حكم ذاتي وكان أميرها في ذلك الوقت (الأمير سركيس الثاني). جرى هذا كله قبل تقسيم جورجيا عام ١٤٦٩

إلى سبع دويلات مستقلة عن بعضها ولكل واحدة سيادتها المستقلة. نتيجة الحرب بين إيران والدولة العثمانية في القرن السادس عشر توزعت جورجيا بين هاتين الدولتين، ووقعت مناطق التورك المسخيتين تحت سيطرة العثمانيين، وحصلوا على حكم ذاتي وحملوا حينها اسم (الباشليك الأخلاسخي)، في البداية كان الأمراء المسخيتين هم الذين ينفذون صلاحيات السلطة، لكن في القرن الثامن عشر جُرد الورثة من سلطاتهم وأملاكهم. وبموجب اتفاقية عام ١٨٢٩م تم ضم أراضي المسخيتي إلى الدولة الروسية.

على الرغم من أنه تم تدوين تواجد الأتراك - المسخيتي في مناطق أذربيجان الحالية بين القرنين الخامس والسابع ميلادي، فإن ظهورهم بشكل جلي وواسع في مناطق آسيا الوسطى وجمهوريات ما وراء القفقاس برز بوضوح تام في القرن الحادي عشر، نتيجة حملات السلاجقة والمحاربين من أجل نشر الإسلام، والهجرات المتعددة للشعوب والقبائل التركية، وبشكل رئيسي قبائل الأتراك - الأوغوز، من حوض نهر قزوين عبر إيران إلى مناطق القفقاس وآسيا الوسطى.تحولت منطقة الهضبة الموسخيتينة، إلى منطقة حدودية تفصل بين مناطق حكم الأمراء الجورجيين، ومناطق حكم الأتراك، ولعب شعب المسخيتي في هذه المرحلة دور سكان المناطق الحدودية الذين يعملون على حراسة الحدود. واستمرت حياتهم في المواجهات الدائمة مع مختلف الحملات التي كانت تشنها المجموعات من الدول المجاورة. هذه الحملات وتقدم بعض الشعوب نحو عمق مناطق المسخيتي أدى إلى ظهور مجموعات بشرية جديدة مختلطة من مختلف الشعوب الأصلية في المنطقة والشعوب التي أتت إليها عبر الهجرات والغزوات.

الهجرة الواسعة للقبائل التتار - مغولية أثناء الحملة التتار - مغولية على المنطقة وما سبق ذكره من هجرات وتنقلات للشعوب، أدى إلى زيادة عدد الأتراك في المناطق الجنوبية الغربية من جورجيا، أي في الموطن الأصلي للمسخيتي، وهذه هي المجموعة الثانية التي شكلت على مرور الزمن شعب التيورك - مسخيتي. ومع دخولها ضمن نفوذ وسيطرة الدولة العثمانية عام ١٥٥٥م، أصبحت عملية التجانس بين مختلف الشعوب التي استقرت في منطقة الهضبة المسخيتية من العمليات الطبيعية التي ساهمت مع الوقت في نشأة التيورك - مسخيتي. وتجانس القبائل التركية مع القبائل الأصلية للمناطق الجنوبية الغربية من جورجيا لم تقتصر على التجانس اجتماعيا، بل أثرت أيضاً على الحياة الدينية عند

المسخيتي، وعلى لغتهم أيضاً. وكان اعتناق الإسلام من الأمور المحبذة. حصل المماليك (ممثلو الأقوام والقبائل الجديدة نسبياً في مناطق المسخيتي) على إمكانية شغل المناصب الإدارية والحكومية. وأخذت الدولة منهم الكثيرين لملء الفراغ في جيوشها رجال الشرطة (الجندارما). وحافظ الإقطاعيون المحليون على سلطاتهم نتيجة الولاء للسلطات التركية.

في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ميلادي، تم إعلان اللغة التركية لغة رسمية في كل المناطق التابعة للدولة العثمانية لأول مرة. وتحولت اللغة التركية في المناطق التي يعيش فيها مزيج من مختلف الشعوب والقبائل إلى لغة استعملتها الشعوب والقبائل للحديث فيما بينها. بساطة اللغة التركية مقارنة باللغة الجورجية، أو اللغة الأرمنية، كان العنصر الأساسي الذي ساعد المسخيتين على تعلم اللغة التركية بسرعة واعتمادها كلغة رئيسية لاحقاً.حيث أصبحت التركية اللغة الرئيسية للدولة، ومعرفتها أصبحت من الضرورات الحياتية لكثير من الشعوب التي وقعت تحت سيطرة الدولة العثمانية. كانت النتيجة ظهور اسم سلالي جديد لهذه الشعوب والقبائل في منطقة الهضبة الميسخيتينية، حيث عُرفوا باسم (التيورك - ترك) وهي تعني الأتراك، ولا تختلف الكلمات عن بعضهما في اللغة التركية الأم، ودل هذا الاسم على المسلمين الذين يعملون في زراعة الأراضي ويتحدثون باللغة التركية حسب اللهجة المحلية لكل شعب. وتم إضافة عبارة مميزة لاسم السلالات حسب المنطقة الجغرافية لكل منها، فأخذ المسخيتيون اسم (التيورك - مسخيتي) نسبة للمنطقة التي كانوا يعيشون فيها، ونظراً لامتزاج قبائل تركية وبعض قبائل التتار - مغول معهم خلال القرون ونتيجة الحملات والحروب التي تحدثنا عنها سابقاً.

حتى لحظة انضمام ميسخيتي إلى الإمبراطورية العثمانية كان قرابة ٢٠٪ من المسخيتي في المناطق الشرقية من أنطاليا من قبائل الرعاة ونصف الرعاة، الذين كانت علاقاتهم متوترة مع مركز الإمبراطورية ومع السلطات المحلية. ولهذا كانوا مهيئين لأي هجرة أو انتقال جديد نحو الأراضي الجديدة التي تخضع للإمبراطورية في وسط آسيا والشرق الأوسط. في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (في عام ١٨٢٩م بموجب اتفاقية أدريانوبولسكي، بين الإمبراطورية العثمانية وروسيا، تم استعادة بعض الأجزاء من دويلة الباشلاك الأخلاتسي إلى جورجيا) تم ظهور مجموعات من المسلمين تحمل

أسماء سلالية عكست البنية القبلية القديمة لشعوب المنطقة: قبائل التركمان، التركمين، الذين شكلوا في القرن التاسع عشر ٩،٧٪ من السكان في الأجزاء الجورجية من دويلة الترك مسخيتي، بينما شكل الجورجيون نسبة ٧٨،٤٪ من السكان، واعتنقت بعض المجموعات الجورجية الإسلام لاحقاً. حمل المسلمون المسيخيون الكثير من عادات وأسلوب الحياة وغيره من القضايا متأثرين بالدولة التركية (الإمبراطورية العثمانية). ومع النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت اللغة التركية قد أصبحت لغتهم الأصلية وأصبحت لغة الخطاب داخل الأسرة، إلا أن اللغة الجورجية لم تتلاشَ، فكانوا يفهمون ما يُقال بالجورجية ويتحدثون بها في بعض الحالات.

في سنوات السلطة السوفييتية وحتى عام ١٩٢٦م، بقيت اللغة التركية هي اللغة التي تُستخدم في المدارس في القرى المسخيتية، ومن ثم حلت اللغة الأذربيجانية محلها[1]، وفي عام ١٩٣٧م حلت اللغة الجورجية محل اللغتين السابقتين، هذا في وقت لم يكن الأغلبية فيه من المسلمين هناك يعرفون اللغة الجورجية. في ذلك الوقت عُرف المسلمون المسخيتينيون باسم شعب (التيورك - المسخيتي)، ومنذ القرن التاسع عشر سمتهم السلطات المسخيتية المحلية بـ (الأتراك).

تعرض المسخيتي خلال السنوات (١٩٢٨-١٩٣٧م) إلى حملة تهجير جبري من موطنهم الأصلي. في عام ١٩٣٠م فرضت عليهم السلطات تغيير انتمائهم القومي وحمل الجنسية الجورجية، حتى أنهم أُجبروا على تغيير الكنية إلى كنية تكون مناسبة مع اللغة الجورجية. في الحرب العالمية الثانية تم استدعاء كل الرجال منهم للمشاركة في الحرب (أكثر من ٤٠ ألف رجل، قتل ٢٦ ألفاً منهم) وفي عام ١٩٤٠م فُرض على من تبقى منهم في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية، أي الحدودية (مناطق أخلاتسكي، أديغينسك، أسبيندزسك، وأخلاكالسك، وبغدانوف) الترحيل الجبري إلى كازخستان وآسيا الوسطى. وكانت عملية الترحيل هذه موجهة ضد التيورك - مسخيتي والشعوب المجاورة لهم التي كانت تتصف بالولاء لتركيا. تم ترحيل ١١٥،٥ ألف شخص، توفي

١- اللغة الأذربيجانية الحديثة لا تختلف عن اللغة التركية بشكلها العام وقد توجد بعض الفروقات البسيطة، إلا ان الأذربيجاني يشعر نفسه بين اهله عندما يكون في تركيا ويتحدث باللغة الأذربيجانية -المترجم

١٧ألفاً منهم في الطريق إلى أماكن الترحيل. وسرعان ما امتزج مع هؤلاء مجموعات قليلة من الأتراك العثمانيين القادمين سابقاً من مركز تركيا والمستقرين في أبخازيا وأجاريا، والذين تم ترحيلهم إلى آسيا الوسطى (١٩٤٨-١٩٤٩م).

استقر التيورك - مسخيتي في مجموعات مستقلة لهم من القرى في أوزبيكستان وكازخستان وقرقيزستان بصفة أعطتها لهم السلطات بحيث لا تسمح لهم بتغيير مكان إقامتهم في المهجر الجبري. في عام ١٩٥٦م تم إلغاء هذا المنع من تغيير مكان الإقامة، فعاد البعض نحو مناطق القفقاس.

الفصل بين الجورجيين والأتراك المسخيتي في فترة الترحيل الجبري، وتمازج هذا الشعب خلال السنوات التي أمضاها بعيداً عن الموطن الأصلي مع القبائل الناطقة بالتركية في جمهوريات آسيا الوسطى، إضافة إلى التمازج مع الأبخار والآجاريين من أصل تركي عثماني، أدى إلى تقوية وتثبيت طابع التتريك لدى المسخيتي. وساهم هذا كله في نمو الوعي القومي عندهم.

تميزت حياتهم خلال فترة ما بعد الحرب بالتضامن القومي في ظل رفض السلطات الرسمية لإعادتهم إلى موطنهم الأصلي والحد من تفاعلهم مع الشعوب المجاورة لهم في المهجر. ومنذ نهاية العام ١٩٥٠م نشطت حركتهم من أجل العودة إلى الوطن (مسخيتي). في السنوات ١٩٦٢-١٩٨٩م انعقد عشرة مؤتمرات للدفاع عن حقهم في العودة إلى الوطن ووضع الاستراتيجية اللازمة لتنفيذ هذا الهدف. في عام ١٩٧٠م وجدت السلطات مسوغاً قانونياً لرفضها البحث في عودة المسخيتي إلى أراضيهم، حين زعموا أن هذه العملية معقدة جداً من الناحية الاقتصادية والتقنية في التطبيق العملي، إضافة إلى التغيرات في البنية الديموغرافية التي جرت خلال السنوات السابقة في المناطق التي رُحلوا منها، واحتمال حدوث خلل ديموغرافي في حال مغادرتهم للمناطق التي يقيمون فيها في آسيا الوسطى.

في المؤتمر التاسع للمسخيتي عام ١٩٨٨م، قرر المجتمعون الإصرار والحصول على حق العودة، بشرط إقرار السلطات واعترافها بانتماء المسخيتي القومي التركي. في تموز/يوليو عام ١٩٨٩م كان المسخيتي المقيمين في منطقة فرغانسك ضحية النزاع القومي الذي نشب هناك، ما أدى إلى بداية توافد المسخيتي من أوزبيكستان إلى

أذربيجان، شمالي القفقاس. وفي حزيران/يونيو من العام نفسه تم تأسيس لجنة خاصة من مجلس السوفييت الأعلى للجمهوريات السوفييتية (للنظر في إمكانية تلبية مطالب التيورك - المسخيتي في العودة إلى الموطن الأصلي التاريخي)، إلا أن هذه اللجنة لم تتمكن من التوصل إلى النتائج المرجوة. وتم وضع برنامج حكومي لهجرة بعض التيورك - مسخيتي إلى المناطق الوسطى من روسيا، حيث هاجر أكثر من ١٦ألف شخص إلى أقاليم: تفير، سمولينسك، أورال، كورسك، بيلغراد، وفورونج). وكذلك إلى إقليمي كراسنودار، وستافروبل جنوب روسيا. وطالب المؤتمر العاشر (أيلول ١٩٨٩م) بالعودة نحو الموطن في جنوب وجنوب غرب جورجيا في الوقت نفسه هدد البعض بالعودة إلى تركيا في حال لم تتم تلبية مطالبهم بإعادتهم إلى الموطن التاريخي في جورجيا.

من أهم الأعمال التي مارسها المسخيتي كانت الزراعة. وقدرتهم على التأقلم في المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية من جورجيا، وزراعة أراضيها بنجاح، هي العنصر الأهم الذي أدى إلى استقرارهم هناك منذ القديم. يعيشون بشكل رئيسي على شكل مجموعات متضامنة متقاربة ويشغلون مناطق محددة في المدن والقرى، ويشغلون أحياناً قرى بأكملها.

ثقافة التيورك مسخيتي كانت قريبة جداً من الثقافتين التركية والجورجية، إلا أنها تحولت خلال السنوات الطويلة نحو التأثر بثقافة شعوب وقبائل آسيا الوسطى.

ما زالت قوانين النظام الأبوي إضافة إلى العادات ذات الروح الإسلامية هي المسيطرة على العلاقة داخل الأسرة لدى التيورك - مسخيتي. فالسلطة العليا بيد الرجل، بينما يرضخ الجميع لرغباته. أما الزوجة، الأم فهي تهتم بأمور المنزل (ربة بيت). وسطياً يكون عدد أفراد الأسرة من خمسة إلى سبعة أبناء. يتم الزواج بموافقة الوالدين. أما الزفاف فيجري بحضور أعداد كبيرة من الأقارب والأصدقاء، الذين تشكل هداياهم للزوجين الجديدين، أساساً في بناء حياتهم الاقتصادية وتأمين الاحتياجات الرئيسية لبدء الحياة الزوجية وبناء الأسرة.

الختان أو الطهور، من المناسبات الاجتماعية التي تحمل أهمية كبيرة في حياة الفرد، حيث تتم هذه العملية بدعوة الكبار من الرجال، الذين يتحولون إلى آباء أو (عرابين) لهذا الطفل طوال حياتهم فيقومون برعايته وتوجيهه.، وتقوم بينهم علاقة أشبه بعلاقة القربى بالدم.

البشكير

هم السكان الأصليون لجمهورية «بشكيريا أوبشكيرستان»، وحسب إحصائية عام ١٩٩٨م بلغ عددهم في روسيا الاتحادية السوفييتية ١٣٤٥.٣ ألف نسمة، يعيش العدد الرئيسي منهم في بشكيريا ٨٦٣.٨ ألف نسمة، بينما يتوزع الباقون على مختلف المدن والأقاليم الروسية مثل: تشيلابنسك، أورينبورغ - بيرمسكو، سفيردلوفسك - وكورغان وتيوصين. ويعيش بعضهم في الجمهوريات السوفييتية السابقة، ٤١.٨ ألف نسمة في كازاخستان، ٣٤.٨ ألف نسمة في أوزبيكستان، ٤ آلاف نسمة في قرقيزستان، ٦.٨ ألف نسمة في طاجيكستان، ٤.٧ ألف نسمة في تركمنستان. يبلغ عددهم الإجمالي ١٤٤٩.٢ ألف نسمة. يتحدثون باللغة البشكيرية التي تضم لهجتين رئيستين، الشمالية والجنوبية، كما يمكن تمييز اللهجة الشمالية - الغربية، وتنتشر بينهم اللغة التترية. اللغة البشكيرية تُكتب باعتماد الأحرف الروسية. وهم مسلمون سنة.

الدور الرئيسي في تكوين السلالة البشكيرية لعبته قبائل الرعاة التركية التي كانت منذ القدم تعيش في سيبيريا الجنوبية وأسيا الوسطى، والذين أمضوا في الترحال والتنقل فترة طويلة في (بريار المسكي - سيرداريني)، المناطق الصحراوية والسهوب، بعد هذه المرحلة توجهوا نحو المناطق التي كانت تعيش فيها قبائل الأغاوز والكيماكو - كيبتشاكي، حيث تم تسجيل تواجد معظم هذه القبائل في المناطق المذكورة في المصادر القديمة منذ القرن التاسع ميلادي واستقرت هذه القبائل منذ نهاية القرن التاسع وبداية العاشر الميلادي في الأجزاء الجنوبية من «الأورال» والسهوب والسهول والغابات المجاورة للمنطقة المذكورة.

تسمية «بشكير» ظهرت منذ القرن التاسع ميلادي، ويعتقد أغلب المختصون في مجال الإتمولوجيا أن هذه التسمية هي من قسمين الأول «باش» وتعني باللغة القبائل

الأغا أوز - التركية «الرئيسي - المهم - الرأس» أما الجزء الثاني من التسمية فيعني «الذئب»، لتصبح بشكيرستان تعني «الذئب القائد».

بينما يرى آخرون أن أصل كلمة بشكير يعود إلى اسم القائد العسكري الذي تحدثت عنه وعن بطولاته عدة مصادر تاريخية، عاش في النصف الأول من القرن التاسع ميلادي، واتحدت تحت قيادته القبائل المذكورة لتشكل «البشكير» ومنذ ذلك الحين أخذت تتجه نحو الاستقرار في مناطق تواجدها.

ومنذ أن كانت القبائل البشكيرية في سيبيريا ووسط آسيا، تأثرت نوعاً ما بقبائل «تونغوس - مانتشجور» وبالمنغوليين، حيث يبرز هذا التأثر على لغة البشكير. وعندما انتقلت هذه القبائل نحو جنوب الأورال تعايشت وتجانست مع القبائل «الفينو - أوغورية» وقبائل «سارماتو - آلانية» الإيرانية والتتار - منغولية، وبهذا تمت المراحل الأخيرة من عملية تكوين القوم البشكيري.

منذ بداية القرن العاشر وحتى القرن الثالث عشر وقع البشكيريين تحت السيطرة والتبعية السياسية لدولة «فولغا - كامسكي بلكاريا». وفي عام ١٢٣٦م، وبعد مواجهات عنيفة أبداها البشكير والبلغاز معاً، وقع الاثنان تحت احتلال الجيوش التتار - مغولية. أما الإسلام فبدأ ينتشر وسط البشكير في القرن العاشر ميلادي، وفي القرن الرابع عشر أصبح الإسلام الديانة الرئيسية والأكثر انتشاراً لدى البشكير، هذا ما تؤكده المصادر التاريخية، إضافة إلى المقابر الإسلامية، والمتاحف وغيرها من الآثار.

مع اعتناقها للإسلام، تحولت بشكيريا إلى الكتابة بالأحرف العربية والفارسية والتركية، أي أن لغتها وثقافتها تأثرت بهذه اللغات. وخلال فترة وقوع بشكيريا تحت سيطرة التتار - مغول، امتزجت معها بعض القبائل البلغارية والكيبتشاكية والمنغولية.

بعد سقوط كازان[1] عام ١٥٥٢م، حصلت بشكيريا على الجنسية الروسية حين تم ضمها إلى روسيا بصورة أعطيت صيغة الانضمام الطوعي الروسية القيصرية. وبموجب صيغة الانضمام هذه طالب البشكير بأن يبقى لهم الحق في السيادة على

١- عاصمة تترسان الحالية -المترجم.

أراضيهم ومزاولة أعمالهم الاعتيادية، وبأن يتم الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم ودينهم. وعمدت الإدارة القيصرية على استغلال البشكير بشتى السبل، وهذا ما تسبب بثورات من بشكيريا وتحديداً في القرن الثامن عشر. وبعد مواجهات استمرت عامين ١٧٧٣ - ١٧٧٥م تمكنت الجيوش القيصرية من إخماد الثورة، إلا أنها كانت مضطرة بالاعتراف بحق البشكير بالسيادة على أراضيهم وضيعهم الموروثة أباً عن جد. وفي عام ١٧٨٩م تم تأسيس الإدارة الروحية لمسلمي روسيا في مدينة «أوفا»، ومنحت هذه الإدارة الحق في ممارسة بعض المهمات الإدارية مثل: تسجيل عقود الزواج، الولادات والوفيات، حل قضايا الإرث وتقسيم الثروة، والفتوى في بعض القضايا، إضافة إلى التعلم ضمن حدود المساجد حيث كانت المدارس وغيرها تعلم قراءة القرآن وعلوم الدين.

خلال القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من اغتصاب بعض الأراضي البشكيرية، ومع اتخاذ سياسة الإدارة القيصرية طابعاً أقرب إلى الاستعماري، إلا أن بشكيريا تمكنت من بناء ذاتها والنهوض، حتى أن عدد سكانها زاد عن المليون نسمة في عام ١٨٩٧. منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، استمرت حركة البناء والتطور في بشكيريا، وتبلورت الثقافة والوعي القوميين.

بعد ثورة شباط عام ١٩١٧م، بدأت بشكيريا صراعها من أجل الاستقلال وبناء دولتها الخاصة، إلى أن حصلت على ما تريد في ١٩١٩/٣/٢٠م، عندما تم توقيع «اتفاقية» بين الحكومة الروسية العمالية وحكومة بشكيرستان التي تنص على حق الطرف الثاني بإقامة دولة حكم ذاتي - بشكيرستان». وأصبحت جمهورية بشكيرستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي، عنصراً رئيسياً في دفع عجلة النمو والتطور لدى البشكير.

وفي عام ١٩٢٩م، اعتمد البشكيريون الأحرف اللاتينية لكتابة لغتهم كبديل عن الأحرف العربية. ومنذ العام ١٩٣٩م، استبدلوا الأحرف اللاتينية بالأحرف الروسية.

نتيجة الحرب العالمية الأولى، والحرب الأهلية في روسيا، إضافة إلى الجفاف والمجاعات، تراجع عدد البشكير في الفترة بين ١٩٢١-١٩٢٢، تراجع عددهم إلى النصف تقريباً. ومع نهاية عام ١٩٢٦، أي بعد عودة الأحوال إلى طبيعتها وظهور عوامل إيجابية تساعد على النمو الديموغرافي، بلغ عدد البشكير حينها ٧١٤ ألف نسمة ضمن

حدود بشكيريا السوفييتية في ذلك الوقت، أما عددهم ضمن الحدود الحالية للجمهورية البشكيرية فلم يزد حينها عن ٥٨٤.٨ ألف نسمة، ولم تكن هذه المرة الأولى التي عانى خلالها البشكيريون وصولاً إلى تراجع عددهم بهذا الشكل. حيث أتت بعد ذلك سنوات الجفاف والمجاعة ١٩٣٢-١٩٣٣م، وتزامنت مع سنوات التهجير الجبري للسكان المحليين إلى خارج أراضيهم، وزاد على ذلك التضحيات الكثيرة التي قدمها الشعب البشكيري في الحرب العالمية الثانية ١٩٤١-١٩٤٥م. كما أثر على البنية الديموغرافية في بشكيرستان، تمازج شعوبها مع المواطنين التتر والروس. ولم يستعد الشعب البشكيري تعداده الذي كان قبل أعوام الثورة إلا في عام ١٩٨٩م.

شهدت السنوات العشر الأولى بعد الحرب العالمية الثانية تغييراً إيجابياً ملحوظاً في البنية الديموغرافية البشكيرية، حيث بلغ عددهم في مدينة «أوفى» ١٢٢ ألف نسمة، وفي ستيرلاتامكه بلغ عددهم ٢٨ ألف نسمة، ٢٣ ألف نسمة في سالافات. ولوحظ زيادة عدد المهنيين والمختصين بين البشكير في تلك السنوات، وكذلك الأمر بالنسبة للمثقفين هذه العناصر ووجود الروس وغيرهم من الشعوب في بشكيريا إضافة إلى تعايش البشكير مع جيرانهم، وكثرة الزواج المختلط بين الشعوب المقيمة ضمن جمهورية بشكيرستان، ساهم بعدم وجود مؤسسات تربوية وتعليمية معينة بالأطفال وتدريسهم اللغة البشكيرية.

يلاحظ تزايد الوعي القومي في الأعوام الأخيرة ضمن حدود جمهورية بشكيرستان وكذلك الأمر بين المقيمين منهم خارج بشكيرستان، حيث ظهرت المراكز الثقافية القومية، والنوادي التي اتحدت كلها تحت إطار «المركز البشكيري الشعبي - أورال» ومقره في مدينة «أوفا» العاصمة الحالية لبشكيرستان. ويعمل هؤلاء على حماية وعادات وتقاليد البشكير، كما يحاولون توسيع المجالات التي تستخدم فيها اللغة البشكيرية، في عام ١٩٩٠م قرر البرلمان استقلال جمهورية بشكيرستان السوفييتية التي أصبحت عضواً في الاتحاد الروسي، وهي جمهورية بشكيرستان منذ العام ١٩٩٢م.

الحياة الاقتصادية: كانت الزراعة وتربية المواشي من أهم الأعمال التي مارسها البشكيريون في السابق، واحتلت تربية المواشي المكانة الأهم في حياتهم العملية، حيث

اهتموا كثيراً بتربية الخيول والأغنام وغيرها من المواشي، وتركزت تربية الجمال في المنطقتين الجنوبية والشرقية. كانت المواشي تنتقل في فصل الصيف بين المراعي وبالطبع ينتقل معها أصحابها، في الخريف يعود الرعاة بقطعانهم إلى القرى، إلا أنهم غالباً ما يتركون أجزاءً من القطيع طليقة ولا سيما تلك التي تساعدها حوافرها على البحث عن العشب تحت الثلج. وكانت الأعلاف تقدم بشكل رئيسي للخيول التي يستخدمونها في أعمالهم اليومية، ولصغار الماشية وأمهاتها. أما في السهوب فكان الصيد من الأعمال المنتشرة بين السكان، وفي المناطق المرتفعة والجبلية كانوا يستخدمون مختلف أنواع الأفخاخ إضافة إلى السهم والقوس.

مع بداية القرن السابع عشر أخذت تتراجع أهمية تربية المواشي، على حساب تقدم وتطور أعمال الزراعة، وتطورت معها تربية النحل. وفي المناطق الشمالية الغربية أصبحت الأعمال الزراعية من الأعمال الرئيسية في القرن الثامن عشر، أما المنطقتان الجنوبية والشرقية فقد حافظتا على طابع حياة تربية المواشي الرعي حتى بداية القرن العشرين، حيث بدأت في هذه المرحلة عملية الانتقال التدريجي إلى الأعمال الزراعية المنظمة. في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أخذت تدخل الآلات والمصانع إلى الحياة الزراعية عند البشكير.

وكانت أعمال معالجة المنتجات الحيوانية متطورة لديهم، فكانوا يغزلون الصوف في المنازل. عملوا في مجال نحت الخشب وإعداده لبناء المنازل، كما كانت لديهم صناعة الحُليّ متطورة وكذلك الأمر بالنسبة لمعالجة بعض المعادن.

بدأت عمليات استخراج المعادن من المناجم منذ نهاية القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر، ومع نهايته أصبح الأورال المركز الرئيسي لاستخراج المعادن ومعالجتها في بشكيرستان. شارك البشكيرون في أعمال البحث والتنقيب والاستخراج، ومع تطور هذا الشكل من الحياة الاقتصادية، ازداد عدد البشكيرون العاملون في هذا المجال، إلا أن أعمالهم كانت شبه موسمية أو موزعة على بعض مراحل عملية الاستخراج والتصنيع.

عندما تم تحديد وترسيم حدود جمهورية بشكيرستان السوفييتية، فإن كل المراكز الصناعية والمدن المهمة الاقتصادية أصبحت خارج حدود الجمهورية. وعندما تم

في عام ١٩٢٢م ضم عدة مدن إلى بشكيرستان، منها أوفا وستيرلتاماك، وبيرسك، شهدت الأوضاع الاقتصادية في المركز والأجزاء الغربية تحسناً ملحوظاً. هذا الأمر لعب دوره في تحديد طبيعة الحياة الاقتصادية في بشكيرستان، حيث بقي الطابع الزراعي هو الغالب على حساب التخلف في مجال الإنتاج الصناعي مقارنة بما كانت الحال عليه من الجمهوريات والأقاليم المجاورة. إلا أنه ومع الوقت بدأت الجمهورية تستعيد نشاطها في مجال استخراج المعادن السوداء والمشعة، كما أخذت تتطور الصناعات الغذائية، وصناعة مواد البناء. ومنذ عام ١٩٢٣م بدأت بئر «إيشيمبايا» تضخ النفط لتعطي لبشكيرستان دفعة قوية في المجال الاقتصادي وبعدها تم افتتاح عدد آخر من آبار النفط. وهكذا تحولت بشكيرستان إلى واحد من أهم مراكز استخراج وتكرير النفط، حيث أنشئت المعامل الخاصة بالصناعات النفطية والكيميائية، وهي عناصر ساهمت بتأسيس مصانع ثقيلة لتصنيع الآليات والسيارات. وقد انعكس كل هذا على البنية الاجتماعية، حيث أصبحت الأغلبية من المهندسين والمختصين والعمال في هذه المجالات الصناعية، والأكيد أن هذا كله ترك أثره أيضاً على ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي والعلمي في بشكيرستان.

الحياة الاجتماعية: بعد انضمام بشكيريا إلى الدولة الروسية تحددت البنية الاجتماعية في بشكيريا بالتشابك ما بين المجتمع الإقطاعي الذي كان ظاهرة جديدة حينها، مع المجتمع الذي كان يعيش وفق قوانين «النظام الأبوي». وعلى أساس التقسيمات القبلية تألف البشكير من ٤٠ قبلية، نذكر منها: «بورزيان، أوسيرغان، تاميان، يورماتن، طيبين، كيبتشاكي، كاتاي، ينغ، يلان، يني، بولياري، ساليوتي وغيرها من القبائل والمجموعات القبلية التي كانت عبارة عن بقايا القبائل والسلالات المستوطنة منذ القدم في أراضي بشكيرستان. وتم تشكيل مجموعات من هذه القبائل حصلت على حقوق أكثر في شتى المجالات وتحديداً السياسي منها.

وتم تقسيم هذه المجموعات على أساس صلة القربى بين أسرها وعائلاتها، التي توارثت بدورها بعض العادات والتقاليد من القبيلة الأم، حيث كانت هذه الأسر تعيش معتمدة على التعاون فيما بينها. وظهرت في الفترة بين ١٧٩٨-١٨٦٥م مجموعات المحاربين والمقاتلين، وكانت المرة الأولى التي تبرز فيها طبقة الشرفاء من ضباط الجيش.

تتميز العائلة البشكيرية بكثرة عدد أفرادها، إلا أن العدد يكون أقل لدى أسرة الرعاة مقارنة بعدد أفراد الأسرة التي تمارس أعمال الزراعة وتعيش حياة تتسم بطابع الاستقرار وعدم الترحال وحاجة المجتمع لأيدي عاملة من أفراد الأسرة كي يقوموا بالوظائف التي يتطلبها أسلوب الحياة لدى هذه الأسر. مع نهاية القرن التاسع عشر، ونظراً للتغيرات الجذرية في طبيعة الحياة الاقتصادية، أصبحت الأسرة الصغيرة هي السائدة في المجتمع البشكيري. وكان تعدد الزوجات ظاهرة منتشرة بين الأغنياء منهم.

وحافظ المجتمع البشكيري على مجموعة من العادات المتصلة بموضوع الزواج، حيث كانوا مثلاً يخطبون للشاب وهو في سن مبكرة فتاة صغيرة كي تصبح زوجته عندما يكبران. ويتم الزواج بطلب يد العروس من أهلها، ويحدث أحياناً ما يعرف بـ «الخطف» كي يعفى أهل العروسين في هذه الحالة من نفقات مثل النقد للزوجة، أو تحضيرها من قبل أهلها وتجهيزها بما تحتاجه في حياتها الزوجية. وقد يتم الأمر أحياناً بالاتفاق بين العائلتين على عدم تحمل هذه المسؤوليات كي لا يكون المال عائقاً في الزواج.

أما حفلة الزفاف فتتميز بالكثير من العادات القديمة الجميلة، فالعروس مثلاً تختبئ في بيت أهلها وبمساعدة صديقاتها، في هذا الوقت تشهد الساحة المجاورة لمنزلها مختلف المسابقات والمبارزات وسباق الخيل. ويفرض المجتمع البشكيري على العروسين الطاعة المطلقة لوالدي الزوج والزوجة.

إن معظم هذه العادات والتقاليد قد اختفت مع مرور الوقت وتحت تأثير التغيرات الاقتصادية والسياسية والديموغرافية بشكل عام، تعد هذه العادات موجودة في المدن الكبيرة. يلاحظ انتشار العادات والتقاليد الإسلامية في المجتمع البشكيري، إضافة إلى عودة جزء من العادات القومية في السنوات الأخيرة.

المطبخ: تشكل منتجات الحياة الإنتاجية التقليدية المواد الرئيسية في المطبخ البشكيري حيث يشكل «الحليب واللحوم والأعشاب البرية والسمك وغيره من صيد» المواد الرئيسية في المطبخ البشكيري. ويتناول البشكيري لحوم الخراف والبقر، إضافة إلى لحوم الأحصنة التي تعتبر من الوجبات التقليدية المنتشرة لديهم حتى وقتنا الحالي.

في الفترة بين القرنين الثاني عشر والتاسع عشر ميلادي دخلت البطاطا ومختلف الخضار إلى المطبخ البشكيري.

القرية والمسكن: يتناسب سكن المجموعات البشرية الباشكيرية كل حسب طبيعة العمل التقليدي الذي يمارسه. حيث يقطن الرعاة ومن يهتم بالماشية وتربيتها في قرى على ضفاف الأنهر والبحيرات وتكون عادة عبارة عن خيمة دائرية شبيهة بـ «اليورت» في كازاخستان. ويكون لهذه القرى أكثر من موقع تنتقل فيه حسب المرعى وحسب فصول السنة. وقد ظهرت القرى الثابتة في مرحلة الاستقرار والاعتماد على الحيوانات بالتنقل، حيث ظهرت القرى في الأماكن التي كانت سابقاً الموقع الذي يمضي فيه الرعاة فصل الشتاء. انتشرت في البداية ظاهرة البيوت الموزعة مجموعات المتفرقة والمتباعدة عن بعضها، وكانت منازل أبناء الأسرة الواحدة أو النسب الواحد تشيد مجاورة لبعضها على شكل تجمع سكني صغير من مجموعة التجمعات في القرية. ومنذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر ظهر طابع البناء الحديث، وأخذت المجموعات الأسرية تشيد منازلها متجاورة لتحتل شارعاً بأكمله في القرى الحديثة، أو حياً كاملاً.

ومع الوقت وأثناء حقبة الحكم الشيوعي شهدت القرى تغييرات واضحة في أسلوب البناء والتخطيط عموماً، حيث أصبحت بعض القرى مراكز إدارية وبعضها مقرات للكلخوزات «التجمعات الزراعية»، وهذا ما تطلب بالضرورة تشييد الأبنية التي تتناسب مع المهمات الاقتصادية والاجتماعية المستجدة. كما أثر ذلك بشكل عام على طبيعة البناء في القرى نظراً لأنه أثر على أسلوب الحياة بشكل عام. وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر المنازل الكبيرة المبنية من القرميد أو الإسمنت المسلح، ويكون عدد غرف هذه المنازل كبيراً، إلا أن التقسيم الداخلي للمنزل لم يخرج عن التقليد بالتقسيم إلى غرفة للضيوف وغرفة للجلوس وما إلى ذلك من تقسيمات اجتماعية داخل المنازل.

الأزياء: ترك امتزاج الحياة الزراعية وحياة الرعي والتنقل أثره على الألبسة الفلكلورية. ويتألف اللباس التقليدي عند النساء من ما يمكن وصفه بثوب قصير يصل إلى منتصف الجسم أو أطول بقليل، ويكمله سروال فضفاض. وفوق هذه الألبسة أو

عليها أحياناً تتزين النسوة بعقود طويلة من الحلي التي تشكل مختلف أشكال القطع النقدية الجزء الرئيسي منها. أما الزي التقليدي عند الرجال فيتألف بشكل رئيسي من قميص وسروال عريض تغطيها عباءة قصيرة ويضعون على رؤوسهم إما قبعة دائرة مزركشة بمختلف الألوان وشكلها مثل شكل ما يضعه الحجاج على رؤوسهم، أو يضعون في الشتاء قبعات من الفرو.

إن الألبسة الفلكلورية والتقليدية لم تعد منتشرة إلا بين كبار السن، أو قد نراها في المناسبات والأعياد القومية والدينية والاحتفالات.

الأعياد: تأتي معظم الأعياد عندهم في الفترة الربيعية - الصيفية، فبعد عبور طيور «غراتشي» يقيم الأهالي عيداً يشارك فيه الجميع (اقتصرت المشاركة في الماضي على النسوة والأطفال) ويضيف المشاركون بعضهم البعض نوع من أنواع العصيدة، وتجري المباريات والمبارزات وسباق الخيل. بعد نهاية العيد يضع المشاركون ما تبقى لديهم من عصيدة ويكررون: «فلتأكل الطيور، وليكن العام معطاءً، والحياة موفقة». وما زال هذا العيد موجوداً حتى يومنا هذا.

عيد آخر مرتبط بالحياة الزراعية، فقبل أعمال الغرس والري ربيعاً، وبعدها أحياناً يقيم الناس ما يعرف بعيد «سابنتوي» يذبحون خلاله الخراف أو البقر، ويدعون أهالي القرى المجاورة، حيث يقوم أبناء القرى بالزيارات المتبادلة. بعد تناول طعام العيد أو قبله وأثناءه تجري مختلف المبارزات والمباريات وسباق الخيل وغيره من مظاهر العيد، مثل سباق الجري، ورمي القوس، والمصارعة، إضافة إلى الكثير من الفقرات الفكاهية. ويترافق هذا العيد مع الصلوات في المقبرة. عيد آخر لدى البشكير اسمه «الجني» ويقوم بمراسم هذا العيد عادة عدة قرى معاً وتتخلله معظم الفعاليات التي سبق ذكرها، إلا أنه يتميز بأن الناس يجتمعون لحل الخلافات بينهم أثناءه، ويتفق آخرون على الزواج. ولحل الإشكاليات بين القرى يتم عقد جلسات موسعة، يجري كذلك خلال هذا العيد عقد الصفقات التجارية. وما زال هذان العيدان «سبانتوي والجني»[1] من الأعياد الرئيسية عند البشكير. ومن أبرز شعائر الحياة عند البشكير هي «طلب المطر» في أيام الجفاف.

١- السبانتوي عيد عند شعبي البشكير والتتار، ويحتفلان به معاً -المترجم

أمـا القـصص والحكايـا فهـي كـثيرة ومتنوعـة في الفلكلـور الباشـكري، وتتمحور الحكايا حول قصص البطولات، والسحر، وقصص أخرى من الحياة وعن الحيوانات.

هناك الكثير من المعتقدات البشكيرية القديمة يرتبط معظمها بعناصر الطبيعة التي تحيط بهم مثل الأنهار والجبال وغيرها. إلا أن الديانة والمعتقد السائد هـو الإسـلام، الـذي يلاحظ عـودة البشكيريون إليـه وإلى قوانينـه في الـسنوات الأخـيرة بعـد سـقوط الاتحاد السوفييتي[1].

١ـ بشكيرستان: جمهورية حكم ذاتي، عضو الاتحاد الفيدرالي الروسي حتى يومنا هذا. ـالمترجم

التتار(١)



تتارية من فرقة فولكلورية

يعرفون باسم التتار، وهم السكان الأصليون لأراضي جمهورية تتارستان، يبلغ إجمالي عددهم ٦٦٤٨،٧ ألف نسمة، يتمركز العدد الرئيسي في جمهوريتي تتارستان وبشكيرستان عضوي الاتحاد الروسي حالياً، ففي الأولى يعيش ١٧٤٥،٤ ألف نسمة، وفي الثانية ١١٢٠،٧ ألف نسمة، وينتشرون في بقية مدن ومناطق روسيا الاتحادية، حيث يبلغ عددهم فيها ٥٥٢٢ ألف نسمة (إحصائية عام ١٩٨٩). وفي منطقة أودمرتي ١١٠،٥

١- قصدنا كتابة أسم التتار بهذا الشكل للتمييز بينهم وبين التتار الذين كانوا ضمن حملات التتار - مغول في عهد جنكيز خان،فالتتار الحاليون هم أحفاد لمجوعة القبائل التي كانت في مناطق وسط وشمال روسيا وامتزاجها مع مجموعات القبائل الناطقة بالتركية التي كانت قد وصلت مناطقهم مع جيوش التتار - مغول، أو أنها وصلت أثناء هجرتها بحثاً عن المراعي ومناطق أفضل للاستقرار والاستيطان -المترجم

ألف نسمة، ماردوفيا ٤٧.٣ ألف نسمة، جمهورية ماراي ٤٣.٨ ألف نسمة، وفي تشوفاشي ٣٥.٧ ألف نسمة، ويعيش بعضهم في مناطق سيبيريا ودالني فستوك على الحدود مع اليابان، ومنطقة الفولغا - أورال. أما في الجمهوريات السوفييتية سابقاً فهم موزعون على النحو التالي: ٣٢٧.٩ ألف نسمة في كازخستان، ٤٦٧.٨ ألف نسمة في أوزبيكستان، ٧٢.٢ ألف نسمة في طاجيكستان، ٧٠.٥ ألف نسمة في قرقيزيا، ٣٩.٢ ألف نسمة في تركمنستان، و٢٨ ألف نسمة في أذربيجان، في أوكرانيا ٨٦.٩ ألف نسمة، وفي جمهوريات البلطيق (ليتوانيا فقط) ١٤ ألف نسمة. وقد تمكن هؤلاء التتار من البقاء كسلالة مستقلة قائمة بحد ذاتها في ليتوانيا بفضل دينهم الإسلامي الذي جعلهم أكثر تلاحماً فيما بينهم.

و ينقسم التتار إلى ثلاث سلالات عرقية حسب المنطقة الجغرافية لكل مجموعة: تتار منطقة فولغا - أورال، تتار منطقة آستراخان، تتار سيبيريا. وتعتبر المجموعة الأولى من أكبر المجموعات عدداً، حيث يدخل فيها سلالات التتار من مناطق (كاسيموف وتتار ميشاري، ومجموعة التتار المعروفة باسم كرياشين).

لغتهم هي التتارية، وينطقونها بثلاث لهجات رئيسية هي: اللهجة الغربية (لهجة التتار في منطقة ميشارسك) واللهجة الوسطى (تنتشر بين التتار في كازان)، واللهجة الشرقية (تنتشر بين التتار في منطقة سيبيريا). أما التتار في آستراخان، فقد حافظوا على بعض الخصوصية في لهجتهم، حيث يتكلمون بلغة التتار اليورتفيون، وهي لغة نشأت نتيجة اندماج اللغة الناغايية مع اللغة التتارية حسب لهجة التتار في منطقة فولغا - أورال. أما اللغة التركية للتتار الليتوانيين الذين تأثروا بقبائل الكيبتشاكي بشكل واضح، فقد تلاشت لغتهم في القرن السادس عشر (أصبح التتار الليتوانيون يتكلمون باللغة البيلاروسية، وفي وقت لاحق، منتصف القرن التاسع عشر، انتشرت اللغات البولونية والروسية في أوساط المثقفين التتار في ليتوانيا). وكانت لغة التتار الليتوانيون قد تأثرت بلهجة التتار في منطقة (كازان) ولهجة منطقة ميشارسك. وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت اللغة التتارية القديمة هي السائدة عند هذا الجزء من التتار (لغة القبائل التركية المقيمة على

ضفاف الفولغا). وتُعتبر قصيدة (قيس ويوسف) للشاعر كول غالي (قُتل عام ١٢٣٦ م أثناء الحملة التتار - مغولية)، التي وُجدت مكتوبة باللغة التتارية حسب لهجة التتار الليتوانيين من أكثر المخطوطات قدماً بهذه اللهجة، وهي كُتبت في القرن الثالث عشر.

و مع مطلع القرن التاسع عشر بدأت تتكون اللغة التتارية الحديثة، وانتهت هذه العملية نهاية القرن العشرين. حيث تُعتبر الفترة منذ عام ١٩٠٠م وحتى عام ١٩١٧م، عهد الولادة القومية للتتار، حيث بدأت أول عمليات الطباعة باللغة التتارية لمجلات دورية وغيرها من كتب ونشرات وما إلى ذلك من مطبوعات.

و أقدم كتابات باللغة التترية والمخطوطات التاريخية هي تلك التي تعود إلى القرن العاشر ميلادي. كُتبت التتارية حتى عام ١٩٢٧م باستخدام الأحرف العربية، ومنذ عام ١٩٢٨ وحتى ١٩٣٩م كُتبت بالأحرف اللاتينية، ومنذ العام ١٩٣٩م بدأ التتار يكتبون لغتهم بالأحرف الروسية.

التتار مسلمون إلا فئة صغيرة منهم (الكرياشين) إضافة إلى الناغاي بيكوف، الذين اعتنقوا المسيحية خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر ميلادي. أما بقية التتار فهم من السُنَّة. والمركز الديني للتتار يقع في مدينة أوفى.

و يعود أصل الشعب التتاري بمختلف أجزائه إلى مجموعة كبيرة من القبائل المقيمة منذ القدم في مختلف المناطق التي يشكل التتار فيها حالياً أغلبية بين السكان. وظهرت كلمة (تتار) لأول مرة خلال الفترة بين القرنين السادس والتاسع ميلادي، كمصطلح عام يدل على كل هذه القبائل والشعوب التي ساهمت في تكوين الشعب التتاري. في القرن الثالث عشر، في عهد دولة جنكيز خان وأحفاده، كان في هذه الدولة قبائل تركية خاضعة لسيطرة التتار مغول، عُرفت واحدة من هذه القبائل باسم (التتار)، وخلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر ميلادي، عندما كانت تجري عمليات التمازج والاندماج بين مختلف القبائل والشعوب التابعة للدولة التتار - مغولية، اندمجت قبائل الكيبتشاكي التي كانت تشكل أغلبية بين قبائل دولة التتار مغول، مع بقية قبائل وشعوب هذه الدولة، وهو ما ساهم في تكوين السلالة التتارية الحالية. ويُذكر أن بعض الشعوب الأوربية والروس أيضاً

كانوا يطلقون اسم تتار على كل شعوب دولة التتار - مغول. وبعد سقوط هذه الدولة شغل التتار مكانة طبقة الشرفاء في الخانات (الدويلات - الإمارات) التتارية، وشغلوا مكانة القيادة العسكرية لشعوب هذه الدويلات. وكان هؤلاء بشكل رئيسي من التتار، أحفاد قبائل الكيبتشاكي والناغاي. هذه القبائل تحديداً هي التي لعبت الدور الأساسي في تعميم ونشر مصطلح (تتار) الذي انتشر لاحقاً بين العامة أيضاً.

في عام ١٩٢٠م تم تأسيس الجمهورية التتارية السوفييتية الاشتراكية ذات الحكم الذاتي، وعضو الاتحاد الفيدرالي الروسي. وفي العام ١٩٩١م أصبحت جمهورية تتارستان وهي حالياً عضو في الاتحاد الروسي.

متابعة لموضوع كيفية نشوء التتار، فإن أساس تتار منطقة الفولغا - أورال، يعود إلى شعب البلغار، الذي أسس في المناطق الوسطى من الفولغا (على حدود القرن العاشر ميلادي) واحدة من أول دول أوربا الشرقية وكان اسمها (بلغاريا الفولغا - كامسكية)، والتي كانت قائمة ككيان مستقل قومياً وسياسياً وكدولة حتى عام ١٢٣٦م. أما التركيبة العرقية أو السلالية لبلغار منطقة الفولغا، فلم تكن ذات منشأ سلالي واحد، حيث عبرت هذه المجموعة البشرية خلال مسيرة طويلة من التطور والتكوين. فإضافة إلى قبائل البلغار أنفسهم هناك قبائل أخرى مثل البارسيلي والإسيغيلي، والسافيري، والتشيغيلي، والكارلوكف، وكانت بعض هذه القبائل خاضعة لسيطرة الغونوف، وبعدهم للخزار. كما لعبت المجموعات البشرية والقبائل التي هاجرت من منطقة الأورال في القرن الحادي عشر دورها في تكوين سلالة البلغار. إن أفضل دليل وشاهد على تعدد السلالات التي ساهمت في تكوين سلالة البلغار هي أسماء المدن التي ما زالت شاهداً على تلك الدولة حتى يومنا هذا. فمدينة (تورتشيسك) نسبة للقبائل التركية، ومدينة توختشين (الأغلب أنها أُخذت من لقب الكيبتشاكي «التوختشي») وهكذا فقد تكونت القومية البلغارية خلال عدة قرون من التعايش بين مختلف الشعوب والتعاضد والتمازج فيما بينها. إن ضم أراضي دولة البلغار إلى الدولة التتار - مغولية أدى إلى حدوث تغيرات في البنية الاجتماعية السلالية للبلغار. وعوضاً عن الدولة الكبيرة الموحدة قام القادة

التابعين لجنكيز خان بتقسيم الدولة البلغارية إلى عدة مناطق إدارية تابعة لدولة التتار مغول، وكانت مدينة بولغاري مركزاً إدارياً لهذه المناطق الإدارية. خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر نشأت على أراضي البلغار وبعض الأراضي التي سيطرت عليها الدولة التتار - مغولية إمارات صغيرة، وخلال هذه الفترة دخلت مجموعات بشرية إضافية وامتزجت مع السكان الأصليين، وكانت هذه المجموعات بشكل رئيسي من القبائل التي أصبحت جزءاً من الكيبتشاكي، منهم نذكر مثلاً المجموعة الناغايية. وهناك الكثير من الأدلة التي تؤكد صحة هذه المعلومات، حيث تجد ألقاب عائلات منتشرة حتى الآن وأصلها من اللغة الناغايية أو لغة الكيبتشاكي، منها نذكر: (كونغرات، توكسوب، بوركوت، كيرايت، بادراك، تابين، قرقيز، كيبتشاك).

في الفترة بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ميلادي جرت عملية تكوين سلالة (تتار كاسيموف، والتتار الكازانيون، والميشاريون). والأصل كان من الخانات التترية (١٤٣٨-١٥٥٢) التي كانت حينها دولة وواحدة من أهم المراكز السياسية في أوربا الشرقية. تأثرت نشأة سلالة تتار كاسيموف وتتار ميشاري بالدولة الروسية (موسكوفسكوي روس)، في القرن الخامس عشر. وكان التتار الكاسيموف والميشاري خلال القرن السادس عشر يمرون بعملية البقاء كسلالة مستقلة بذاتها. فالتتار الكاسيموف، ونظراً لبعض الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها تمكنوا من شغل مكانة الطبقة المسيطرة على دولة خانات كاسيموف، وخلال هذه المرحلة تكونت منهم مجموعة بشرية كانت الوسط بينهم وبين تتار ميشاري، أي أنهم بدؤوا حينها مرحلة الامتزاج مع التتار الميشاري.

التتار الكاسيمفيون[1] - القاسيميون

اسمهم كيتشيم أو تتارالاري، هم المجموعة السلالية التتارية المقيمة في منطقة الفولغا - أورال[2] ويعيشون في مدن: كاسيموف ومحافظة كاسيموف التابعة لمقاطعة ريزان الروسية. يبلغ عددهم أكثر من ألف نسمة[3].

لغتهم التتارية بلهجة المنطقة الوسطى (لهجة التتار في كازان)[4]، أي لهجة اللغة التتارية التي تأثرت بلهجة الميشاريين. تتار منطقة كاسيموف (التتار الكاسيموفيون)، هم من المسلمون السُنَّة.

جاءت تسميتهم هذه نسبة لعاصمة الخانات الكاسيموفية، أي نسبة لمدينة كاسيموف التي ما زالت تُعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا. وكانت المدينة المذكورة قد حصلت على هذا الاسم من (قاسم التي تلفظ بالروسية كاسيم - المترجم) اسم قاسم ابن الخان الكازاني (علا محمد) الذي كان حاكماً للمدن الميشورية ومنها كاسيموف (تُترجم إلى العربية مدينة قاسم - المترجم).

بالنسبة لموضوع أصل التتار الكاسيموف، فهناك أكثر من رأي، حيث يرى الكثيرون من المختصين أن التتار هناك هم في الواقع ميشاريون، وكان هذا الرأي سائداً حتى العام ١٩٢٠م. والبعض الآخر ربط هذه المجموعة البشرية بالقبائل التركية التي كانت ضمن دولة جنكيز خان. وفي الفترة ما بين الأربعينيات والتسعينيات من

١- نسبة لمدينة كاسيموف الروسية بالقرب من موسكو-المترجم

٢- نسبة لنهر الفولغا ومنطقة الأورال التي يمر مجراه في أراضيها-المترجم

٣- في الواقع فان الكثير من الدراسات، إضافة إلى ملامسة واقعية لتواجد التتار في تلك المنطقة يؤكد أن العدد هناك يزيد بالكثير الكثير في أيامنا الحالية عن الرقم الذي ذكره المؤلف ولديهم مساجدهم ومؤسساتهم الاجتماعية والدينية-المترجم

٤- هي العاصمة الحالية لجمهورية تتارستان عضو الاتحاد الروسي -المترجم

القرن العشرين أظهرت الدراسات مدى التقارب بين تتار كاسيموف والتتار في كازان، كما أظهرت هذه الدراسات في الوقت نفسه مدى استقلاليتهم ككيان اجتماعي أو كقوم قائم بحد ذاته[1].

و جرت عملية تكوين وقيام التتار الكاسيموف ككيان اجتماعي مستقل في القرن الخامس عشر، في عهد دولة الخانات القاسمية (كاسيموفية)، التي كانت على علاقة مميزة مع الدولة الروسية حينها، وبعد سيطرة الحملة الروسية عام ١٤٨٧م على كازان، أصبحت دولة الخانات القاسمية خاضعة كلياً لسيطرة الدولة الروسية. وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي دخلت مجموعات كبيرة من الروس وامتزجت مع التتار وترك هؤلاء أثراً واضحاً على الثقافة التتارية. وكان أحفاد (علا محمد) حاكم دولة الخانات الكازانية هم الذين حكموا دولة الخانات القاسمية حتى عام ١٤٨٦م، وجاء بعدهم أتباع قادة دولة الخانات في شبه جزيرة القرم، حيث حكموا هناك منذ عام ١٤٨٦ وحتى ١٥١٢م. وجاء أخيراً أتباع قادة دولة خانات آسترخان، الذين فقدت كاسيموف في عهدهم بقايا استقلالها وتحولت إلى إمارة تابعة. وبعد هذه المرحلة تربع على عرش السلطة عند التتار القاسيميون، زعماء من دولة الخانات الكازاخية (كازخستان)، والخانات السيبيرية. ومنذ السبعينيات في القرن السادس عشر بدأت عمليات التبشير المسيحي بين التتار الذين هم بالأساس من المسلمين. وكانت البداية من أمراء كاسيموف، (اعتنق المسيحية في عام ١٥٧٣م ساين بولات، وأعطي اسم سيمون. وفي عام ١٦٨٢م اعتنق الأمير سعيد برهان المسيحية وأعطي اسم فاسيلي) وكانت أمه فاطمة سلطان آخر الحكام في دولة الخانات التتارية القاسمية (التتارية الكاسيموفية).

لعبت دولة الخانات التتارية القاسمية دور الخط الدفاعي للدولة الروسية، على طول ضفاف نهر (أوكا)، لهذا فقد ساهم السكان في مختلف المعارك إلى جانب

١- هناك الكثير من العوامل التاريخية والاجتماعية والسلالية القديمة والدينية التي تدفع إلى اعتبار التتار في كاسيموف جزءاً من التتار ككل في الاتحاد السوفييتي، وفي الوقت نفسه لا يمكن القول انهم ابناء تلك الأرض التي تقوم عليها اليوم جمهورية تتارستان، فهم كيان اجتماعي قائم بحد ذاته ضمن منطقة تواجده الجغرافية منذ زمن -المترجم.

القوات الروسية. كما استعانت الحكومة الروسية بالمواطنين من أصل تتاري للقيام بمهمات سياسية دبلوماسية، فأوفدت الرسل والممثلين الدبلوماسيين منهم.

مارس التتار في كاسيموف الأعمال الزراعية بشكل رئيسي، إلى جانبها كانت تربية الحيوانات. وكانت هناك أعمال مثل صيد السمك والعمل في الميناء. وانتشرت لديهم الكثير من الصناعات التي كانت حكراً على طبقة التابعين للإقطاعيين (عمال نحت الحجارة، الحدادين، وصناع الحلي والمجوهرات، وغيرهم) وكان هناك بعض التتار الذين استفادوا من خدمات هؤلاء الصناعيين والحرفيين. كما اشتهرت عندهم أعمال غزل الصوف ونسجه، إضافة إلى معالجة الجلود وتصنيعها، وصناعة الحجارة الخاصة للبناء، والحدادة. وما زالت بعض الأبنية التي شُيدت من الحجارة واقفة حتى يومنا شاهد على مدى ما توصل إليه التتار من مستويات في فن العمارة باستخدام الحجارة والمعادن.

مارس التتار أعمال التجارة، فكانوا يبيعون الخبز والعسل والشمع والفراء والجلود والأحذية الجلدية أيضاً.

حملت مرحلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي، تغيرات اجتماعية - اقتصادية جذرية في حياة التتار القاسميين، حيث صدرت مجموعة من القوانين كان لها أثر مباشر على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية. ففي منتصف القرن الثامن عشر أصدرت السلطات الروسية حينها قراراً يمنع المسلمين من امتلاك واستخدام الأراضي، وهو ما دفع بنسبة من الشرفاء (طبقة الأغنياء والملاكين) إلى اعتناق الديانة المسيحية. أما البقية من الشرفاء والإقطاعيين الذين لم يعتنقوا المسيحية فقد خسروا قراهم وما كانوا يملكون من مزارع. في غضون ذلك فقد تأثر التتار الذين اعتنقوا المسيحية بالحياة الاجتماعية الروسية وسرعان ما أصبحوا أقرب إلى الروس من أن يكونوا تتاراً. أما العمال التتار الذين كانوا يعملون سابقاً في قرى ومزارع الأغنياء والشرفاء فقد تم نقلهم للعمل في مجال إعداد الأخشاب اللازمة لبناء السفن. وهو من الأعمال الشاقة نوعاً ما. ولعدم كفاية الأراضي مارس الكثيرون من التتار القاسميون مختلف المهن. ومنذ القرن الثامن عشر اشتهرت كاسيموف التي كانت حينها مركزاً إداريا تابعاً للدولة الروسية بالكثير من الصناعات لعل أهمها فراء الحملان وجلودها، التي نقلها

التجار التتار إلى الأجزاء الجنوبية من روسيا. وأقام التجار القاسيميون علاقات تجارية متينة مع التجار في كازاخستان، ومعظم دول آسيا الوسطى.

منذ القرن السابع عشر بدأت هجرة التتار القاسميون نحو موسكو. وبعد قرن تقريباً، أي الفترة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تطورت العلاقات التجارية بين التتار القاسميون والسلالات التتارية الأخرى المتواجدة في مختلف مناطق روسيا. ومع بداية القرن العشرين وتحت تأثير مختلف العوامل بدأت هجرة التتار القاسميون من كاسيموف باتجاه مختلف المدن الروسية، وكان عددهم في كاسيموف قد وصل إلى ٥٧٩٧ نسمة في عام ١٧١٧م، ليصبح قرابة ٤٤١٣ نسمة في عام ١٩١٧م، في هذا الوقت كانت تجري عملية تضامن والتحام اجتماعي بين التتار القاسميون وبقية التتار في مناطقهم المختلفة. مع نهاية القرن التاسع عشر أصبح تتار قاسيموف جزءاً من النظام التثقيفي الإعلامي الذي يشمل كل التتار (التدريس، إصدار صحف خاصة بهم باللغة التتارية وغيره من نشاطات شملت كل أجزاء السلالة التتارية).

تتار شبه جزيرة القرم

اسمهم حسب لغتهم (كريم تتارلار) وفي المصادر الروسية التي يعود تاريخها إلى القرن السادس عشر ورد ذكرهم باسم (القرميون - التتار القرميون)[1] ويعرفون في وقتنا الحالي بهذا الاسم. يبلغ عددهم في جمهورية روسيا الاتحادية ٢١.٢ ألف نسمة، وفي أوكرانيا ٢٧٠ ألف نسمة يتمركزون بشكل رئيسي في شبه جزيرة القرم ومقاطعة خيرسون. ويعيش بعضهم في أوزبيكستان. يتحدثون باللغة التتارية - القرمية[2]، ولديهم عدة لهجات منها اللهجة الشمالية، والوسطى، ولهجة الشواطئ الجنوبية، أي أن للتتار في كل منطقة من مناطق شبه جزيرة القرم لهجتهم الخاصة. لغتهم الأدبية قريبة من اللغة التركية والكوميكية، ولغة بعض أقوام كارتشايف - بولكاريا، وكذلك للغة اليونانيين في منطقة بحر الخزف. تُكتب لغتهم باستخدام الأحرف الروسية (انتقلوا إلى الأحرف اللاتينية منذ العام ١٩٩٢م). تتار شبه جزيرة القرم من المسلمين السنة.

يدخل في بنيتهم الاجتماعية ثلاث مجموعات بشرية: تتار السهول (التتار الناغاي) وتتار المناطق الجبلية (تات أو تاتلار) وتتار الشواطئ الجنوبية (الناغاي أو ناغايلار)،

١- نسبة لشبه جزيرة القرم التي كانت جزءاً من روسيا السوفييتية وما قبل السوفييتية واصبحت بعد سقوط الاتحاد السوفييتي جزءاً من اوكرانيا وهي من نقاط الخلاف بين الجانبين الروسي والأوكراني تم وضع حل له بوضع شبه الجزيرة تحت سيطرة الدولة الأوكرانية مع السماح لروسيا بالحفاظ على تواجد اسطولها البحري هناك حيث تُعتبر المنطقة من اهم المناطق استرانيجية لروسيا على ضفاف البحر الأسود، ويشكل الأسطول الروسي البحري في البحر الأسود النواة الرئيسية للقوات البحرية الروسية-المترجم

٢- هي اللغة التتارية المعروفة لعموم التتار لكنها، مثل لغة التتار القاسميون ايضاً تتميز ببعض الخصوصيات وتحديداً في مجال اللهجة، مع وجود فروق بسيطة بينها وبين لغات بقية الأقوام التتارية-المترجم

وتمت عملية تعايش وتمازج المجموعتين الثانية والثالثة مع المجموعة الأولى، إضافة إلى امتزاج هذا الخليط البشري مع القبائل التركية كخطوة نحو قيام تتار شبه جزيرة القرم (التتار القرميون). وكانت مجموعات القبائل الناطقة بالتركية قد دخلت إلى المناطق الشمالية من شبه الجزيرة قادمة من السهول القريبة من البحر الأسود (الخزر دخلوا المنطقة في القرن السابع. بولوفيتي دخلوا المنطقة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) إضافة إلى مختلف المجموعات البشرية التي كانت مرافقة لحملات التتار مغول في القرن الثالث عشر، منهم مجموعة القبائل التي يسيطر عليها الخان (ناغاي) ومن اسمه أتت تسمية تتار السهول بالناغاي. أما المناطق الجنوبية فكانت القبائل الناطقة بالتركية هي التي استقرت فيها، أثناء الحملة السلجوقية في الفترة بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلادي. الشعوب اليونانية - البيزنطية، الأرمن والإيطاليين الجينويين (القرن ١٢-١٥ ميلادي كانت الشواطئ الجنوبية من شبه الجزيرة واقعة عملياً تحت سيطرة وسلطة الجمهورية الإيطالية المعروفة حينها باسم فينتسا - البندقية، وبعدهم خضعت لأهل جنوا)، التي كانت قد وصلت إلى شبه الجزيرة واستقرت فيها قبل القبائل التركية، إضافة إلى الأتراك من الدولة العثمانية وبعض الشعوب القادمة من القفقاس، كلها امتزجت مع مجموعة القبائل التركية التي دخلت المنطقة أثناء الحملة السلجوقية. وكان للدولة العثمانية أثر كبير على شعوب شبه الجزيرة، وأقاموا هناك دويلة تابعة للدولة العثمانية في العام ١٤٤٣م، ومنذ عام ١٤٧٥م وحتى ضم القرم إلى روسيا عام ١٧٨٣م، كانت شعوبها تعيش متأثرة وشبه مسيطر عليها من قِبل الإمبراطورية العثمانية بينما كانت الشواطئ الجنوبية جزءاً من هذه الإمبراطورية وتابعة لها بشكل مباشر.

شكل التتار مع نهاية القرن الثامن عشر الأغلبية بين سكان شبه جزيرة القرم، لكن السياسة الروسية وموجتي الهجرة نحو شبه الجزيرة (١٧٩٠-١٨٥٠م) جعلتهم أقلية هناك باستثناء المناطق الجنوبية والجبلية. إحصائية عام ١٨٩٧م تشير إلى أن عدد التتار في شبه جزيرة القرم بلغ ذلك العام ١٨٦,٢ ألف نسمة، أي شكلوا نسبة (٣٤.١٪ من مجموع سكان شبه الجزيرة) وفي عام ١٩٢١م بلغ عددهم ١٨٤.٦ ألف نسمة أي نسبة (٢٥.٩٪ من مجموع السكان) وعلى الرغم من تزايد عددهم في السنوات اللاحقة إلا أن

تزايد الهجرات المختلفة نحو شبه جزيرة القرم أدى إلى تراجع نسبتهم مقارنة بمجموع السكان هناك. ففي عام ١٩٣٩م بلغ عددهم ٢١٨.٨ألف نسمة، إلا أنهم شكلوا نسبة ١٩.٤٪ من سكان شبه الجزيرة. في تلك المرحلة انتقلت أعداد كبيرة من التتار ليستقروا في مدن (يالطا، سيمفروبل، وسيفاستوبل).

دولة شبه جزيرة القرم التي تم تأسيسها كعضو في الاتحاد الفيدرالي الروسي السوفييتي عام ١٩٢١م، تم إلغاؤها وحلها عام ١٩٤٥م. في عام ١٩٤٤م تم ترحيل مئات الآلاف من التتار من شبه الجزيرة بصورة إجبارية ونقلهم إلى مناطق آسيا الوسطى وسيبيريا والمنطقة الوسطى من ضفاف الفولغا. وتُشير المعلومات التاريخية إلى أن ٤٦٪ من المهجرين أو المبعدين قد لقوا حتفهم أثناء عملية الترحيل، وتحديداً خلال الأشهر الأولى منها (حسب معلومات الحركة القومية للتتار في شبه جزيرة القرم). في عام ١٩٦٧م أُعلن عن إعادة الحقوق الدستورية للتتار في شبه جزيرة القرم، لكن هذا القرار لم يكن ينفذ بشكل تام في الحيز العملي، حيث كانت الأجهزة المسؤولة غالباً ما تُعيق وتعقد عملية تسجيل الإقامة الدائمة للتتار العائدين إلى شبه الجزيرة.

هذه السياسة أدت إلى قيام مناطق إدارية جديدة يقيم فيها التتار بالقرب من شبه جزيرة القرم، على الأراضي الأوكرانية، في مقاطعة خيرسون مثلاً، وفي مقاطعتي كراسنودار وستافروبل الروسيتين. ومنذ العام ١٩٨٠م بدأت عملية هجرة عكسية للتتار باتجاه شبه جزيرة القرم وانتشروا بدايةً في المناطق السهلية ومن ثم الجبلية إلى أن عادوا إلى الشواطئ الجنوبية لشبه الجزيرة. وحسب المصادر الرسمية فقد انتقل إلى شبه الجزيرة خلال عام ١٩٩٠م أكثر من ٣٥ ألف تتاري. وخلال الفترة بين عامي ١٩٩١-١٩٩٣م بلغ عددهم في شبه الجزيرة ٢٧٠ ألف نسمة.

التتار السيبيريون

يُعرفون باسم سيبر تار - سيبيرتاتالار يبلغ عددهم في روسيا الاتحادية قرابة ١٩٠ ألف نسمة (يتمركزون في مقاطعات نوفسيبيرسك، كيميروفسك، تومسك، أومسك، وتيومين). يعيش بعضهم في كازخستان وبعض جمهوريات آسيا الوسطى، حيث يبلغ إجمالي عددهم هناك ٢٠ ألف نسمة. لغتهم هي التتارية - السيبيرية، وفيها عدة لهجات تختلف بين مدينة وأخرى. التتار في سيبيريا هم من المسلمون السُنَّة.

نشأت سلالة التتار السيبيريين من خلال تمازج وتعايش مجموعات من القبائل فيما بينها، ويدخل في بنية هذه السلالة قبائل (الأوغور، السامدينيون، إضافة إلى بعض القبائل الناطقة بالتركية وقبائل أخرى من مجموعة القبائل التتار - مغولية) ومعهم الكثير من المجموعات البشرية التي تنتمي إما إلى القبائل التركية أو تلك التي وصلت المنطقة خلال حملة جنكيز خان. كل هذه القبائل والشعوب إضافة إلى شعوب كانت تعيش في سيبيريا قبل ذلك، كونت مع الوقت ما نسميه اليوم تتار - سيبيريا، أي التتار الذين يعيشون منذ القدم في منطقة سيبيريا. وتؤكد المصادر التاريخية القديمة أن القبائل التركية شكلت النواة الرئيسية لنشأة السلالة التتارية في المنطقة، حيث وصلت هذه القبائل إلى مناطق سيبيريا عبر طريقين، من الشرق عبر منطقة (مينوسينسك) ومن الجنوب من آسيا الوسطى عبر منطقة (ألتاي). ويبدو أن القبائل التركية القديمة هي من أول الشعوب التي استقرت في مناطق التتار، وكانت لهم دولة عُرفت باسم (الكاغانات) وفي أومسك لعبت القبائل القرقيزية الدور الرئيسي في تتريك شعوب المنطقة (أي أثرت على لغتها وحياتها الاجتماعية بشكل كبير).

و من القبائل التركية التي دخلت في تركيبة سلالة تتار سيبيريا نذكر: الأيالي، الكورادكي، التورالي، التوكوزي، وغيرها. ومن المحتمل أن القبائل القديمة

هي التي شكلت الأغلبية والأساس في بنية التتار هناك، وليست قبائل الكيبتشاكي كما يعتقد البعض. فالكيبتشاكي وصلت إلى مناطق التتار في سيبيريا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، أي في وقت كانت فيه عملية تمازج مختلف المجموعات البشرية قائمة لتُكون فيما بعد تتار سيبيريا. ففي فترة القرنين التاسع والعاشر الميلاديين اتجهت نحو أراضي التتار السيبيريين وتحديداً نحو منطقة (تومسك)، قبائل الكامي، التي خرجت منها فيما بعد قبائل وشعوب الكيبتشاكي. وتم تسجيل تواجد قبائل مثل (الهاتانوف، والكارا - كيبتشاكي، والنوغايف) في تلك المناطق المذكورة سابقاً منذ القرن التاسع الميلادي. وفي وقت متأخر اندمج مع مجموعات الشعوب والقبائل المتواجدة في تلك المناطق، قبائل (الأويغور الصفر، والبوخاريون[1]، والأوزبيك، والتيليوتي، إضافة إلى قبائل الكازاخ والتتار الميشاريين، ومجموعة من قبائل البشكير) وقد تمازج هؤلاء مع المجموعات البشرية المستقرة في بارببنسك، وتومسك. هذه القبائل والمجموعات، ما عدا الأويغور الصفر، هي التي أدت إلى تقوية دور مجموعات قبائل الكيبتشاكي في تكوين سلالة التتار السيبيريين[2] وجعلتها الأكثر عدداً من بين بقية الأعراق والمجموعات التي ساهمت في عملية نشوء التتار في سيبيريا.

شكلت قبائل (الأوزبيك والطاجيك إضافة إلى وجود نسبة ضئيلة بينهم لقبائل الأويغور، والكازاخ، والتركمان، ويُعتقد أن قبائل الكاركالابكي كانت معها أيضاً)، الجزء الرئيسي من القبائل البوخارية التي دخلت منطقة سيبيريا. أما مجموعات التتار التي وصلت المنطقة فكان بينها تتار منطقة كازان، ومنطقة ميشاري، والتتار الكرياشيون[3].

١- نسبة لمدينة بُخارى في آسيا الوسطى(اوزبيكستان). ـالمترجم

٢- ستجد من خلال الاطلاع على تاريخ نشوء الكثير من الشعوب والسلالات في آسيا الوسطى والقفقاس ووسط روسيا، ذكر في اغلبها لقبائل الكيبتشاكي ودورها في تكوين هذه الشعوب، واثر الكيبتشاكي على الحياة الاجتماعية للشعوب التي دخلت في بنيتها وكذلك تأثر هذه الشعوب بلغة الكيبتشاكي الناطقة بالتركية.ـالمترجم

٣- هم من المجموعة الضئيلة التي اعتنقت المسيحية. ـالمترجم

أثناء الحملة التتار - مغولية في القرن الثالث عشر، دخلت منطقة سيبيريا بما فيها مناطق تواجد التتار تحت سيطرة الدولة التتر - مغولية التي أسسها الخان (باتييم)، التي سقطت في النصف الأول من القرن الخامس عشر ميلادي. في القرن الرابع عشر تميزت دولة الناغاي، التي عرفت حينها باسم (الأوردا الذهبية) وشغلت المساحات بين الفولغا والأورال، وشغلت بعض مناطق ما وراء الأورال.

كانت الخانات التتارية هي أقدم وأول دولة أسسها التتار السيبيريون في القرن الرابع عشر ميلادي. وكان مركزها مدينة تشميغ - تورا، وهي المعروفة حالياً بمدينة تيومين. بعد ذلك وقعت هذه الدولة تحت سيطرة دولة الخانات الأوزبيكية بزعامة أبي الخير. وفي النصف الثاني من القرن الخامس عشر وقعت دولة التتار تحت سيطرة (إيباك) من سلالة وأحفاد شايبان إيدوف، الذي ينتمي إلى الناغاي. في عام ١٤٩٥م قُتل إيباك أثناء صراعه على السلطة مع الأمراء المحليين من سلالة الأمير طيب الدين. حينها أصبحت قرية سيبير أو (كاشليك) عاصمةً لدولة التتار في سيبيريا، ومن هنا جاءت تسمية دولة (الخانات السيبيرية) نسبة لقرية سيبير في الوقت نفسه كانت دولة الخانات التيومينية قائمة بجوار الخانات السيبيرية، وانتهت سلطة الاثنين في مطلع القرن السادس عشر.

في عام ١٥٦٣م سيطر على السلطة في سيبيريا (كوتشمو) وقام بقتل كل أمراء التتار. وفي عهده تحولت دولة التتار إلى أجزاء صغيرة يحكمها الباشاوات وما كان يساويهم في المستوى الاجتماعي من شرفاء. في تلك المرحلة من تاريخ التتار بدأت عملية تأثرهم وتأثيرهم بالجيران من الشعوب المحلية مثل المنسي والخانتي، ونمت علاقاتهم التجارية والثقافية، حتى أن علاقات القرابة قامت بينهم من خلال تكوين أسر كثيرة مختلطة، وهذا ما أدى مع الوقت إلى قيام مجموعات بشرية مختلطة تقع في الوسط اجتماعياً وثقافياً ودينياً بين التتار وجيرانهم من شعوب سيبيريا. وهكذا فقد استمرت عملية نشوء سلالة التتار في سيبيريا على مر الكثير من القرون وكانت الفترة بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ميلادي من أهم المحطات في هذا الاتجاه.

إن تاريخ السلالة التتارية في حدود الدولة الروسية لم يكن تاريخياً بسيطاً. والسبب في هذا هو الترحيل الذي تعرضوا له نحو المناطق الغربية من سيبيريا، وهذا ما أدى إلى اختلاطهم بالكثير من الشعوب والأقوام في سيبيريا وحتى الاندماج معهم في

بعض الحالات. إلا أن الوقت كان كفيلاً بتحديد المناطق الجغرافية للتتار في سيبيريا، وعلى الرغم من انتشارهم في مناطق مختلفة إلا أنهم استمروا بالتواصل فيما بينهم، وهو ما ساهم في تكاتف التتار وتأكيدهم على وحدتهم القومية على الرغم من بعد المسافات بينهم.

في الوقت الحالي لم يحدث أي تغيرات تُذكر على البنية القومية للتتار في سيبيريا. والتقسيم حسب الانتماء إلى قبيلة ما أو شعب قديم ما قد تلاشت في منطقة برانتسوف، وكذلك الأمر بالنسبة للتتار في الكثير من مناطق تواجدهم. ويرى بعض الباحثين أن التتار هم شعب قائم بحد ذاته، بينما يرى آخرون أن التتار عبارة عن سلالة لم تنتهِ عملية تكوينها كشعب مستقل قائم بحد ذاته. حيث يُشير هؤلاء إلى أن البوخاريون قد انضموا نهائياً إلى تتار سيبيريا في منتصف القرن العشرين. وخلال السنوات ١٩٦٠-١٩٨٠ م لُوحظ نشاط لعملية التضامن والتكافل والتعاضد بين مختلف التتار من مختلف المناطق. حالياً فقد تم ضم تتار سيبيريا إلى التتار بشكل عام.

يعيش التتار في سيبيريا في الأجزاء الجنوبية والوسطى منها، من الأورال وحتى نهي ينيسي. حيث تنتشر قراهم بين القرى الروسية، وكثيراً ما تجد أن المواطنين الروس يعيشون في القرى التتارية، وقد تصل نسبتهم أحياناً في هذه القرى إلى ١٥-٣٠٪ من مجموع سكان القرية.

من الأعمال الرئيسية التي مارسها التتار الزراعة وتربية الحيوانات إضافة إلى الصيد البحري والنهري، ومن البحيرات، كل حسب طبيعة منطقة تواجده. فلدى التتار في منطقة الفولغا أورال كانت الأعمال الزراعية هي الرئيسية. بينما كانت أعمال الصيد تحتل مكانة مهمة لدى التتار في شبه جزيرة القرم وفي سيبيريا.

أما الألبسة التقليدية فهي متشابهة بين مختلف المجموعات التتارية مع وجود فروق بسيطة أحياناً. في القرن التاسع عشر استخدم التتار الكازانيون أقمشة الجوخ لتصنيع ألبستهم، إضافة إلى الكثير من الأقمشة الصناعية. أما قديماً فكان اللباس عند الرجال يتألف من قميص وعباءة فضفاضة تكون أحياناً من دون أكمام أو بأكمام قصيرة. أما على رؤوسهم فيضعون قبعات مختلفة الأشكال إما سداسية أو ثمانية. بالنسبة للنساء فقد كانت تحاك عباءاتهن من المخمل وتُزين بالفراء والحلي على

الأطراف وفي الوسط. على رؤوسهن يضعن غطاء غالباً ما يُحاط بما يشبه التاج يكون مرصعاً بالحلي والأحجار الكريمة[1].

بالنسبة للأعراس فقد جرت العادة لدى كل التتار تقريباً أن يتفق الطرفان أثناء الخطبة والاحتفالات على كمية الهدايا التي يجب أن يقدمها أهل العريس إلى أهل العروس، إضافة إلى قيمة المهر الذي سيدفعه العريس. يتم الزواج عندهم بالطريقة الإسلامية، ويترافق كتب الكتاب مع احتفالات كبيرة تفترش الطاولات أثناءها بألذ وأفخر الأطعمة، لكن الاحتفالات هذه تجري من دون مشاركة العروسين وتجري عادة في بيت العروس. ولا يخرج العروسان إلا بعد دفع المهر (أموال وكسوة كاملة للعروس ومستلزمات الفرح من طعام وشراب وغيره) قبل ذلك، خلال فترة الخطبة يزور الشاب خطيبته مرة في الأسبوع كل يوم خميس، ويستمر الوضع على هذه الحال أحياناً حتى بعد الزواج وبعد أن تنجب الزوجة مولودها الأول، عندها تنتقل إلى بيت زوجها. وما يميز هذه الاحتفالات لدى التتار في كازان هو أن تجري للنساء والرجال بشكل منفصل.، بينما لم يكن هذا الأمر على هذا النحو الصارم لدى بقية التتار، أما التتار الكرياشيون

١- إن المعلومات التي جاءت في الموسوعة تتناول بشكل رئيسي نشأة التتار كشعب وكيف تمت هذه العملية وما هي القبائل والشعوب التي قامت على أساسها سلالة الشعب التتاري في روسيا وفي الجمهوريات السوفيتية. كذلك الأمر بالنسبة للأعمال التي مارسها التتار تقليدياً، إلا أن الوضع قد اختلف اليوم في الكثير من العناصر المذكورة هنا، فالأعمال الرئيسية لدى التتار في وقتنا الحالي هي انشغالهم بمختلف المجالات الصناعية، حيث تعتبر اراضيهم في سيبيريا وفي جمهورية تتارستان من الأراضي الغنية بالنفط والغاز وهو ما ساهم بانتشار مختلف الصناعات الحديثة والمعامل الكبيرة مثل مصانع السيارات وما إلى ذلك إضافة إلى استخراج النفط والغاز وما يتبع ذلك من مؤسسات صناعية واقتصادية. كما نرى أنه من الضروري الإشارة إلى ان نسب تواجدهم في مختلف المناطق قد اختلفت نوعاً ما في وقتنا الحالي فالتتار يتواجدون بشكل رئيسي في مجموعة المدن المحيطة بالعاصمة موسكو والمسماة (الحلقة الذهبية). ولا يمكن تجاهل الدور الذي يلعبونه في الحياة الاجتماعية والصناعية لتلك المدن.الأمر الآخر المهم هو ان التتار مع البشكير يشكلون النسبة العظمى من مسلمي روسيا ويلاحظ عودتهم نحو التعاليم الاسلامية التي كانت سائدة عندهم سابقاً، حيث شيدت مئات بل آلاف المساجد في مناطق تواجدهم وشكلوا مختلف المؤسسات والهيئات الدينية المعنية برعاية شؤونهم الإسلامية أخيراً فإن التتار هم من أقرباء البشكير وكل ما جاء من ملاحظات في هذا الهامش عن التتار يشمل البشكير أيضاً. ـالمترجم

فأفراحهم تختلف وتجري مختلطة لأنهم من أتباع المسيحية. كان الاحتفال بالزفاف لدى الميشاريون يترافق مع المولد وبعض الشعائر الدينية الجماعية مثل الأناشيد في المسجد، بينما تكون الاحتفالات جارية في المنازل للنساء، وتقتصر على الأقارب فقط.

الأعياد الشعبية الرئيسية لدى التتار هي قسمان، بعضها جاء من الحقبة التي سبقت اعتناق التتار للإسلام، وبعضها من الأعياد الإسلامية. من الأعياد القديمة لديهم عيد يرتبط بحياتهم الزراعية ولم يكن لهذا العيد تاريخ أو يوم محدد من أيام الأسبوع فالأمر كله يعود إلى حالة الجو، فهو يبدأ عندما تبدأ الثلوج بالذوبان وتصبح الحقول جاهزة لرش البذار. يُعرف هذا العيد باسم السابنتوي. كانت كل قرية تقيم هذا العيد حسب الحالة الجوية السائدة عندها. وكانت تجري خلال هذا العيد مختلف الفعاليات والنشاطات مثل المبارزات والسباق، والرقص الجماعي والغناء ويتم بعد ذلك تجميع الهدايا لمكافئة الفائزين. الأمر الرئيسي والمهم في هذا العيد هو الجانب المتعلق بالأطفال حيث تُعد النسوة لهم بعض الأطعمة الخاصة التي تُطهى بأقدار كبيرة وتُوزع عليهم، كما يقوم الأطفال بتجميع البيض الملون الذي يتم صبغه بمناسبة هذا العيد[1].

عيد آخر لدى التتار في كازان[2] اسمه (الجني). وتجري فعاليات هذا العيد حسب برنامج يشمل كل القرى ولكل قرية يومها الخاص حيث تستمر الاحتفالات من قرية لأخرى بين نهاية أيار/مايو وحتى بداية شهر حزيران/يونيو. والمناسبة هي دخول موسم الحصاد. وساد نوعان من عادات الاحتفال بهذا العيد، المشترك بينهما: استقبال الضيوف من القرى المجاورة، التي تُقيم عيدها في يوم آخر مضى أو سيأتي. وللاستقبالات هذه قواعدها وتقاليدها حيث تشمل الغناء الجماعي والرقص للشبان والكثير من الفعاليات المحددة وفق التقاليد المتعارف عليها.

هناك الأعياد الدينية عند التتار المسلمين مثل عيد الأضحى وعيد الفطر، أما لدى التتار المسيحيين، وهم أقلية قليلة، فهناك أعيادهم التي يحتفلون بها أيضاً.

١- يتضح هنا أن هذا العيد قد تأثر نوعاً ما من حيث بعض فعالياته بالأعياد المسيحية التي يتم فيها صبغ البيض وتقديمه للضيوف والأصدقاء. وهذا يدل على ان التتار يتفاعلون فيما بينهم على الرغم من تواجدهم في مناطق مختلفة وبعيدة عن بعضها، حيث تأثر التتار المسلمون بالتتار المسيحيين ما يؤكد صلابة البنية القومية للتتار على مختلف أديانهم-المترجم

٢- أصبح هذا العيد منتشراً في وقتنا الحالي لدى التتار والبشكير في معظم مناطق تواجدهم -المترجم

شعوب

آسيا الوسطى

الأوزبيك

اسمهم (أوزبيك) ويسمون أنفسهم أيضاً (سارتي). هم السكان الأصليون لأراضي أوزبيكستان حيث يبلغ عددهم فيها نحو خمسة عشر مليون نسمة.

وينتشر الأوزبيك في عدد من الدول المجاورة: ١٢٦,٩ ألف نسمة في روسيا الاتحادية (عام ١٩٨٩). ١١٩٧,٨ ألف نسمة في طاجيكستان، ٥٥٠ ألف نسمة في قرغرستان، ٣٣٢ ألف نسمة في كازاخستان، ٣١٧,٣ ألف نسمة في تركمنستان ولا يمكن نسيان عددهم في أفغانستان حيث يقطن هناك قرابة ١,٧ مليون أوزبيكي، وأخيراً ١٥ ألفاً منهم في الصين. يبلغ إجمالي عدد الأوزبيك في العالم قرابة ١٨,٥ مليون نسمة. لغتهم هي الأوزبيكية، وفيها عدة لهجات منها (الكارلوسية،



رجلٌ أوزبيكي



مقام الشيخ زِندة في سمرقند

الكارلوسا - تشيغلو أويغورية، واللهجة الكيبشتاكية، والأغواوزية، وغيرها من لهجات أخرى. ويستخدم الأوزبيك بشكل واسع اللغات: الروسية - الطاجيكية. وتكتب اللغة الأوزبيكية باعتماد أحرف الأبجدية الروسية. الأوزبيك مسلمون سنيون.

جرت عملية تشكيل الشعب الأوزبيكي في منطقة في آسيا الوسطى تسمى بين الأنهر، لكثرة الأنهر فيها مقارنة ببقية مناطق آسيا الوسطى. وساهم في تشكيل سلالة الأوزبيك، عدد من الأقوام والقبائل الناطقة بلغة القبائل المتواجدة في المناطق الشرقية من إيران، من هذه القبائل نذكر: السجديين، الباكتريسيين، الخوارزميين، الغرغانيين، الساكو - ماساغيتيين.

ومع هذه القبائل الناطقة بالإيرانية هناك القبائل الناطقة بالتركية التي أخذت تتوافد مهاجرة إلى مناطق آسيا الوسطى (بين الأنهر)، وكان هذا على حدود المرحلة الميلادية من التاريخ التي يقول المؤرخون أنها شهدت تغيرات ديموغرافية وتحرك نشط لمختلف الأقوام والقبائل في المناطق المركزية من آسيا الوسطى وكذلك المناطق الشمالية الشرقية منها. ومنذ وقوع آسيا الوسطى تحت سيطرة دولة (الكاغانات التركية) أخذ عدد القبائل الناطقة بالتركية يتزايد، وكان هذا في القرن السادس الميلادي. وخلال القرون القادمة جرت عملية تقارب وتمازج القبائل الإيرانية والتركية واندماجها فيما بينها لاحقاً ليتلاشى انتماء كل منها ويظهر وسط اجتماعي جديد حصيلة الامتزاج.

وهكذا نشأت سلالة الشعب الأوزبيكي. ونشط الأوزبيك بشكل واضح في الفترة بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي، حين كانت آسيا الوسطى تحت سيطرة اتحاد القبائل التركية التي يتزعمها سلالة الكاراهانديين.

بعد الحملة التتار مغولية على آسيا الوسطى، جرت عمليات اجتماعية إضافية ساهمت في استمرار تكون سلالة الشعب الأوزبيكي، حيث أدت هذه الحملات إلى زيادة تواجد القبائل الناطقة بالتركية إضافة إلى امتزاج القبائل المغولية مع الشعب الأوزبيكي. وهكذا فإن القرن الثالث عشر وما جرى فيه من أحداث تاريخية أهمها حملة التتار - مغول قد ترك أثره على بنية الشعب الأوزبيكي. وكانت المرحلة النهائية

لتكوين الشعب الأوزبيكي في فترة حكم (تيمور وسلالته) خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي. وفي وقت متأخر ثبتت بنية الشعب الأوزبيكي الذي امتزج معه في هذه المرحلة الأقوام التي تعرف باسم (الأوزبيك - الديشكيبتشاكيون)، وهو اسم قبائل الرعاة الرحل التي كانت تقيم في الأجزاء الشرقية من الدولة التتار مغولية في عهد الخان أوزبيك في القرن الرابع عشر الميلادي. وكانت هذه القبائل قد دخلت إلى مناطق الأوزبيك قادمة من أراضي السهول الكازاخية نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر، وكان على رأسها في ذلك الوقت الخان الشيباني.

مع بداية القرن العشرين برزت بين الأوزبيك ثلاث مجموعات أو سلالات عرقية كبيرة، هي:

١- الشعوب القديمة التي كانت تعيش مستقرة في منطقة أوزيسوف، وهي قبائل كانت قد حافظت على طبيعة حياتها «نصف رحل»، وهم أحفاد القبائل التركية المقيمة في منطقة بين الأنهر، وامتزجت مع الأغوآوز. والقبائل الترك مغولية التي وصلت المنطقة مع جيوش جنكيزخان.

٢- أحفاد سلالة قبائل الديشكيبتشاكين التي انتهت عملية تحولها إلى الاستقرار عوضاً عن الترحال في مطلع القرن العشرين. وزاد عدد المجموعة البشرية الأولى عن بقية المجموعات حيث كانت نسبتهم هي الغالبة من حيث التواجد في المدن الرئيسية والقرى الكبيرة.

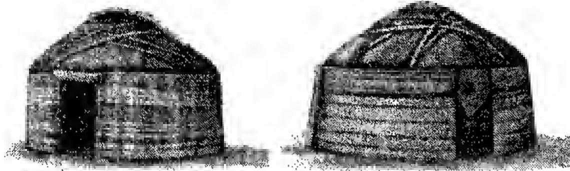
والمجموعة التي وصلت مع جيوش جنكيزخان فهي أقل عدداً من المجموعتين المذكورتين.

٣- بعد انضمام خانات آسيا الوسطى إلى روسيا في القرن التاسع عشر، تمت تقوية وتوطيد العلاقات الاجتماعية والقومية بين أبناء مختلف السلالات التي تدخل في تركية الشعب الأوزبيكي.

في عام ١٩٢٤ تم تأسيس جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفييتية. وبقيت ضمن الاتحاد السوفييتي حتى سقوطه عام ١٩٩١ م، حيث أعلن عن قيام جمهورية أوزبيكستان.

يعيش في أوزبيكستان أعداد من الروس، يتمركزون بشكل رئيسي في المدن (٨٢٪ منهم يعيشون في المدن) ويتعامل مع اللغة الروسية على أنها اللغة الأم الأصلية ١٨.١٪ الروس - الأوزبيكيون، ويتقن اللغة الروسية بشكل ممتاز ٦٨.٢٪ من الأوزبيك، بينما لا يعرف ١٦.٢٪ من الروس - الأوزبيك لغتهم الأم.

التركمان



أشكال اليورت - المسكن التقليدي عند التركمان



أسرة تركمانية أمام مسكنها «اليورت»

التركمان هم السكان الأصليون لأراضي جمهورية تركمنستان الحالية، وهم من الشعوب الرئيسية المستوطنة في مناطق آسيا الوسطى. يبلغ إجمالي عددهم ٤٣٠٠ ألف نسمة أربعة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة. وفق إحصائيات عام ١٩٨٩ يتوزعون على النحو التالي: ٣٩٧٠٠ نسمة في روسيا الاتحادية، ٢٥٣٦،٦ ألف نسمة في تركمنستان، ١٢١،٦ ألف نسمة في أوزبيكستان، ٢٠،٥ألف نسمة في طاجيكستان، ٩٠٠ ألف نسمة في إيران، وما يقارب ٤٠٠ ألف نسمة في أفغانستان، و٣٠٠ ألف نسمة في العراق، ١٢٠ ألف نسمة في تركيا، ويعيش أعداد منهم في سوريا والأردن.

لغتهم هي التركمانية، التي يتميز فيها ثلاث مجموعات من اللهجات الرئيسية. تُكتب التركمانية باستخدام أحرف الأبجدية الروسية. التركمان مسلمون من أهل السنة.

من أقدم القبائل التي ساهمت في تكوين السلالة التركمانية كانت القبائل الرُحّل القديمة الناطقة بالإيرانية، والقبائل نصف الرحل، منها نذكر: الداخي، الماساغي، وفي وقت لاحق قبائل الإيفتالي، والسارماتالاني، التي استقرت كلها في

الأجزاء الشمالية من تركمنستان. وساهمت القبائل الإيرانية التي اتصفت طبيعة حياتها بالمستقرة، أي تلك القبائل التي كانت تمارس أعمالاً مثل الزراعة وغيرها من تلك التي لا تتطلب الترحال والتنقل الدائمين، ساهمت هذه القبائل أيضاً بتكوين سلالة التركمان. وخلال الفترة ما بين القرنين الرابع والسادس ميلادي تعرضت هذه القبائل كلها للتريك (تأثرت ثقافتها ولغتها باللغة التركية التي أصبحت الطاغية عندهم مكان الإيرانية).

وفي الفترة ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديين، شهدت الأراضي التركمانية تدفقاً كبيراً لقبائل الآغووز، وهو الأمر الذي أثر بشكل كبير في عملية تكوين السلالة التركمانية، ولم تتوقف الآثار عند الثقافة واللغة، بل ظهرت أيضاً في الشكل الخارجي (سحنة الوجه) للتركمان. وكان الجزء الرئيسي من هذه القبائل التي وصلت المنطقة في القرن الحادي عشر مع السلاجقة، قد استقروا في تركمنستان، وبدأت عملية اندماجهم مع السكان المحليين وتمازجوا معهم. وفي وقت لاحق دخلت المنطقة قبائل أخرى ناطقة بالتركية لا يعود أصلها إلى مجموعة الآغووز، مثل قبائل الكيبتشاكي، الجيلياري، وغيرها من تلك التي وصلت المنطقة مع الجيوش التتار - مغولية في بداية القرن الثالث عشر. انتهت عملية تكوين سلالة الشعب التركمنستاني في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي، عندما نشأ بعد الحملة التتار - مغولية ما يمكن وصفه بنواة السلالة التركمانية التي ضمت مجموعات مختلفة من القبائل.

في الثمانينيات من القرن التاسع عشر تم ضم تركمنستان إلى روسيا، وبدأت في تلك المرحلة عملية إنعاش وإعادة وضع أسس لمختلف جوانب الحياة الاقتصادي منها والسياسي للتركمان. في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٢٤ تم الإعلان عن تأسيس جمهورية تركمنستان السوفييتية الاشتراكية. في عام ١٩٩١ تم الإعلان عن قيام جمهورية تركمنستان المستقلة.

الأعمال التقليدية التي مارسها التركمان تركزت على الزراعة وتربية الماشية، وهو ما أعطى حياتهم الإنتاجية العملية طابع (حياة نصف رحل). وكانت القرى مقسمة إلى قرى للرعاة، وأخرى لمن يمارسون الأعمال الزراعية. واهتم الرعاة بتربية الخراف،

والجمال والخيل، بينما كانت الحبوب والقطن من المحاصيل الرئيسية التي مارس زراعتها سكان القرى الزراعية. أما بالنسبة للأعمال المنزلية فهي كانت حصراً من المهمات التي تقوم بها النساء.

منذ القرن التاسع عشر بدأت عند التركمان صناعة السجاد اليدوي وأعمال النسيج البسيطة، وهي صناعة أخذت فيما بعد طابعاً تجارياً حين أصبح الإنتاج على درجة من الجودة جعلت منه مادة تجارية مهمة.

المسكن التقليدي عندهم هو اليورت حالهم حال معظم شعوب وقبائل آسيا الوسطى، وفي مراحل متقدمة ظهرت عندهم المنازل المشيدة من القرميد. وعند سكان المناطق المطلة على بحر قزوين، كانت تشيد المنازل من الأخشاب، ويكون المنزل من حجريتين أو ثلاث حجر، بينما تكون المنازل الحجرية والقرميدية من أربع إلى خمس حجرات.

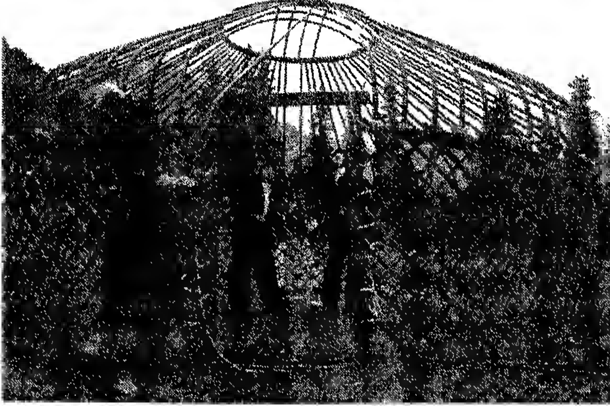
الأزياء التقليدية عندهم لا تختلف عن الأزياء التقليدية عند معظم شعوب آسيا الوسطى، التي غالباً ما تكون بسيطة للرجال ومزركشة ملونة للنساء، مع الحلي والزينة، إضافة إلى التمييز أحياناً في غطاء الرأس بين المتزوجة والفتاة.

من الوجبات التقليدية التي ما زالت مميزة حتى يومنا الحالي، يحب التركمان وجبة اللحم المسلوق الذي يُطهى معه الحساء وتُسمى هذه الوجبة باللغة التركمانية (شوربا)، وهناك اللحم المقلي (غفورما) والرز المطهو مع اللحم والبصل والجزر والزبيب وهو ما يُعرف باسم (بلوف). إضافة إلى هذه الوجبات هناك الحليب ومشتقاته (حليب الأبقار والخراف والماعز والجمال). يحب التركمان شرب الشاي الأخضر بكميات كبيرة.

القرغيز



أزياء فولكلورية قرغيزية



مجموعة من الشباب والفتيات ينصبون اليورت

يبلغ عددهم في جمهورية روسيا الاتحادية قرابة ٤١,٧ ألف نسمة، وهم السكان الأصليون لأراضي قرغيزستان، حيث يبلغ عددهم في جمهوريتهم ٢٢٢٩,٧ ألف نسمة. وينتشر القرغيزيون في عدد من جمهوريات آسيا الوسطى (أوزبيكستان، طاجيكستان، وكازاخستان، إضافة إلى وجود أعداد منهم في الصين ومنغوليا،

وشمالي أفغانستان، وفي باكستان. يبلغ إجمالي عدد القرغيز ٢.٥ مليون نسمة. يتحدثون باللغة القرغرية، تكتب بالأحرف الروسية. القرغيز مسلمون من السنة.

نشأت السلالة القرغرية على أساس سلالتين بشريتين في منطقتي: الشواطئ الجنوبية لمنطقة وسط آسيا، وشعوب منطقة آسيا الوسطى. وحسب المصادر التاريخية المدونة فقد تم تسجيل تواجد قبائل الساكي، الأوسوني، يوتيشجي، وقبائل الخوين، والإفتاليتي والدولو، نوشيبي، تيورفيس توخسي، وقبائل «الأسي» والكارالوكي، السوجودي، التشيغال، أرو، التركمان والكيبتشاكي والكنغالي، قبائل الكاراكيتاي، قبائل النايمان، والقبائل الترك منغولية، ومجموعة قبائل منغولستان. حيث تم تسجيل تواجد هذه القبائل في مرحلة قديمة من التاريخ قبل القرن السادس عشر الميلادي (أي منذ مرحلة ما قبل الميلاد وصولاً إلى القرن التاسع عشر) في مناطق وسط آسيا وتيانشانيان، وسيميرتش.

استمرت عملية تكوين سلالة الشعب القرغيزي خلال فترة طويلة من الزمن جرت خلالها مختلف عمليات التجانس والتعايش بين مختلف القبائل والشعوب التي ذكرناها سابقاً. وهكذا فإن هذه العمليات الاجتماعية استمرت منذ الألف الثانية قبل الميلاد وحتى القرن السادس عشر الميلادي، حيث ظهر اسم القرغيز حينها باعتبارهم شعباً قائماً بحد ذاته، عاش واستقر منذ القدم في الأراضي المسماة حالياً «جمهورية قرغيزستان».

وحسب المصادر الجغرافية القديمة، يعتقد أن الأجداد القدامى للقرغيز هم سكان شمال غربي منغوليا التي كان مركزها قريباً من بحيرة خيرغيس - نور.

في منتصف القرن الأول الميلادي انتشرت قبائل القرغيز بشكل رئيسي في منطقة (مينوسينسك)، وخروج القرغيز من منغوليا وتوجههم نحو المنطقة الشمالية من (سايان)، ارتبط بتحرك قبائل (الغونوف) نحو المناطق الشمالية الغربية من (سايان). وقبل تواجد القرغيز في منطقة (مينوسينسك) كانت تعيش هناك شعوب (الدينليني) التي أدى اندماجها مع بعض القبائل الغريبة عن المنطقة إلى ظهور ثقافة - حضارة (التاشتيك) بين القرنين الأول والخامس ميلادي، ويمكن القول أن هذه الحضارة قد شكلت النواة الرئيسية للقرغيز في القدم. حيث تم ضم (التاشتيك) في القرن السادس

الميلادي وحتى القرن الثامن إلى «الكاغانات التركية»، مع حفاظ التاشتيك على الاستقلال السياسي عن دولة الكاغانات التركية.

مع منتصف القرن الثامن يقع القرغيز في تبعية للخانات (قيادة - زعامة) الأويغور، الدولة التي انتقلت السلطة إليها بعد الكاغانات التركية.

ويدخل القرغيز في مواجهة مع الأويغور، انتهت بانتصار القرغيز في النصف الأول من القرن التاسع ميلادي، وفرض سيطرتهم على ذلك الجزء من آسيا الوسطى الذي سمي حينها بـ«الكاغانات القرغرية».

في الأربعينيات من القرن التاسع الميلادي يسيطر القرغيز على قبائل (الألتايا) في المناطق العليا من «ينيسي ومنغوليا». زعيم الكاغانات القرغرية الذي يحمل لقب (آجو)، يقيم علاقات مع القصر الإمبراطوري الصيني، ويوسع سلطاته باتجاه الغرب وصولاً إلى سهول كازاخستان الحالية، وجنوباً نحو التيبيت. وتوسعت سيطرة القرغيز - الينسيون (النواة الرئيسية للقرغيز الحاليين) خلال القرنين التاسع والعاشر ميلادي لتشمل المناطق من (مانتشجوري) شرقاً وصولاً إلى نهر (إرتيش) غرباً، ومن كراسنويارسك[1] شمالاً، حتى مناطق شرق تركمنستان جنوبي نهر (ينيس). وأثناء مطاردتهم للأويغور دخل القرغيز إلى المنطقة الشرقية من تايان - شان، حيث شكلوا هناك النواة الرئيسية للشعب القرغيزي الحالي، وكانوا قد استقروا هناك منذ ذلك الحين.

إلا أن الفتوحات المتزايدة عليهم اضطر القرغيز إلى الخروج من منغوليا في الجزء الأول من القرن العاشر، ولم يتمكنوا من الحفاظ إلا على (سايانو - التايا) وجونغاريا. إن المعلومات عن القرغيز - الينيسيون خلال الفترة ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلادي هي ضئيلة جداً فأثناء الحملات التتار مغولية، شكل القرغير إمارتين (إمارة القرغيز في مينوسين) و(إمارة الكيم كمجيوت في المنطقة العليا من ينيسي). وفي عام ١٢٠٩م احتل جنكيزخان أراضي القرغيز. وعند ظهور الروس في منطقة ينيسي، كان عدد القرغيز - النييسيين قليلاً نسبياً. ومنذ النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي انتقلت أعمال وحياة الرعي، أي أن القرغيز انتقلوا متجهين جنوباً

١ـ واحدة من المدن الروسية حالياً وهي تقع على حدود سيبيريا. وهو ما يفسر وجود نسبة عالية من المواطنين هناك يشبهون إلى حد كبير العرق الأصفر. ـالمترجم

على ضفاف ينيسي وصولاً إلى هضبة سايان. انضم القرغيز النييسيين إلى مجموعة شعوب الخاكاسي.

مارس القرغريون - الينيسيون القدامى حياة عملية اتصفت بالتكامل والتوافق بين جانبي حياتهم العملية، الأول حياة نصف رحل، والثاني هو الأعمال الزراعية. وكانوا يمدون القنوات لري المزروعات. انتشرت عندهم تربية نوع من الغزلان في المناطق الجبلية الوعرة، كما كانوا يمارسون هناك أعمال الصيد.

تطور المسكن عند القرغيز على عدة مراحل، انتشر عندهم في مرحلة منها اليورت (الخيمة الدائرية وملحقاتها) بعد ذلك ساد عندهم استعمال الخشب في تشييد المنازل. أما قراهم فقد كانت على عدة أشكال. فلديهم قرى صيفية أو حسب مواسم الرعي تكون غالباً من اليورت وهي قرى مؤقتة سرعان ما تزول نهاية الموسم.

من عادات القرغيز القدامى أن يحرقوا جثث موتاهم ويدفنون الرماد في حفرة تحت نوع من الحجارة في أبنية خاصة أو على قطعة أرض خاصة، حيث يمكن دفن أكثر من ١٠٠ شخص في المكان ذاته. ونبقى في الحياة الاجتماعية عن القرغيز - الينيسيون، الأجداد القدامى للقرغيز الحاليين، والنواة التي أسست الشعب القرغري، حيث كان تعدد الزوجات مسالة قائمة اجتماعياً عندهم منذ القدم، ولم تكن ظاهرة غير عادية. وكانوا حينها يدفعون مهر الزوجة عدداً معيناً من رؤوس الماشية حسب الاتفاق، وكان يصل أحياناً إلى ألف رأس.

كانوا يخيطون ألبسة الأغنياء من أفخر أنواع الحرير المستورد، إضافة إلى فراء الحيوانات. بينما كان يستخدم الفقراء صوف وجلود الخراف لصناعة ألبستهم. وهناك بعض العادات والتقاليد المتعلقة بالألبسة الفلكلورية ما زالت منتشرة عند القرغيز حتى يومنا هذا. ويتألف لباس الناس التقليدي عندهم من ثوب - قميص[1] طويل وعريض فضفاض تميزه الياقة الواقفة المحيطة بالرقبة. وفي المناطق الجنوبية يكون الثوب من دون ياقة، إضافة إلى فتحة في منطقة الصدر وتبدأ الأزرار من منطقة أسفل البطن، وتثبت عليه الحلي المعدنية.

١- له ازرار من الأمام وترتديه النسوة فوق ملابسهن -المترجم

وعند المسنات يضاف على هذا الثوب سروال عريض ترتديه تحت الثوب. أما الرأس فيضعن قبعة اسمها (كيب - تاكيه، إيلتشيك) ويمكن القول إن هذا النوع قد اختفى وقد تلاحظه في الاحتفالات فقط.

ويتكون لباس الرجال التقليدي في الشمال من قميص بياقة منتصبة، وفوقه ما يشبه الجاكيت الأسود الذي يثبت بربطه في الوسط ويمتد طوله حتى فوق الركبتين ويكون لونه في أغلب الأحيان أسود. وفي الشمال يختلف اللباس بعض الشيء، حيث يكون القميص فضفاضاً وطويلاً، يُربط حزام على وسطه. ويشبه لباس القرغيز اللباس الفلكلوري عند الطاجيك والأوزبيك. حيث السروال القرغيزي يأخذ طابع سروال الرجل التقليدي عند معظم شعوب وأقوام آسيا الوسطى.

النظام الاجتماعي الذي كان سائداً عند القرغيز القدامى هو النظام الأبوي، وقد أثر هذا على طبيعة بنية القرى، حيث غالباً ما كان أبناء الأسرة الواحدة ينتقلون معاً بحثاً عن المراعي، ويقيمون قراهم الصيفية التي تصل أحياناً إلى ٢٠٠ يورت، وأكثر أحياناً.

المواد الرئيسية في المطبخ القرغري القديم هي الحليب ومشتقاته صيفاً، واللحوم في الخريف والشتاء. ومن الوجبات التي تقوم على الحليب ومشتقاته نذكر (الكوميس[1] - العيران - والكوروت) وكانوا يصنعون نوعاً من الألبان، يتم تجفيفه لاستخدامه لاحقاً في فصل الشتاء إما جافاً أو ببرشه ونقعه بالماء.

أخيراً، فإن الفلكلور القرغري ما زال موجوداً في أيامنا الحالية، إلا أنه لا يأخذ الطابع العام، بل يقتصر على مختلف الفرق الفنية الفلكلورية، وكذلك الأمر بالنسبة للأفراح حيث يرتدي البعض أزياءهم الفلكلورية.

١- هو اللبن الذي يصنع بتخمر الحليب في بلادنا العربية -المترجم

الطاجيك


رجال من طاجيكستان

اسمهم حسب لهجتهم ولغتهم (توجيك). هم السكان الأصليون لأراضي جمهورية طاجيكستان. يبلغ إجمالي عددهم ٧,٢ مليون نسمة. يعيشون في مختلف الجمهوريات والمناطق. في روسيا الاتحادية ٣٨,٢ ألف نسمة، في طاجيكستان ٣١٧٢ ألف نسمة، في أوزبيكستان ٩٣٣,٥ ألف نسمة، في كازاخستان ٢٥,٥ ألف نسمة، وفي قرقيزيا ٣٣,٥ ألف نسمة، ويعيش قرابة ٣,٧ مليون طاجيكي في شمال ووسط أفغانستان، أما إيران فيعيش فيها ٥٠ ألف طاجيكي في مدينة خورسان. لغتهم هي الطاجيكية تُكتب باعتماد أحرف الأبجديتين العربية والروسية. الطاجيك مسلمون من السُنَّة.

يعود تاريخ عملية نشأة الشعب الطاجيكي إلى عمق التاريخ القديم، منذ نهاية النصف الثاني وبداية النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد، عندما استقرت في منطقة سهول أوراسيا[1] القبائل الهند - إيرانية، التي برز منها فيما بعد مجموعة القبائل الناطقة بالإيرانية القديمة، والتي امتزجت بدورها مع القبائل المحلية التي يعود تاريخ تواجدها في المنطقة إلى العهد البرونزي. وتنتشر اللغات المعروفة باسم اللغات الإيرانية الشرقية لدى معظم شعوب المناطق السهلية والوديان في أوراسيا (الأوراسيون). والقبائل التي يمكن القول أنها الأسلاف الفعلية والمباشرة للطاجيك هي: الباكتريتي في المنطقة

١- هي الأراضي الآسيوية والأوربية المتصلة فيما بينها والتي تشكل روسيا الاتحادية ومجموعة من جمهوريات الاتحاد السوفييتي نواتها الرئيسية-المترجم.

العليا من حوض نهر آموداري، والسيفيديون في منطقة حوض نهر زفرفشان ونهر كشكاداري، وقبائل المارغيني في منطقة خورسان، والخوارزمين في المنطقة السفلى من حوض نهر آموداري، والباركينيون في منطقة فيرغان، وقبائل الساكو - ماساغيتي في منطقة جبال باميرا - تايان - شان، وسهول منطقة الأورال وبحر قزوين. في القرن الثاني قبل الميلاد دخلت قبائل الطوهاري إلى منطقة باكتيري، ويعتبر بعض المؤرخين أن هذه القبائل هي جزء من مجموعة الساكو - ماساغيتي، حيث قام فرع من فروع هذه القبائل، قبيلة الكوشاني، بإقامة دولة قوية عُرفت باسم الإمبراطورية الكوشانية.

عندما تأسست في القرن السادس دولة الكاغانات التركية ازداد بشكل واضح تدفق القبائل الناطقة بالتركية إلى مناطق الطاجيك، وحتى فترة وقوع طاجيكستان تحت سيطرة العرب المسلمين، في القرن الثامن ميلادي، انقسمت المجموعات البشرية في آسيا الوسطى إلى ثلاث مجموعات رئيسية توزعت على ثلاث مناطق رئيسية على النحو التالي: السيفيدية (الساجدية) في الشمال، الفرغانية في الشمال الشرقي، والتوخارية (الطاهرية) في الجنوب. وحافظت شعوب هذه المناطق على الكثير من عاداتها وعلى ثقافتها حتى بعد الفتوحات الإسلامية.

مع قيام دولة السامادينيون خلال القرنين التاسع والعاشر الميلادي انتهت عملية نشأة النواة الرئيسية للشعب الطاجيكي. وهو الأمر الذي أدى إلى نشأة اللغة الطاجيكية المعروفة (الفارسية - داري - طاجيك)، فهي اللغة التي كانت سائدة في عهد الدولة السامادينية التي كانت شعوب طاجيكستان القديمة تحت سيطرتها. ولغتهم هي نفس اللغة التي قامت عليها وتطورت فيها الثقافة والعلوم عند الشعوب الإيرانية (القبائل الناطقة بالإيرانية). وأسس الطاجيك والفارسيون ثقافتهم الغنية (يعود تاريخ أول كتابات لهم بهذه اللغة إلى القرن التاسع الميلادي). أما المؤلفات التي دونت لأول مرة ظهور الشعب الطاجيكي فيعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر ميلادي. إلا أن الكثيرين من الباحثين يؤكدون أن ولادة الشعب الطاجيكي تمت عملياً في وقت أبكر بكثير من ذلك الذي ذكرته المصادر والمخطوطات التاريخية.

منذ القرن العاشر ميلادي كانت السيطرة على السلطة بيد القبائل والشعوب الناطقة بالتركية، في هذه المرحلة شهدت المنطقة تدفقاً كبيراً للقبائل الناطقة

بالتركية وبعدها قبائل التتار - مغول، الذين وصلوا إلى المناطق التي عاشت فيها شعوب المنطقة وشعوب طاجيكستان حياة استقرار، وبدأت عملية تتريك شعوب المنطقة والشعب الطاجيكي، التي استمرت على مدار قرون طويلة. جرى هذا بشكل واضح ومركز في المناطق السهلية ومن ثم في المناطق الجبلية بالدرجة الثانية، وفي المدن الكبرى في آسيا الوسطى مثل: بوخارى وسمرقند، وخودجينت.

إن عملية نشأة الشعب الطاجيكي كانت تجري بترابط حتمي تاريخي مع شعوب المنطقة ولا سيما تلك التي يمكن وصفها بأنها تحمل الثقافة التركية، وبشكل رئيسي مع الأوزبيكيين.

قدر الطاجيك في منتصف القرن التاسع عشر بدا على درجة من التعقيد، ففي عام ١٨٦٨م انضمت المناطق الشمالية من طاجيكستان إلى الدولة الروسية، أما سكان المناطق الجنوبية من طاجيكستان فبقوا خاضعين لسلطة الإمارة البوخارية التابعة لسلطات الإقطاعيين الروس. في عام ١٩٢٤م تم الإعلان عن قيام جمهورية طاجيكستان السوفييتية ذات الحكم الذاتي بدلاً عن الإمارة البوخارية. في عام ١٩٢٩م تمت تسميتها جمهورية طاجيكستان السوفييتية، ومنحت وضع عضو في الاتحاد السوفييتي بكامل الصلاحيات. سقط الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م وهو العام الذي أصبحت فيه طاجيكستان جمهورية مستقلة وكياناً اجتماعياً سياسياً مستقلاً قائماً بحد ذاته.

الأعمال الرئيسية التي مارسها الطاجيك منذ القدم هي الزراعة وتربية الحيوانات. في المناطق السهلية وكذلك في المناطق الجبلية استخدم الطاجيك مختلف أساليب الري، في مناطق مثل (بامير الغربية). وكانت الحبوب من فصيلة السنبليات، القمح والشعير وغيرها هي المادة الرئيسية التي اعتمدوا عليها في إنتاجهم الزراعي. حيث تزرع أنواع من الحبوب في المناطق السهلية وبعضها في المناطق الجبلية. لحراثة الأراضي استخدموا قديما الطرق المعروفة التي تعتمد على الحيوانات مثل الخيل والبغال لجر المحراث القديم. أما تربية الحيوانات فكانت تلعب دوراً مساعداً في الحياة الزراعية لسكان المناطق السهلية، فالخيل للتنقل وحراثة الأراضي وكذلك الأمر بالنسبة للبغال، أما الأغنام فكانوا يستفيدون من صوفها وحليبها ولحومها.

أما الطاجيك سكان المناطق الجبلية فكانت تربية الحيوانات والتنقل بها بين المراعي هو العمل الرئيسي لهم، بينما كانت الأعمال الزراعية تشكل لهم عنصراً

مساعداً في بعض الأحيان، وكانت من الأعمال الرئيسية في الكثير من الحالات. وكانت أعمال الرعي تقوم عندهم بالأسلوب (العمودي). صيفاً يصعدون بالقطعان نحو البحيرات الجبلية وينتقل معهم أعداد من السكان ليمضوا بجانب قطعانهم فترة الصيف، بينما يبقى الجزء الرئيسي من السكان في قراهم، وتُعرف القرية في معظم جمهوريات آسيا الوسطى باسم (كيشلاك). وكانت مرحلة الرعي الصيفي تترافق مع بعض الأعياد البسيطة غالباً ما تكون النسوة العنصر الرئيسي الذي يقوم بنشاطاتها. فهناك عيد يرتبط بفترة جمع الحليب، حيث تحصل النسوة خلال هذا العيد على كل ما تم حلبه من القطيع ويعدن به إلى القرى لإعداد الزبدة وغيرها من مشتقات الحليب.

منذ القدم اشتهر سكان المناطق السهلية بالكثير من الحرف والصناعات الأولية مثل تصنيع الأقمشة من القطن، وتصنيع أقمشة الحرير والصوف، ومختلف أنواع الأجواخ. بينما تميز سكان المناطق الجبلية بصناعة الصوف إضافة إلى صناعات أو حرف قديمة جداً لديهم مثل الحفر على الخشب وهي أعمال كان يمارسها الرجال، ومارست النسوة بعضها مثل الحياكة والتطريز.

الألبسة التقليدية تختلف نسبياً حسب المجموعات البشرية التي يتألف منها الشعب الطاجيكي، إلا أنه يوجد طابع عام للألبسة التقليدية. فالرجال يرتدون قميصاً وسروالاً عريضاً يُعرف باسم (شاروفاري) وفوقهما كمينو أو خلاط مشرع لا يوجد أي أزرار على منطقة الصدر فيه، لكنه يُغلق بواسطة حزام يُربط على الخصر. إضافة إلى حذاء جلدي طويل يغطي القدمين حتى الركبة أحياناً، أو حذاء عادي محدب الرأس.

أما لباس النساء فيتألف من ثوب طويل حتى الركبة وأطول من ذلك في بعض الحالات، غالباً ما يكون فاقع اللون مزركشاً من الأطراف. ويكون الفستان في المناطق السهلية من الأقمشة المستوية، أما في المناطق الجبلية فتكون مختلف الأشكال محاكة عليه بأسلوب فني مميز. أما غطاء الرأس فهو عبارة عن قطعتين، القبعة التي قد تكون دائرية الشكل أو سداسية، يعلوها الإشارب الذي يمتد ليغطي الصدر والرقبة وغالباً ما يكون من أقمشة شفافة جميلة اللون. أما غطاء الرأس عند الرجال فهو يكون أقرب إلى العمامة، وانتشرت بينهم لاحقاً القبعة الدائرية التي يضعها المسلمون وقد تكون سداسية الشكل شبيهة بتلك التي يعتمرونها في أوزبيكستان.

الكازاخ



أزياء فولكلورية كازاخية

يطلقون على أنفسهم اسم «الكازاخ»، سابقاً عرفوا بأسماء عدة منها (القوزاقيون القرقيز، القرقيز الكايساكيون). يبلغ عددهم في جمهورية روسيا الاتحادية ٦٣٦ ألف نسمة (عام١٩٨٩م). هم السكان الأصليون لأراضي كازاخستان، يعيشون أيضاً في أوزبيكستان، قرقيزيا، طاجيكستان والصين ومنغوليا. يبلغ عددهم الإجمالي أكثر من ٩ مليون نسمة.

لغتهم الأصلية الكازاخية تكتب بالأحرف الأبجدية الروسية. الديانة الرئيسية هي الإسلام، والكازاخ من السنة.

تم تشكل الكازاخ من خلال تجانس وتعايش مجموعات من القبائل التي أتت إلى أراضي كازاخستان عبر العصور، وبشكل رئيسي من القبائل «الهندو - إيرانية» في العهد البرونزي. وفي الألف الأولى قبل الميلاد كانت أراضي كازاخستان موطن قبائل «الساكسكي» الناطقة بالإيرانية في النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد بدأت فعلياً عملية تكوين السلالة الكازاخية عندما وصلت إلى المنطقة مجموعات من

القبائل القديمة الناطقة باللغة التركية، وفي تلك المرحلة بدأت التركية تصبح اللغة الأساسية التي قامت عليها اللغة المحلية. وانتهت عملية التتريك عندما تم ضم كازاخستان إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة مجموعات القبائل التركية.

وفي الفترة بين القرنين التاسع والحادي عشر ميلادي سيطر على كازاخستان قبائل الفوأوز والكيماكي، والكاورلاكي. وفي الفترة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر ميلادي انتقلت السيطرة السياسية في كازاخستان لمجتمع قبائل الكيبتشاكي.

خلال هذه الفترة وصلت إلى أراضي كازاخستان مجموعات قبلية أخرى، وتحديداً في منتصف القرن الثاني عشر وصلت قبائل مثل: (الكيداني أو الكاركيتاي) وفي بداية القرن الثالث عشر دخلت قبائل: (النايمان، والكريفيتي)[1]. بعد ذلك وقعت كازاخستان تحت سيطرة التتار - مغول، حيث تم ضمها إلى الدولة التتار - مغولية، وقد أثرت هذه المرحلة بشكل واضح على المراحل الأخيرة من تشكيل السلالة الكازاخية، وذلك نتيجة عمليات تنقل مختلف القبائل والمجموعات القبلية التي تعرضت لهجمات التتار - مغول وتمازجها فيما بينها، حيث تمكن المغول من التجانس التام مع هذه المجموعات وأصبحوا جزءاً من الكل. مع نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر ميلادي انضمت معظم القبائل الناطقة بالتركية والمستقرة في أراضي كازاخستان، انضمت إلى أوزبيكستان، وإلى الخانات الناغايسكية.

ومع ولادة دولة الخانات من تكوين السلالة أو الشعب الكازاخي والذي دخل فيه ثلاث مجموعات رئيسية من القبائل الرحل تقاسمت كازاخستان فيما بينها، حيث سيطرت مجموعة على مناطق مركز كازاخستان، ومجموعة أخرى على المناطق الوسطى، بينما استقرت الثالثة في المنطقة الغربية. بدأ انضمام الكازاخ إلى روسيا منذ العام ١٧٣١م بانضمام مجموعة قبائل عزب كازاخستان، وانضم بعدهم في عام ١٩٧٠م مجموعتين المركز والوسط، وانتهت عملية انضمام كازاخستان الطوعي إلى روسيا في الستينيات من القرن التاسع عشر. منذ عام ١٩٢٠م أصبحت كازاخستان تعرف كجزء

١ـ الأغلب ان هذه القبائل دخلت أراضي كازخستان من الصين ومنغوليا. ـالمترجم

من روسيا السوفييتية الاتحادية، لكن اسمها كان في ذلك الوقت قرقيزيا السوفييتية ذات الحكم الذاتي العضو في الاتحاد الروسي. وفي عام ١٩٢٥م أعيد إليها من جديد اسم كازاخستان (الجمهورية الكازاخية السوفييتية، حكم ذاتي، عضو الاتحاد الروسي). وفي عام ١٩٣٦م حصلت كازاخستان على لقب الجمهورية السوفييتية (جمهورية كازاخستان السوفييتية)، وبقيت على هذه الحال حتى مرحلة سقوط الاتحاد السوفييتي، حيث أعلن مجلس السوفييت الأعلى للجمهورية عن استقلالها في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٩١م، وهي الآن جمهورية كازاخستان.

الحياة الاقتصادية: يمارس الكازاخ منذ القدم أعمال تربية المواشي والرعي وبشكل رئيسي الأغنام التي تتميز بصوفها الطويل، إضافة إلى الحيوانات الأخرى. ويولون اهتماماً خاصاً بتربية الجمال والخيول التي تربى بشكل مستقر في المناطق التي تصلح لرعي الحيوانات في كل أوقات السنة. وكانت المجموعات القبلية والرعاة تتقاسم المراعي ليصل قطر المرعى أحياناً إلى ١٢٠٠كم، حيث لكل مجموعة مرعاها الخاص بها، وطريقها الخاص للرعي والتنقل مع قطعان الحيوانات. ويتم تقسيم المراعي حسب المواسم، حيث تتركز عمليات الرعي شتاءً في المناطق الجنوبية، حيث تكثر الأنهار والسهول، أما في الصيف فتجري عمليات الرعي في السهول والسهوب وفي المناطق الجبلية.

انضمام كازاخستان إلى الإمبراطورية الروسية ترك أثره على الأعمال التقليدية لدى الكازاخ، حيث بدؤوا يهتمون منذ ذلك الحين بزراعة بعض النباتات والحبوب.

منتجات الحياة الإنتاجية التقليدية[1] لديهم كانت أشبه بعملية متكاملة يساهم جميع أفراد الأسرة في إتمامها، فالنساء يقمن بشكل رئيسي بغزل صوف الأغنام والجمال، ويعدون منها السجاد وبعض أنواع الألبسة. إضافة إلى هذا تمارس النسوة أعمال الحياكة والخياطة بالتطريز، ولا سيما وأن الكازاخ يحبون الألبسة المزركشة بالحلي والذهب.

١- ما زال الكازاخ يولون اهتماماً حتى يومنا هذا بأعمال الرعي وللحصان عندهم مكانة خاصة حيث يعتبرون لحمه من أفضل أنواع اللحوم، وهو من الوجبات الرئيسية عند معظم المجموعات البشرية في كازاخستان -المترجم.

القرية والمسكن: أماكن السكن التقليدية عندهم هي القرى التي تتألف من عدة خيم متناثرة هنا وهناك وتعرف الخيمة الكازاخية التقليدية باسم اليورت، وهي عبارة عن خيمة دائرية الشكل واسعة المساحة (مازال اليورت منتشراً في كازاخستان حتى يومنا هذا - المترجم) كما انتشرت عندهم البيوت الحجرية ومن الخشب حيث تركزت عمليات البناء الثابت في المناطق التي تصلح لأعمال الرعي دوماً ولم يَحْتَجْ سكانها للتنقل مع ماشيتهم.

الأزياء: إن الألبسة الفلكلورية كثيرة ومتنوعة نظراً لتعدد القبائل التي ساهمت تاريخياً في تكوين الشعب الكازاخي، ومن جانب آخر نتيجة تنوع الأعمال واختلاف المناخ لديهم بين منطقة وأخرى. فالزي التقليدي للرجل يجتمع عموماً على قطعتين رئيسيتين هما القميص والسروال، وغالباً ما تأتي الاختلافات في بقية الألبسة التي تغطي هاتين القطعتين، حيث تنتشر لديهم ما يشبه العباءة القصيرة التي تكون مصنوعة إما من قماش طويل، أو من جلود الحيوانات بحيث يكون الفرو من الجهة الداخلية، ويصل طول هذه العباءة إلى وسط الساقين، وتحت الخصر بقليل أحياناً، في الحالات التي يكون فيها هذا الرداء مصنوعاً من قماش خفيف غالباً ما يرتدي الرجال عباءة طويلة من قماش آخر. وتزين ألبسة الرجال الربطات التي توضع على الخصر لتثبيت الرداء، إضافة إلى زركشة على أطراف الرداء وعلى العباءة الطويلة. يضع الرجل على رأسه قبعة من الفرو على محيطها ومن داخلها، بينما يكون الجزء الخارجي من القبعة في الوسط من الوجه الخارجي للجلد.

الألبسة عند الكازاخيات هي أيضاً مختلفة ومتنوعة، وتتفق بمجملها بالثوب الطويل الذي قد يكون فوقه ما يشبه الجاكيت الطويل حتى أسفل الخصر، وتكون ألبسة النسوة الكازاخيات الفولوكورية متعددة الألوان ومزركشة بمختلف الحلي والتطريزات.

أما ما يضعن على رؤوسهن فهو يختلف بين قبيلة وأخرى، إضافة إلى الوضع الاجتماعي للسيدة. ففي يوم العرس مثلاً تضع الفتاة على رأسها قبعة إما من الجوخ أو المخمل حمراء اللون، صغيرة بحيث تغطي قمة الرأس فقط، ويتوسطها ما يشبه الريش. أما المتزوجات فتسمى قبعتهن «بيشميش» وتكون بيضاء اللون بيضاوية الشكل في

جزئها العلوي بحيث يكون الإطار الذي يرتكز على محيط الرأس من الفرو وكذلك داخل القبعة. وتأتي تتمتها بقطعة قماش تغطي جانبي الرأس ويبقى الوجه مكشوفاً بينما يغطي الجزء الأسفل من القبعة رقبة المرأة والكتفين وأعلى الصدر والظهر.

الحياة الاجتماعية: تكون المنظمات الأسرية الخلية الرئيسية في المجتمع الرعوي، ويسود في هذه الأسر النظام الأبوي. يتم الزواج عندهم بالخطوبة أولاً، وتترافق الأعراس مع مختلف المباريات وسباق الخيل وغيره من العادات والتقاليد.

المطبخ: الوجبات الرئيسية في المطبخ الكازاخي من الحليب ومشتقاته في فصل الربيع، ومنذ شهر تشرين الثاني/نوفمبر تتزايد وجباتهم من اللحوم ومختلف أنواع الخضار والأعشاب.

الفهرس

شعوب القفقاس وجنوب روسيا

شعوب وسط روسيا وجنوب أوكرانيا

شعوب آسيا الوسطى

من منشورات دار علاء الدين